حكايا زهرة الكرز

الجزء الثاني "حتى نلتقي"

للكاتبة / هبة جاويش

إهداء ..

مساء الخير بتوقيتك ..

إلى أولئك من يَعشقون الحكايا

من يرغبون بقصةٍ تُشبه خيالهم وآمالهم .. ربما

من افتقدوا قصص الجدات وجلسات السمر

من يهوى القهوة

من يبحث عن الدفء متمثل في كلمات

إليك أنت ..

مقدمة

كانت دائمًا ما تجمعنا الجدة زهرة أسفل شجرة الكرز بحديقة منزلها في ليالي الخميس لتحكي لنا الحكايا منها المرعب و المخيف ومنها الرومانسي اللطيف ومنها ما يوجد به درسًا مستفاد

بعضها قصص وحكايات حدثت مع المعارف والأصدقاء ومنها تجارب شخصية

ولكن أجمل ما كان بحكايا الجدة زهرة هى تلك المشاعر المختلطة .. تارةً دافئة وتارةً غاضبة

كانت جميع كلماتها تمدنا بالدفء والمشاعر

حكايا زهرة الكرز

ملاحظة هامة يجب عليك قراءة الجزء الأول
من الحكايا في كتاب"حكايا زهرة الكرز"

فالجزء الثاني هو تتمة الأحداث لما كان في
الجزء الأول

نجمة قلبي الجزء الثاني "لننفصل في إبريل"

(١)

مراد

مرَّ عام منذ التقيت بنجمة قلبي " زهرة "

أذكر أول مرة رأيتها بها وكأنها البارحة، أخيرًا تشجعت وعرضت عليها الزواج ووافقت

ذلك اليوم كان أسعد أيام حياتي

واليوم هو موعدنا حتى تلتقي زهرة بأبي ليتعرفا على بعضهما البعض فنحن اتفقنا أن نُتمم زواجنا بعد انتهاء دراستنا وبالفعل آخر اختبار كان البارحة .....

ارتديت حُلتي الجديدة ووضعت زهرة أقحوان في عروتي العليا فهي الزهرة المفضلة لكلينا، ذهبت لأقل زهرة من منزلها بينما ينتظرنا والدي في واحد من أفخم المطاعم فاليوم مميز بالنسبة لنا جميعًا حيث اختار ابنه الوحيد شريكة حياته،

أعتقد أن أبي كاد يطير فرحًا حينما أخبرته

لن أستطيع نسيان تلك النظرة والبسمة السعيدة على محياه ما حييت .

وصلت لمنزل زهرة وقلبي يطرق بعنف شديد مضطرب بفرحة عارمة تُغلفني

انتظرتها أسفل البناية ولكن مر ما يقارب الخمسة عشر دقيقة ولم تنزل بعد

لا أعلم لمَ لم أتصل بها؟!!

كان هناك شيء في داخلي يمنعني من الاتصال، شعور غريب عميقًا بالداخل لا أعلم ماهيته ولكني فضلت الانتظار على الاتصال بها أو الصعود لشقتها الصغيرة.

مرت ساعة من الانتظار والعديد من الاتصالات من أبي وأنا أقف بمكاني أسفل البناية في انتظار نجمة قلبي

مرَّ الوقت والخوف سيطر علي هاتفها مغلق ولا يوجد منها أي رسالة

الاختناق .. شعور بالاختناق يسيطر علي وكأني على علم بما سيحدث أو بما حدث بالفعل

صعدت درجات السُّلَّم ببطء كانت أقدامي تأبى الصعود خائف، خائف وبشدة

أخيرًا وصلت لذلك الباب الصغير باللون البني ذلك اللون الذي

لطالما كرهته ولكن محبوبتي لا تعلم كيف يبدو حتى أو معنى اللون البني لذا لم أعلق كثيرًا.

طرقت الباب طرقات صغيرة وهادئة، طرقة والثانية والثالثة

طرقاتي بدأت تزداد وتعلو ويزداد معها خفقان قلبي قلقاً على محبوبتي، ولكن لا رد

حينها قررت فتح الباب بالمفتاح الإضافي الذي أملكه

أجل أنا أملك مفتاح ولكني لم أستعمله ولا مرة هو فقط كان بحوزتي للحالات الطارئة

كفي يرتجف وقلبي ينبض بضعف شديد وكأن الدم جف بعروقي

خائف، خائف وبشدة لا أعلم هل خائف منها أم عليها!

كل ما أعرفه أن هناك شعور بالخوف يعتصر قلبي ويضيق بأنفاسي

وبكف يرتجف وأطراف باردة تمكنت أخيراً من فتح ذلك الباب الفاصل بيني وبين محبوبتي

ولكن ما قابلني كان الخواء ..

المنزل خالي، خالي من كل شيء لا أثاث ولا صوت ولا حتى هي

تجمدت في مكاني لفترة لا أعلم كم طالت، البرودة تلتحف أوصالي ساقاي ارتجفت لم تعد تتحمل وقوفي، سقطت أرضًا

أنظر للفراغ من حولي لتلك الجدران العارية من أي معلم من معالم الحياة وكأن لا أحد سكنها ذات يوم

زهرتي أين اختفيتِ؟

ماذا حلَّ بكِ يا نجمة قلبي؟!!

كان هناك عشرات الأفكار تعصف بخلايا عقلي، لا أعلم أيهما أصح

ظللت على حالي تلك لفترة ولم يخرجني من ذلك الشرود الحزين سوى رنين هاتفي

كان أبي يتصل قلقًا فنحن تأخرنا كثيراً

تمسكت بهاتفي بأيدٍ مرتعشة أجاوب أبي بصوتٍ متقطع أب - أبي لقد اختفت زهرة

هتفت بتلك الجملة وعندها كأن شيئاً ما ضرب عقلي زهرة اختفت غادرت وتركتني وحيد

هرعت بالنزول درجات السُلم أبحث عنها أو عن أي مخلوق يساعدني، لا أعلم أي منزل أدق بابه

طرقت على جميع الأبواب علَّ أحدهم يساعدني يُخبرني ما حدث وأين ذهبت زهرتي

أخيراً فتح لي أحدهم بينما كنت أركض كالمجنون

سألته في عجالة .. زهرة جارتكم بالأعلى ألا تعلم أين ذهبت أرجوك؟

- أعتذر منك لا أعلم ولكنها غادرت في الصباح الباكر وقامت ببيع جميع أمتعتها

كانت تلك الإجابة بمثابة السقوط في الهاوية

لا أعلم ما الذي عليا فعله؟

ما العمل؟

ماذا حدث حتى تهجرني نجمة قلبي بهذا الشكل المريع**!!**

ركضت لسيارتي أقودها بذهنٍ شارد ، فالمشاعر السوداوية متأججة بداخلي

غيمة سوداء من الحزن تحاوطني وغصة عالقة بحلقي

دموع زجاجية مُتحجرة داخل عيناي تأبى النزول

أسئلة عديدة تدور بعقلي ولا أجد لها إجابة ، ظللت في شرودي أقود على الطريق لا أعلم وجهتي

لم أعِ على نفسي إلا عند اصطدام سيارتي بالشجرة الكبيرة على جانب الطريق في عناق عنيف نتج عنه ظلام كبير أثقل جفناي و ابتلعني بصمت.

رائحة قوية تقتحم حاسة الشم لدي وصوت مزعج رتيب يشبه الصافرة يزعج أذناي

عيناي مُغلقة لا أعلم أين أنا أو ما حدث، حاولت جاهدًا إبعاد هذا الثقل المُعلق بجفناي

وبعد صراع عنيف أخيراً استطعت فتح عيناي ببطء وتعب شديد لأعي ما حولي

كنت بسرير مشفى ما ...

لا أعلم كم من الوقت بقيت هنا أو ما حدث لي ولكني أشعر بالإعياء الشديد وآلم بالغ يسري في جميع أنحاء جسدي

كان وجهي يمتعض بألم حتى ضربت شرارة ما عقلي تُذكرني بما فعلته زهرة

وكأن ذاكرتي خانتني لدقائق ثم عادت تصفعني بقوة ليتألم قلبي أضعاف ألم جسدي تذكرت انتظاري لها وصعودي لشقتها الفارغة، تذكرت كلمات ذلك الجار والحادث

بينما أنا في صراعي مع ذاكرتي سَمِعتُ صوت خطوات راكضة وما كانت سوى خطوات أبي الذي حاوطني بعناق كبير بينما يبكي بشدة.

- بني أخيرًا استيقظت، ظننتني فقدتك للأبد.

فصل أبي العناق بينما يمسح على وجهي وأنا لا أفهم أي شيء، أستطيع الشعور بجبيرة في قدمي اليسرى، جسدي مُحطم ولكني لا أعتقد أن الحادث كان عنيفًا لدرجة تجعل أبي رجل الأعمال الصارم يبكي بهذا الشكل.

حسناً أنا نقطة الضعف الوحيدة في حياة هذا الرجل

نظرت له باستفهام لا أقوى على الحديث أو السؤال ويبدو أنه فهمني ليردف بينما دموعه مازالت تغطي وجهه

- لقد أُصبت في حادث بسيارتك ، الحادث لم يكن كبيرًا فقط كسر بقدمك اليسرى وبعض الكدمات لم تُصب أعضاءك الداخلية بأي ضرر ولكنك ظللت فاقدًا لوعيك في غيبوبة لمدة خمسة أسابيع

خمس أسابيع طويلة لم يستطع الأطباء فيها معرفة سبب غيابك عن الوعي هكذا سوى أنك من أردت ألا تستيقظ

بني لقد أرعبتني خشيت فقدانك ولكن لا تقلق لن أتركها تحيا بهناء تلك الحقيرة سوف أدمر حياتها وأسلبها كل شيء كما فعلت بأبيها.

هبطت تلك الكلمات على مسمعي كوقوع سكين حاد ذو نصل رفيع يخترق قلبي ببطء

من بعد تلك الكلمات شعرت بدموعي تُذرف أخيرًا وجسدي يرتجف لكن صوتي يأبى الخروج

كنت أبكي بحرقة، أبي يعلم من هي زهرة ومن هو أبيها

كيف يعرفهم؟!

يبدو أن هناك سر يحاوطني، خُدعة وقعت فيها عن طيب خاطر

اشتدت نوبة بكائي حتى أتت ممرضة ما رأيتها تَحقن المغذي الموصول بذراعي بمادة ما وكان هذا أخر ما أذكره حيث ابتلعني بعدها ظلامٌ هادئ.

بعد عدة أيام لا أعلم عددها غادرت المشفى وعدت للمنزل، خلال الفترة السابقة كنت رافضًا للكلام و الحديث بأي شكل، كنت في حالة نفسية سيئة للغاية وتم تشخيصي بالاكتئاب

طلب طبيبي من أبي ألا يلح علي في محاولة الحديث أخبره أنني عندما أصبح مستعدًا سوف أتحدث من تلقاء ذاتي .

ما فعلته زهرة فتك بي بكل ما تحمله الكلمة من معنى

لا أعلم السبب ، لا أعلم لما غدرت بي هكذا!

كان وكأن الحُلم الذي ظل يراودني كثيرًا في الأيام الماضية تحقق بالفعل

كنت أحلم بزهرة تبكي بينما تتمسك بي بشدة ولكن هناك أيدٍ لرجل لم أرى وجهه تجذبها بعيداً عني وبعنف شديد لم أرى وجه الرجل أبداً برغم تكرار الحلم العديد من المرات ، والمريب بهذا الحُلم أو الكابوس المريع هو وجود سكين ذو نصل ينتهى بزهرة الأقحوان.

كان كابوسًا مريعًا ظل يراودني لفترة قبل أن تختفي زهرة بلا خبر أو وداع، لا أعلم لما يراودني شعور غريب بأن هذا الحلم له تفسير ما ، تفسير مرتبط بما حدث.

طوال الوقت كان جل تفكيري بسبب زهرة في الرحيل بهذا الشكل تاركة خلفها محبوبها

رحيلها بهذا الشكل المؤلم دون أي مبرر بعدما اتفقنا على الزواج ، بعد وعد كل منا للآخر بأن نتشارك ما بقىَ لنا من أيام.

واثق أنا بأن هناك سبب ما أو دافع لفعلتها الخبيثة تلك وتركي وحدي أقاسي مر الهجران

معترف أنا بوجود غرابة ما كانت تحيط بها دائمًا، تلك الابتسامة الحزينة والملامح التعيسة أغلب الوقت

الدموع التي كانت تخفيها جاهدة حتى لا ألاحظها ، تمسّكها القوي بي في الفترة الأخيرة بالإضافة لكلمات أبي المبهمة

جميعها أشياء تدفعني للشك، تدفعني للحزن والسقوط في براثن الاكتئاب بعمق.

مرت الأيام وكنت أذبل يومً بعد يوم، روحي تنطفأ وجسدي يفقد الوزن، أتناول العديد من العقاقير و الأدوية ولازلت على حالي لم أنطق بحرفٍ واحد.

عقلي وقلبي مليء بها مليء بنجمة قلبي، أفكر بها حتى بعدما يتغلب الدواء على عقلي ويسلبني وعيِ لأستيقظ على بكائي ونحيبي

أبي كان يلازمني أغلب الوقت ترك أعماله التي كان يحارب من أجلها بضراوة طيلة الأعوام وجلس بالمنزل يعتني بي، أعلم أن وجوده بجانبي جعله يتكبد الكثير من الخسائر ولكني أعلم هو لا يهتم بالمال في مقابل ابنه الوحيد.

نظرات أبي لي توحي بمعرفته بما يحدث، أستطيع معرفة إخفاؤه لأمرٍ ما بسبب نظراته وسبابه الدائم لزهرة حتى لو كانت تمتمة بسيطة لا يدرك سماعي لها.

كنت أرغب وبشدة في سؤاله عمَّا يعرف ولكني لم أقو على ذلك، حروفي لازالت تأبى الخروج وكأنها استسلمت وأُصيبت بخرسٍ دائم .....

قد يراني البعض رجلٌ ضعيف وهش أو للحق ليس البعض بل الجميع ولكني بالفعل ضعيف جسديًا ونفسيًا، لقد مررت بالكثير فأنا منذ طفولتي أعاني من صحة سيئة لم يبوء علي الله بنعمة الصحة القوية فقضيت معظم أيامي بغرف المشافي ولكني تحسنت مع الوقت ومع تطور الطب.

ولكن ما قسم ظهري كان مرض أمي و وفاتها وتركها لي وحدي في عمرٍ صغيرة، كنت متعلق بوالدتي بشدة وكذلك أبي فهي كانت حب حياته كما كان يُخبرني دائمًا.

وفاة والدتي زعزعتني جسديًا ونفسيًا و زادت من تعلق أبي بي، كنت أحب تعلق أبي وحبه الكبير لي فنحن لا نملك سوى بعضنا البعض ولكن دخول زهرة إلى حياتي أضاف لها معنى مختلف.

اعتقدت أنها تعويض الحياة لي عن خسارتي لأمي، حتى أبي كان سعيد بدخول إحداهن لحياتي وجل تفكيره كان زواجي وملأ المنزل سعادة وأطفال تعوضنا عن الوحدة البائسة التي قضينا بها الكثير من أعوامنا السابقة

ولكنها غدرت بي، غادرت وتركتني خلفها دون وداع أو مبرر.

ظللت على حالي لمدة تجاوزت السبعة أشهر، لم أنطق بحرفٍ واحد، لم أغادر غرفتي سوى للقاء الطبيب، لم أنفك عن البكاء والاتصال بهاتفها الذي يخبرني بأن الرقم غير موجود بالخدمة على أمل أن أجد جواب منها تخبرني به بأسباب اختفاءها ، أو أنها بخير

يكفيني معرفة أنها بخير، كلمة واحدة منها سوف تُشفي جميع جراحي .. أين أنتِ يا نجمة القلب ؟؟

في الشهر الثامن وبعد آلاف المحاولات أخيرًا استطاع لساني النطق وإخراج الأحرف والكلمات

لا أستطيع وصف سعادة أبي ، كان سعيدًا وكأنه وُلد من جديد، ربما يعتقد البعض أنني تجاوزت الصدمة ولكن هذا لم يحدث أنا فقط بدأت الحديث حتى أحصل على الشجاعة وسؤال أبي عمّا يعرفه عن زهرة

وسؤاله عن تلك الكلمات المُخبئة داخل جوف صدره ، مرت بضعة أيام أحاول فيها تمالك نفسي لسؤال أبي

وأخيرًا قررت السؤال .....

كان أبي في مكتبه بالمنزل فهو كان يعمل بجد كبير لتلافي كل تلك الخسائر التي ألمت به في الأشهر المنصرمة، طرقت الباب مرتين واستأذنت بالدخول كنت متوتر بشدة أطرافي باردة متعرقة أشعر بمعدتي ترتجف.

خائف مما يعرفه أبي خائف مما سوف يُخبرني به ولكني مُجبر على السؤال يجب معرفة ما حدث وسبب زهرة في هجري بتلك الطريقة.

تحمحمت في خفوت أنظر لأبي بتوتر شديد وكان هو يشعر بالمثل يبدو أنه أخيرًا علم أنه لا مفر من الحديث بهذا الموضوع.

أبي من فضلك أخبرني بكل ما تعرفه عن زهرة ، أنا لم أنس ما قولته لي حينما كنت بالمشفى ولم تخف عني همهماتك بشتمها هي وعائلتها لذا أرجوك أخبرني ما تعرفه بلا مراوغة.

كان أبي ينظر لي عميقًا نظرة حزينة أو غاضبة ربما لا أعلم، تنهد عميقًا وزفر بحنق شديد ليتمسك بكفي بينما ينظر لي وهناك الكثير من الحنان ظاهر على محياه

- هل أنت مستعد لمعرفة كل شيء عن تلك الزهرة السامة التي اقتحمت حياتك لتدميرها و تدميري معك ؟

أرجو أن يستعد قلبك جيدًا لما ستسمعه تاليًا فهو سيكون صعب بعض الشيء

أومأت له أحثه على المتابعة ....

- حسنًا لك ما أردت

قالها ليتابع حديثه ويخبرني بما جعل رأسي يدور بآلاف الأفكار، بينما كان يتحدث كنت أشعر أنني بداخل واحد من تلك الأفلام الكلاسيكية القديمة بالأبيض والأسود ، أو ربما مسلسل تلفزيوني مكرر يُعرض للمرة الألف .....

(٢)

هل تعلم ابنة من هي تكون تلك الزهرة؟

كان هذا السؤال هو بداية حديث أبي لي عن زهرة وما يعرفه عنها

نفيت بهدوء، كل ما أعرفه أن والديها توفيا العام الماضي وهى تعيش وحيدة في شقةٍ صغيرة

- حسنًا بني يبدو أن كل ما توقعته وعلمته صحيح

أبي أرجوك إخبرني بالأمر دون مقدمات أنا متعب كفاية

- أتعلم رجل الأعمال داوود صاحب شركات الزهرة الذي انتحر العام الماضي عقب إفلاس شركاته؟

نظرت لأبي وعلامات التعجب واضحة على وجهي، لا أعلم ما هو الرابط بين حديثه عن زهرة وهذا الرجل!

نظرت له أحثه على الإكمال

زفر أبي أنفاسه بتعب ونظر لي نظرة أرعبتني، نظرة تُخبرني أن الآتي لن يعجبني أبدًا

- زهرة تكون ابنته، والدها كان منافسي الوحيد بالفترة الأخيرة شركاته لم تكن بحال جيدة ويمكنك القول إنني سبب في هذا، ربما تراني شرير هنا أو شيء ما لكن هذا عالم الأعمال بني المنافسة هي كل ما توجد به لا مجال للعواطف.

ابتلع أبي ببطء وأنا فقط أنظر له لم أبدِ أي ردة فعل تُذكر

- قبل وفاته كان هناك صفقة بذل بها الكثير من الجهد وكلفته كل ما تبقى له من أموال حتى أنه اقترض من بعض البنوك ليتمم تلك الصفقة بأعلى المواصفات حتى يثق من كونه الرابح، ولكني وبطريقةٍ ما أخذت منه تك الصفقة المربحة وبالطبع خسر هو كل شيء

علمت بعدها بانتحاره وبحجز البنك على جميع أملاكه لذا دخلت المزاد الخاص بالبنك وقمت بشراء كل ما يخصه ومن ضمنها هذا المنزل الذي نقيم به الآن

لم أسمع عنه أي شيء بعد ذلك سوى بعد الحادث الذي أصابك قررت البحث وعرفت أن الفتاة التي أحببتها هي نفسها ابنته

وبقليل من البحث أدركت القصة كاملةً وقمت بربط جميع أطراف الحكاية العجيبة تلك ببعضها

توفت زوجة داوود بعد وفاته بأيام وقتئذ كانوا قد انتقلوا للشقة الصغيرة التي تقتن بها زهرة عقب وفاة الأم لم تخرج الفتاة من المنزل لعدة أشهر وعندما قررت الخروج كان للاستفسار عنك، هي حتى صادقت الخدم لتستخرج منهم كل

المعلومات وكل ما يعرفونه عنك.

انتقلت لجامعتك وعند سؤالي لأصدقائك أخبروني بأنها فتاة كفيفة ولكنها لم تكن كذلك، لقد خدعتك بني كل ما حدث بينكما خلال العام الماضي كان خدعة مجرد كذبة مارستها للانتقام مني عما فعلته بوالدها

عقلها الصغير أقنعها باستغلالك للانتقام مني، وأخر ما عرفته أنها هاجرت خارج البلاد، وهذا من حُسن حظها فلو كنت وجدتها لم أكن سأرحمها مطلقًا بسبب ما افتعلته بك

باختصار شديد أنت وقعت في خُدعةٍ كبيرة وكل ما عايشته لم يكن حُبًّا بالمرة، لذا بني يجب عليك التماسك يكفيك نحيبًا على تلك المخادعة.

كنت أستمع لما يقوله أبي بتركيزٍ كبيرٍ كل كلمةٍ خرجت من ثغره كانت تمر عبر قلبي وليس عبر أذناي

كان يتحدث بأريحية كبيرة رغم نظرته الحزينة كأنه يَقُصُّ علي قصة ما قبل النوم

قصَّ علي أبي كل ما عرفه عن زهرة من معلومات ولكنه أسقط أهم معلومة أنه السبب الواحد والوحيد لما ألم بي وبها

هو الظالم والمخطئ هنا وليس هي.

لذا أنا فقط نظرت له عندما انتهى من حديثه وسحبت جسدي خارجًا من غرفة مكتبه لأتجه نحو غرفتي وفراشي

أختبئ أسفل الأغطية فما رواه أبي لي يفوق احتمالي وقدرتي على الاستيعاب، أنا الآن بحاجة للنوم

النوم فقط ولساعات طويلة .....

مرّت الكثير من الساعات بينما أنا نائم أسفل الأغطية الكثيرة ، قررت الهرب من التفكير في كل ما أخبرني به أبي بالنوم، النوم والكثير من النوم.

كان يتفقدني أبي والخادمات بين حين وآخر ولكني لم أهتم لهم أو أصدر أي استجابة، أخشى الاستيقاظ، أخشى التفكير فيما قاله أبي وفي نوايا زهرة الحقيقية.

ولكن مهما طال الوقت لن أظل نائمًا للأبد، استيقظت مساء اليوم التالي وصداع قوي يفتك برأسي، معدتي تأن تشكو قلة الطعام.

تناولت وجبةٍ صغيرة حتى تُصمت أنين أمعائي الشاكية وتناولت دوائي أجلس أسفل نافذة غرفتي علَّ الهواء والنسيم البارد يقلل من حدة الحرارة التي أشعر بها داخل قلبي.

أعدت جميع كلمات أبي داخل عقلي أسترجع ما قصه على مسامعي، كانت معدتي تعتصر ألمًا وتقززاً من التفكير فقط.

زهرة خائنة هي فقط فعلت ما فعلت للانتقام والإيقاع بي، ولكن لا لا يمكن أن تكون زهرة كما وصفها أبي

حتى لو كانت فهو السبب لقد سلبها كل شيء، كل شيء بكل ما تحمله الكلمة من معنى

سلب أبيها عمله ليُنهي حياته بطريقةٍ مُفزعة، لا يُمكنني تخيل مدى الألم والقهر الذي شعرت به هي، حتى والدتها لم تحتمل وفارقتها سريعًا.

فتاة يافعة انقلبت حياتها رأسًا على عقب فقدت كل شيء في لحظات، فقدت الأب والمنزل والحياة التي اعتادت عليها لتجد نفسها وحيدة دون عائلٍ أو منزل.

ولم يكتفي أبي بذلك بل سلبها منزلها وانتقلنا نحن إليه، لن ألومها على ما فعلت لا يمكنني لومها فنحن نستحق أكثر من ذلك ولكن قلبي يؤلمني فقد أحببتها بكل صدق

لا يمكنني التصديق أنها خدعتني

هل كان جل ما بيننا مجرد تمثيل؟؟

ألم تحبني زهرة ولو قليلاً؟؟

لمَ أشعر بخلاف ذلك!!

لما أشعر أن ما بيننا لم يكن مجرد خدعة؟!!

آه قلبي يحترق أشعر بخلايا عقلي على وشك الانفجار من كثرة التفكير

من أصدق؟

هل أصدق كلمات أبي أم أصدق إحساسي؟!

زهرة لم تخدعني هي أرادت الانتقام ولكنها أحبتني، جميع ما حدث بيننا يُثبت ذلك

ربما تفكيرها في الانتقام هو السبب بكل هذا الحزن المتجلي

على وجهها دومًا وتلك البسمة المنكسرة.

آه يا نجمة قلبي لما اقترفتِ هذا الإثم؟

لمَ لم تصارحيني كنت سأغفر لكِ مهما فعلتِ، ليتك فقط أخبرتيني كنت تركت العالم أجمع وتمسّكت بكِ أنتِ.

استمررت على هذا الحال ثلاثة أيام كاملة أفكر وأفكر وأفكر وفي صباح اليوم الرابع اهتديت إلى قرار .....

ذهبت إلى أبي لأخبره بما أردت أخيرًا..

أبي أرغب بمغادرة المنزل لفترة، سأذهب لمنزلنا الريفي القرية هناك هادئة سوف تساعدني كثيراً.

- حسنًا بني كما تريد ربما هواء الريف يساعدك على الاستشفاء حقًا.

نعم قررت مغادرة هذا المنزل ولو لفترةٍ قصيرة مجرد معرفتي أنه منزل زهرة السابق وتم سلبه منها كما فقد أبيها روحه داخل جدرانه أختنق

أشعر بالضيق والاختناق لا أستطيع مواصلة العيش هنا على الأقل لفترة حتى أعيد تنظيم أفكاري، لذا غادرت لمنزلنا الريفي.

منزلنا الريفي ذات طراز كلاسيكي بسيط يقبع وسط حديقة شاسعة تحيطه الخضرة من جميع الاتجاهات منظر مريح للعين وهواء عليل يُشفي القلب.

مرَّ القليل من الوقت على وجودي هنا ثلاثة أسابيع ربما، كنت كل ما أفعله هو محاولة الاسترخاء و النسيان

نسيان زهرة ونسيان ما حدث ، فهي هاجرت من البلاد وأعتقد أنها لن تعود مرة أخرى.

برغم محاولاتي البائسة لنسيانها إلا أنني كنت أتمنى في قرارة نفسي عودتها

تمنيت أن تعود لي، رغم فعلتها ولكني سامحتها هي كانت مُحقة فيما فعلت على الأقل من وجهة نظرها

هي فقدت كل ما تملك وأجبرت على الرحيل بينما أنا فقط تم كسر قلبي.

أصدقاؤنا لم يعلموا عنها أي شيء مهما بحثوا، لا يمكنني وصف صدمتهم عندما علموا بما حدث ولكن الجيد في الأمر أن رأي الأغلبية كان مشابهًا لرأي خاصةً صديقي المُقرب " مُنذر "، مرت الأسابيع وحالتي بدأت تتحسن قليلاً.

حينها قررت مغادرة الريف والعودة لحياتي السابقة، لا يوجد

أي منفعة من بقائي وتضييع أيام عمري أبكي على ما حدث فقد أوشكت على إتمام عام كامل أبكي على مغادرة نجمة قلبي.

أشكو مفارقة زهرتي ولكن مهما بكيت أو شكيت لا يوجد نفع فقد انتهت قصتنا قبلما تبدأ، وأنا بالكاد استعدت صحتي لذا يجب علي المقاومة والعيش.

العمل هو الحل الأمثل لذا قررت العمل مع أبي في شركاته، تلك الشركات التي سلبتني حبي، ربما إرهاق ذاتي بالعمل يُخفف من ثقل قلبي ويُنسيني القليل من حزني.

كنت أرهق نفسي جسديًا وعقليًا بالعمل حتى أغفو من الإرهاق بلا تفكير أو للحق كنت أفكر بها في الدقائق الأخيرة قبلما يسلب النوم وعيي.

كنت أفكر بزهرتي بينما أنظر للصورة الوحيدة التي أملكها لها كانت صورة التقطها لها دون علمها بينما كنا في حديقة الجامعة

كانت ترتدي ثوبًا أزرق رقيقًا والنظارة السوداء الكبيرة تُغطي الكثير من ملامحها بينما تنظر للجانب الآخر.

والآن بالتفكير في الأمر هي بالتأكيد تعلم عن الصورة وعن التقاطي لها ذلك اليوم

تمنيت لو أعلم شكل ولون عيناها لطالما تمنيت رؤيتها ولكنها

بخلت علي بذلك

آه كيف حالك يا زهرتي اتتألمين أنتِ أيضًا والحزن يُؤرق مضجعك كما يفعل بي؟؟

اتمنى أن تكونين بخير في مكانك البعيد وحالك أفضل من حالي.

كنت أتذكر زهرة كلما رأيت أقحوانة، كلما ذهبت لمكانٍ قمنا بزيارته معًا، كلما رأيت فتاة تُشبهها كنت أكذب على نفسي بأنني نسيتها أو تجاوزت حبها، فانا أحبها كما كنت منذ عامين ولكني لم أتجاوز الخيبة التي أصابتني قط.

حياتي كانت عبارة عن العمل وفقط الكثير من العمل، تأقلمت على الحياة ولكن كان يزيد حنقي على نجمة قلبي يومً بعد يوم

فبسبب فعلتها تغير مجرى حياتي وأصبحت أحيا بشكل لم أكن اتمناه أبدًا، ولكن مع ذلك أنا في وطني وبجانبي رفاقي ومعارفي ومنزلي بينما هي في مكانٍ بعيد وحيدة لا يعلم حالها إلا الله وحده.

مرَّ يوم يليه الآخر والشهور أصبحت عام والعام أصبح ثلاثة،

ثلاثة أعوام من الحزن ثلاثة أعوام بدون نجمة قلبي بدون زهرتي.

كنت أتعايش بها كما تمر بي الأيام ، استمر وضعي على هذه الحال حتى وصلتني رسالة ..

رسالة وصلتني من بلدٍ غريب في يومٍ من أيام الأسبوع، كنت بالعمل كنا في منتصف شهر مايو الجو لطيف وساعات يومي تمر بالعمل كالعادة حتى استأذنت مساعدتي بالدخول تَخبرني بوصول رسالةٍ لي.

لم أكن معتادًا على استلام رسائل من أي شخصٍ فنحن في عصر التكنولوجيا حيث اندثرت الجوابات والرسائل الورقية

استلمت منها الظرف وشكرتها ليدق قلبي بعنف ويعود لي ذات الشعور الذي مررت به قبل ثلاثة أعوام في تلك الشقة الصغيرة بالحي الهادئ الذي تسكن به هي .. تسكن به زهرة

رسالة منها...

رسالة من نجمة قلبي ومحبوبتي التي غدرت بي قبل ثلاثة أعوام، بينما أنا أتلوى حسرةٌ استغرق منها الوقت ثلاثة أعوامٍ لإرسال رسالة .....!

فتحت الرسالة بقلبٍ وجل خائفٍ من الأحرف المنقوشة بها، لا أعلم ماذا سوف تخبرني زهرتي بعد مرور كل هذا الوقت

أخذت عدة دقائق أستجمع شجاعتي بها لأقرأ ما سطرته غاليتي و كانت الرسالة كالتالي ..

عزيزي وحبيبي مراد ..

أحببت عدوي للدرجة التي أفقدتني صوابي، مشاعري في تصارع مستمر تتأرجح بين الحب والكره تتأرجح بين المسامحة والانتقام لا أعلم أيهما الأصدق هل هو الحب أم الانتقام؟!!

لا أعلم أيهما أختار؟

هل أنسى الماضي وجُرح قلبي واختار الحاضر بما فيه من مقدماتٍ رائعةٍ لمستقبل بهي مع عدوي الرائع .. ؟

عدوي صاحب القلب النقي والمشاعر البريئة

هل ستكرهني عند علمك بالحقيقة يا عدو قلبي؟؟

لم تكن أنت المقصود بفعلتي كان والدك الذي أذاقني مرارة الفقد و آلم الخسارة .. خسارة كل شيء والداي و أموالي وحتى منزلي.

منزلي الذي تسكنه أنت الآن يا ساكن قلبي، لا أعلم هل الاعتذار سيمحو أخطائي؟

هل يجب علي الاعتذار من الأساس؟!!

يؤلمني قلبي فـ أنا أشتاق لك كثيرًا .. أشتاق لتلك البسمة وذلك الصوت، نعم أنا كاذبة فـ أنا كنت أرى كل لفتة وكل حركةٍ منك.

نجمة قلبك نادمة يا ملاكي فهلا أصفحت؟

يتآكل قلبي اشتياقًا وأصابني الألم مضاعف آلم عائلتي وآلم قلبي، أرغب بالعودة إليك إلى وطني وإلي مكاني .. إلى قلبك .. أرغب بقربك وبشدة ولكني خجلة من أفعالي.

على كلٍ أردت إخبارك إني أتمزق كما أنت تألمت .. أتمزق غربةٌ وهجر

وكل ما أتمناه بعد تلك الأعوام هو رؤياك ..... محبوبتك وخائنتك زهرة.

(٣)

زهرة

كنت ألملم حاجياتي ودموعي تأبى التوقف كلما حاولت حزم قطعة من أشيائي ترددت وودت الركض إليه والاعتراف بكل شيء مما خططت له.

لم أكن أتوقع الوقوع له بتلك الطريقة، كيف أغادر وأتركه أترك الشخص الوحيد الذي أمتلكه الآن بعدما فقدت كل شيء!

خططت للهرب حالما تصل الأمور إلى وضعٍ جاد، لما كان عليه التسرع في طلب الزواج هكذا؟؟؟

ألم يستطع الانتظار عامين أو ثلاثة على الأقل

لمَ يجب علي ترك جميع من أحببت بسبب رجلٍ واحد، اللعنة على أبيك يا مراد فليحترق في الجحيم الأبدي.

حالما أخبرني مراد حول رغبته في أن يتعرف أبيه علي أنا زوجته المستقبلية سعيت في البدء بتنفيذ ما خططت له، قمت ببيع كل ما أملك الأثاث و الشقة الصغيرة التي أقتن بها حتى أستطيع تجميع ثمن تذكرة الطائرة و شقة صغيرة أقتن بها في المكان الذي سأهرب إليه.

السفر لم يكن صعبًا والشكر لتعليمي الرفيع على مدار السنوات السابقة وأيضًا لجواز سفري المتخم بالتأشيرات للعديد من الدول.

قمت باختيار دولةٍ بعيدةٍ، بعيدة للغاية عن هنا أتقن لغتها حتى لا يصعب علي العيش بها.

بينما كنت أصارع دموعي وخفقات قلبي لمغادرة هذا المكان كان محبوب قلبي يستعد للموعد الهام واثقة من أنه الآن يقف أمام المرآة يختار أي ربطة عنق سيرتدي يرغب بالتأنق رغم علمه بعدم مقدرتي على رؤيته .....

أخيرًا انتهيت من حزم أشيائي تركت مفتاح الشقة للمالك الجديد وغادرت، غادرت بينما أحترق كنت جالسة في المطار لا أفعل شيئًا سوى البكاء، البكاء حسرةً على ما فقدت على أهلي وأحبائي و ألمًا على محبوب قلبي مراد الذي فارقته وأنا كلي علم بما سيُصيبه من ألمٍ ومرض ولكن تلك كانت خُطتي منذ البداية.

حان موعد رحلتي لذا كفكفت دموعي واستقمت أجر حقيبتي وأترك خلفي خيبتي وحبي وأحزاني لأبدأ من جديد بعيد عن هنا بعيد عن كل خيبات الأمل التي آلمت بي.

بينما كنت في الطائرة أحلّق بين الغيوم كان مراد بانتظاري أسفل البناية للذهاب في موعدنا تُرى محبوب قلبي ماذا يرتدي؟

هل هو سعيد ومبتهج في انتظاري؟

ماذا ستكون ردة فعله؟ أتمنى ألا يُصيبه سوء

فقط القليل من الحزن وبعدها ينسى أمري للأبد

اللعنة على شركات الأدهم وعلى مالكها .....

استغرقت رحلتي الكثير من الساعات لا أعلم ما حدث لمراد خلالها ولكن كل ما أعلمه أن تلك الصفحة من الكتاب يجب أن يتم حرقها حتى لو كان ثمن ذلك حرقي أنا أيضًا.

وصلت أخيرًا للمدينة التي قررت الإقامة بها، بعدما انتهيت من كل شيءٍ متعلق بي في المطار توجهت لعنوان الشقة الصغيرة التي قمت بشرائها قبل مغادرتي، الشكر لشبكات الإنترنت وإلا ربما كنت أنام بالشارع الآن.

على أي حال صعدت درجات السُلَّم أجر حقائبي الثقيلة وبيدي

الأقحوانة التي أهداني إياها مراد فهي الذكرى الوحيدة الباقية منه.

المكان كان صغيرًا جدًا وبارد خالي من المشاعر والألفة، غرفة صغيرة ملتحق بها مطبخ صغير وحمام وهناك صالة صغيرة للغاية تقع في أوسطهم

غرفة النوم كانت تحتوي على نافذة زجاجية كبيرة بحجم نصف الجدار ربما، على ما يبدو سيكون أسفل تلك النافذة مكاني المفضل.

يوجد سرير صغير يتوسط الغرفة و خزانة متوسطة الحجم بينما الصالة يوجد بها أريكة متوسطة الحجم و طاولة وكرسيان خشبيان

الأثاث المناسب لشخص مغترب و وحيد مثلي تمامًا، لم أفعل أي شيء سوى وضع آنية الزهور الخاصة بالأقحوان أسفل الشرفة وارتميت على السرير أغرق في ثباتٍ عميق.

مرَّ أسبوع وأنا على ذات الحال حبيسة تلك الشقة حزينة ووحيدة مما أعاد لي ذكريات وفاة أمي عندما ظللت حبيسة المنزل لعدة أشهر، ولكن كل ذلك سيمر سوف يأخذ الحزن وقته ويمر ...

قبل مغادرتي للوطن بحثت عن عملٍ يناسبني وبالفعل وجدت

واحدًا، كان عمل كمترجمة في إحدى معامل الترجمة وذلك نظرًا لإتقاني عدة لغات، وغدًا هو يومي الأول بالعمل.

كنت جالسة أسفل نافذتي الواسعة بجوار الأقحوانة أتأمل السماء والقمر الساطع فبرغم صغر تلك الشقة ووجودها بحي ليس الأفضل على الإطلاق إلا أنها تمتلك إطلالة رائعة تُسحر الأعين.

ذبلت كثيرًا في الأيام الماضية فأنا بالكاد أكل عدة لقيمات، عيناي متورمة يكسوها الاحمرار لكثرة بكائي خاصةً بعدما علمت بإصابة مراد في حادثٍ يوم غادرته.

ذكرت الصحافة أن الحادث لم يكن خطيرًا ولكن لمجرد تفكيري أنه حدث بسببي يؤلمني للغاية، ضميري وقلبي يُعذبانني كعذاب جنديٍ لعدو وطنه أشعر بقلبي يدمي وضميري ينهشني لما افتعلته به

ولكن كل هذا سيمر سوف ينجلي الحزن والألم لن يستمرا للأبد، ومراد سوف يكون بصحةٍ جيدة ويتجاوزني ..... يتجاوز خيبتي

ظللت على حالي أسفل تلك النافذة لمدةٍ طويلة احتضن قدماي وأتأمل السماء حتى تأخر الوقت لذا مسحت تلك الدموع الغبية وقررت النوم عملي يبدأ في الصباح الباكر ولا أريد أن يتم

طردي منذ بداية عملي فأنا أحتاج لراتب حتى أستطيع العيش هنا في وحدتي وغربتي.

ارتميت على فراشي أتلحف خيبتي وحزني ولم أشعر سوى صباحًا مع رنين التنبيه الذي وضعته، استيقظت وارتديت ملابسي الأنيقة فهو يومي الأول بالعمل ولكن وجهي كان يعكس جميع أحاسيسي من حزن وتعب.

العمل يبدأ في الثامنة صباحًا وينتهي الثالثة ظهرًا وهناك ساعة راحة للغداء في الثانية عشر ظهرًا، ويبعد عن مسكني قرابة الثلاثون دقيقة بالحافلة.

كنت جالسة بالحافلة أراقب الطريق عبر النافذة بجواري وكل ما يدور بخلدي هو مراد

تُرى كيف حاله؟

هل أصيب بشدة في ذلك الحادث؟ هل يفتقدني؟

وبين سؤالٍ وسؤال وصلت الحافلة لمحطة نزولي، زفرت أنفاسي واستجمعت شجاعتي مسحت عيناي بأطراف أصابعي حتى تبتعد تلك الدموع الغبية وترجلت أبحث بعيني عن اسم المكتب الخاص بعملي الجديد حتى وجدته يقبع بالجانب الأخر

من الشارع "مكتب حروف وكلمات للغات والترجمة" يا له من اسم.

صعدت درجات السلم بهدوء حتى وصلت لتقابلني فتاة حسناء تبدو في عمر مقارب لعمري، استقبلتني وهي بالفعل كانت بانتظاري.

فتاة مبتسمة المحيا ورقيقة الصوت تبدو لطيفة، تعارفنا اسمها هو " صوفيا " وعلمت حينها أنها شريكة بمعمل الترجمة مع صديقها " فيتال " وهما الاثنان فقط من يعملان به فهو تم افتتاحه منذ فترةٍ قصيرة.

كان لي مكتبٌ صغير يخصني وحاسوب خاص بالعمل، بعدما تناولنا فنجانين من القهوة و دردشنا قليلاً نتعرف على بعضنا البعض تركتني أستكشف المكان حتى أعتاد عليه وأبدأ العمل بأريحية.

أخبرتني بأن شريكها أو بمعنى أوضح مديري الآخر خارج المدينة وسيعود خلال أسبوع، حديثها كان لطيفًا للغاية ومطمئن فهي طلبت مني أن نتعامل بأريحية كأصدقاء، كما أخبرتني عن صديقها فيتال بأنه مثلها أيضًا يمتلك الشخصية ذاتها مما سهل عليهم أن يتشاركا في عملٍ واحد ويبدو سوف يسهل علي عملي أنا أيضًا.

تجولت في المكان هو مكون من ثلاثة غرف لكل منا غرفته الخاصة ومكتبه الخاص به للعمل، شرفة فسيحة تطل على الشارع الرئيسي تبدو منعشة ولطيفة لاحتساء فنجان من القهوة ومراقبة المارة، المكان مريح نفسيًا كما أنه من الواضح أن زملاء العمل أشخاص جيدين

أتمنى أن يملأ العمل عقلي وأفكاري ويُبعدها عن مراد، رتبت أشيائي على المكتب الخاص بي غرفتي كانت مطلية بالأبيض بالكامل وأنا شاكرة لهذا فهو لونٌ مريح للقلب قبل العين.

تنفست عميقًا لأبدأ عملي والذي كان ترجمة من اللغة الفرنسية للإيطالية، كنت أحاول بشتى الطرق التركيز على العمل، العمل وفقط العمل حتى لا تتشتت أفكاري وعقلي يذهب عند محبوب قلبي مراد كما العادة.

صببت كامل تركيزي وطاقتي على الحاسوب والكتاب أمامي حتى شعرت بيد شخصٍ ما على كتفي لأجفل بشدة .....

آوه صوفيا ما الأمر لقد أفزعتيني

- آسفة ولكني أحاول محادثتك منذ دقائق ولكنك لم تنتبهي كنتِ شاردة في الحاسوب أمامك لدرجة إنكِ لم تتنفسي حتى، لقد أرعبتيني يا فتاة حقًا.

أعتذر .. لم أنتبه هل هناك شيءُ ما؟

- أجل هناك شيءُ ما، أنتِ لم تتناولي شيئًا منذ فنجان القهوة صباحًا والآن موعد الغداء هيا لنذهب لمطعمٍ قريب حتى نحصل على طعامنا، ألم تشعري بالجوعِ بعد؟!

لقد نسيت تمامًا تركيزي الكامل كان منصب على العمل.

- حسنًا هيا إذاً، هناك مطعم لطيف بالقرب من هنا نحن بالعادة نأكل الغداء هناك، يجب عليكِ تناول الطعام هيا بنا، كما أن الغداء اليوم علي

- إذا من هي صاحبة العمل اللطيفة الآن؟

إنها صوفيا، لحنتها بنغمة لنضحك معاً فهي حقاً لطيفة.

تشابكنا الأيدي ومشينا لمدة ربما سبع دقائق أو ما يقاربها حتى وصلنا للمطعم والذي كان مميزًا حقًا فهو يملك نوافذ زجاجية ضخمة بمساحة الحوائط ، هناك أوانٍ ورد متوزعة هنا وهناك بطريقة جمالية مميزة.

الكراسي والطاولات باللون البني الداكن، الجدران باللون الأبيض متداخل بلون يشابه لون حجر الفيروز ولكنه أفتح

قليلاً، هناك بعض اللوحات الفنية المبهجة تزين الجدران، هذا المطعم يملك هالة مريحة وغريبة بالوقت ذاته فهو يجمع بين الكلاسيكية والعصرية في الوقت ذاته

يبدو منعشاً ولطيفًا نهارًا ولكني أعتقد أنه بالمساء يكون راقيًا كلاسيكيًا خاصةً مع البيانو الكبير الذي بالمنتصف.

- بإمكاننا الجلوس بالطاولات الخارجية لو أردتِ

لا المكان بالداخل لطيف أيضًا

- إذاً لنجلس

أكثر شيء كان مريحًا بالنسبة لي أن صوفيا شخصًا مبتسم، عندما رأيتها وتحدثنا بالصباح شعرت بأني ولأول مرة سوف أحصل على رفقة حقيقية بعيدًا عن حياتي السابقة وما حدث بها.

بمجرد جلوسنا وجدت فتاة بابتسامة واسعة قادمة نحونا ومن الواضح من زيها أنها تعمل بالمطعم

- عزيزتنا صوفيا متأخرة لليوم، كما أنها تمتلك رفقة بدون علمي يا لها من خائنة تلك الصوفيا

كانت تتحدث بابتسامة واسعة وثقة كبيرة، بينما تنظر لها صوفيا بازدراء، لن أنكر لقد شعرت بالقلق لوهلة من طريقة الحديث والنظرات بينهما، ولكن كل هذا تبدد بلحظة عندما

انفجرا بالضحكات هما الأثنان

وذلك أثار تعجبي وريبتي أكثر إن صدق القول.

- إلهي ليزا انظري لوجهها علامات الصدمة والارتياب تصرخ على جميع ملامحها

قالتها ضاحكة لينظرا لي معاً

- زهرة عزيزتي هذه ليزا صديقتي المقربة وهي ابنة مالك هذا المطعم نحن أصدقاء منذ عمر السابعة، هي بمثابة شقيقةٍ لي وليست مجرد صديقة.

- ليزا هذه زهرة المترجمة الجديدة لمكتبنا أتمنى أن تصبحا صديقات أيضًا فهي ستكون زبونة دائمة هنا اخبري العم توني بذلك ليصدر لها خصم بنسبة كبيرة فهي ضيفة على دولتنا ويجب علينا تدليلها.

ابتسمت لي تلك المدعوة ليزا ومدت يدها لتسلم علي بحرارة شديدة، هي أيضًا تبدو لطيفة كما أنها جميلة بهذا الشعر الأصهب والنمش اللطيف المتوزع على بشرتها.

- مرحبًا زهرة أتمنى أن المكان نال إعجابك.

هو بالفعل أكثر من رائع هو مريح ويملك هالة لطيفة

- اوه يا لها من مجاملة رائعة من عزيزتنا زهرة، ولذلك الغداء اليوم على حساب المحل كما يقولون بالأفلام

- قمن باختيار ما تشئن عزيزاتي، أتمنى لكِ إقامة سعيدة زهرة والآن يجب عليا متابعة عملي حتى لا يقتلني أبي.

صديقتك ليزا تبدو لطيفة مثلك تمامًا صوفيا

- شكراً لكِ على هذا الإطراء الرائع ولكن ليزا مجنونة بعض الشيء وليست لطيفة سترين ذلك مع الوقت.

طلبنا الطعام وجلسنا نتسامر قليلاً ، صوفيا تكبرني بثلاثة أعوام ، أخبرتني عن قصتها هي وفيتال حيث كانا زملاء بالجامعة ودرسا عدة لغات بجانب الجامعة حيث كانا شغوفين للغاية تجاه تعلم لغات مختلفة وزيارة مختلف بلدان العالم

وبعد انتهاء دراستهم لم يستطع أحدهم البقاء في عمله سوى عدة أشهر لذا اجتمع الصديقان وقررا فتح معمل للترجمة وها هم ذا يعملون بالمجال الذي يناسبهم.

- زهرة هل بإمكاني سؤالك عن شيءِ ما؟

بالطبع تفضلي

- لما اختارتِ مغادرة وطنك بإمكانك العمل بالترجمة في بلدك؟

اعذري فضولي لكن قرار الهجرة صعب بعض الشيء، كما لم يُخفى علي هذا الحزن الطاغي على وجهك.

زممت شفتاي لا أعرف بما أجيب سؤالها والذي توقعته بالطبع ولكن ليس الآن على أقل تقدير

أنا فقط فقدت والداي ومنزلي لذا لم يعد لي مكان بمدينتي، والآن بما أنني هنا فهذا هو وطني ومكاني الحالي، لا أملك ما أتمسك به حيث كنت أقطن (كاذبة يا أنا فأنتِ غادرتي تاركةً خلفك حبك وقلبك وكل ما تملكين)

أما عن هنا فهذه المدينة رائعة ربما تساعدني على بدء حياةً جديدة.

- حسناً أتمنى لكِ إقامة مريحة وتأكدي أصبح لكِ صديقة هنا لن تكوني وحيدة بعد اليوم.

قالتها بينما تربت على ظاهر يدي بابتسامة حنونة، انتهى الطعام وحان وقت مغادرتنا ودعتنا ليزا وعدنا أدراجنا للمكتب.

انتهت الساعتين التاليتين في لمح البصر، كنت خائفة من العودة للمنزل، خائفة من البقاء بمفردي مع أحزاني وأفكاري

خائفة من البقاء بمفردي مع عقلي العابث بدواخلي، أشعر بالضيق بمجرد التفكير بقضاء كل تلك الساعات بمفردي حتى صباح اليوم التالي حتى موعد العمل.

- زهرة أترغبين في التنزه قليلاً ورؤية المدينة عن قرب ؟

آسفة صوفيا ولكني مرهقة بعض الشيء لنؤجلها للاحقًا

- حسناً هيا بنا حان وقت المغادرة.

ودعتها وانتظرت الحافلة حتى أعود لمسكني الخالي من كل شيء عدى خيبتي وحزني، برغم عدم رغبتي في العودة لكني لم أستطع تلبية دعوة صوفيا بالخروج.

فأنا طاقتي بالكاد تكفيني للتنفس ولن أتحمل معاناة الابتسام وتبادل أطراف الحديث، وبعد ثلاثون دقيقة في الحافلة أو أقل وصلت للمنزل.

وما فعلته خلال الساعات الباقية من اليوم كان كما البارحة والأيام السابقة القليل من البكاء والنحيب والكثير من مراقبة النجوم والنوم.

مرَّ الأسبوع الأول من العمل بالروتين ذاته، عمل ثم غداء في مطعم ليزا أو والدها العم توني والذي تعرفت عليه بالمناسبة هو رجل في أواخر الخمسينات مرح ويملك روح عالية من الدعابة ولكنه صارم مع ليزا ويوبخها دائمًا.

أيضًا وصل فيتال من رحلته وتعارفنا هو يملك ذات الشخصية التي تمتلكها صوفيا ولكنه أكثر صخبًا.

الأيام تمر ببطءٍ شديد، أقضي ساعات يومي أجلس أسفل النافذة أنظر نحو السماء، لا توجد أخبار عن مراد في الصحف وهذا شيء جيد فكما يقولون لا أخبار فهي أخبار جيدة، حاولت آلاف المرات مهاتفته ولكن كنت أمنع نفسي في أخر لحظة.

عليه نسيان أمري للأبد وعلي تخطيه مهما كلفني الأمر، الأيام تمر علي حزينة وجافة تتغير الفصول والأجواء وما زلت أنا وحيدة كما العادة أبكي قليلاً أنام كثيراً.

أفكر في مراد طوال الوقت، أتابع أخبار والده يومً بيوم، أراه يتكبد العديد من الخسائر ولكن رغم ذلك لم أكن سعيدة لم أستطع الاحتفال كما تخيلت.

قلبي يؤلمني ويبدو أنني نسيت معنى السعادة أو كيف يفرح الإنسان من أعماق قلبه.

ستة أشهر مرت علي وأنا هنا بالطبع تقاربت كثيرًا من صوفيا وفيتال وليزا أيضًا، كنا نخرج في بعض الأيام للسهر معًا أو للعشاء أو حتى للتنزه

ولكن هذا لم يُغير حقيقة الأمر حقيقة أنني وحيدة مع أفكاري من الثالثة عصرًا وحتى الثامنة صباحًا.

اليوم عيد ميلاد فيتال لذا سوف نحتفل ليلاً بالمطعم مع بعضًا من الأصدقاء والعائلة، كان عيد ميلاد ظريف أخوة فيتال أكثر منه صخبًا وعندما أقول صخب فأنا أعني المعنى الحرفي للكلمة ، كانت أمسية ظريفة.

عدت إلى منزلي منهكة فأنا طوال اليوم كنت بالخارج لذا فقط كل ما فعلته هو النوم بجسدٍ مرهق وعقل وقلب منهكين حزناً وتفكيرًا ...

استيقظت صباحًا بعقلٍ فارغ لأنهي روتيني اليومي وأودع أقحوانتي وأغادر، في منتصف اليوم ومع تفكير عميق أدركت أن إنهاكي الجسدي ساعدني على تخطي اليوم

ربما ما أنا بحاجته هو عمل إضافي يُرهق جسدي وتضيع به ساعات يومي التي أقضيها في نحيبٍ مستمر، لذا وضعت الفكرة بعقلي علي إيجاد عمل إضافي في أسرع وقت، ساعات يومي الفارغة لابد من أن تمتلئ حتى أقلل من التفكير والاشتياق.

كنت أبحث عن إعلانات للعمل ولكن لم أجد واحدًا مناسبًا، مر أربعة أيام وأنا أبحث ولكني لم أعثر على ما يتناسب مع أوقات عملي بالترجمة.

كنا نتناول الغداء كما العادة وأنا مُلتهية عن الطعام بهاتفي أبحث عن عملٍ ليتنهد فيتال بعلو

- زهرة هل هاتفك سيهرب بعيدًا لو تركتيه وتناولتِ الطعام؟

- بالطبع لا، أرجو أن تنتبهي لطعامك عزيزتي كما أنتِ منتبهة لتلك اللعنة بيدك.

- فيتال اتركها تفعل ما تريد.

قاطعته صوفيا، لتنظر لي بشك

- ولكن حقًا زهرة ما الذي يشغل بالك هكذا؟

كما أنكِ تهملين صحتك على الدوام

زفرت بحنق شديد فهما لن يصمتا حتى يعرفا ما أفعل، رفاق أنا فقط أبحث عن عملٍ

- عمل ولما هل راتبك لا يكفي مستلزماتك؟

وهذا كان السيد فيتال اللحوح

يكفيني ولكني أشعر بالفراغ باقي اليوم والملل (والوحدة والحزن رغبت بإخبارهم عن مدى وحدتي وحزني ولكني اكتفيت بما قولت)

- ألهذا تبحثين عن عمل؟

أجل فيتال ولكني لم أعثر على واحدٍ مناسبٍ بعد لذا هلا ساعدتماني يا رفاق

- من يبحث عن عمل؟

وهذا السؤال كان من ليزا التي أتت تشاركنا الطعام، ليجيبها فيتال

- إنها زهرة تبحث عن عمل بدوام جزئي

- هممم إذاً آنسة زهرة العزيزة أترغبين بالعمل في مطعمي؟

سألتني ليزا بتفاخر شديد وللمصادفة أو لحظها السيء ربما والدها كان يقف خلفها تماما وكان ما أخذته هو ضربة على مؤخرة رأسها من العم توني

- إنه مطعمي أنا وأنتِ هنا تتباهين؟؟! هيا إلى المطبخ تقطيع البصل بانتظارك.

- أبي

- هيا

ضحكنا جميعًا على مشاجرة العم توني وليزا المعتادة

- عزيزتي زهرة أنتِ مُرحب بكِ للعمل هنا نحن بحاجة إلى نادل هل هذا جيد معكِ؟

أوه لقد تفاجأت حقًا ولكن أجل العمل هنا يبدو أفضل بالنسبة لي، شكرًا لك كثيرًا ولكن كما تعلم أنا أعمل في مكتب صوفيا هل عملي من الثالثة وحتى التاسعة أو العاشرة مناسب لك؟

- بالطبع هذا الوقت هو وقت الذروة بالنسبة للمطعم، وأجل قبلما تسألين أنا أعلم لا خبرة لديك في مجال المطاعم لذا ليزا سوف تساعدك، كما يمكنك أخذ إجازة متى ما رغبتِ، هل اتفقنا؟

بالطبع عم توني أشكرك كثيرًا أنت مُنقذي.

ليربت على كتفي ويخبرني على الرحب صغيرتي أنتم جميعًا مثل أبنائي ومُرحب بكم على الدوام.

لقد انتهت مشكلة العمل، عدت للمنزل سعيدة للغاية في هذا اليوم فمنذ الغد سيمتلأ يومي بالعمل لعل انشغالي يُريح قلبي المُتعب ولو قليلاً.

في اليوم التالي استيقظتُ بطاقةٍ كبيرةٍ للغاية لأستعد ليومي الحافل بالعمل بل الكثير منه، طوال فترة وجودي بمكتبي كان يُلقي فيتال علي نظرات مريبة ومرعبة بعض الأحيان ينظر لي بصمت أعلم هو يريد قول شيء ما ولكنه متردد، أيضًا أعلم رفضه عملي بالمطعم ولكن لا أحد منهم يدري عن حياتي وعن ساعات يومي التي أقضيها غارقة في أعماق الخيبة والحزن.

فيتال ما رأيك أن تُلقي ما بجعبتك بدلاً من المراوغة بالنظرات فأنت تشتتني بنظراتك المرعبة تلك.

- لمَ ترغبين بالعمل في المطعم؟ أنتِ لستِ بحاجة للمال ولا تملكين أحدًا لمَ لا تقضي يومك بالتنزه والمرح؟

أنت سألت السؤال وأجبت في الجملة ذاتها، أنا لا أملك أحد بينما تعودان لعائلاتكم أنا أعود لجدران المنزل الخاوي من كل شيء، لذا العمل هو الحل الأمثل لي أتمنى أن تتفهم ذلك فأنا لا قدرة لدي على النقاش في هذا الموضوع مرة أخرى كنت غاضبة بعض الشيء في حديثي.

- زهرة أنا مُدرك بوجود شيء ما في حياتك وبالطبع لن أضغط عليكِ لمعرفته فهي حياتك الخاصة كل ما عليكِ معرفته أننا بجوارك صوفيا وأنا وليزا حتى عائلتنا، نحن الآن أصدقاء لن أتطفل على حياتك أكثر من ذلك، لكن عليكِ الاهتمام بصحتك فالعمل طوال اليوم مرهق للغاية.

قالها بينما يمسك بيمناي ويشد عليها وابتسم لي ابتسامة صادقة، لأبادله الابتسام

أعلم ذلك أنتم عائلتي هنا، شكرًا لاهتمامك فيتال.

- هي لا يوجد بيننا شكر

حسناً...

عدت لعملي حتى انتهى اليوم وحان وقت ذهابي للمطعم، لتقابلني ليزا بعناقٍ حارٍ

- مرحباً بكِ في مطعمنا أرجو أن ينال العمل معنا استحسانك.

شكراً ليزا أنا ممتنة لكِ للغاية وبالطبع للعم توني.

- إذن لنبدأ

مرَّ اليوم الأول بتعلمي أساسيات العمل، الساعات كانت تتقافز بسرعةٍ مريحة، عدت للمنزل في العاشرة والنصف مساءً لألقي بجسدي على الفراش وأغرق في عالم الأحلام.

استمرت الأيام التالية على ذات الحالة أستيقظ باكراً أذهب للعمل أعود مساءً منهكة الجسد خائرة القوى أرتمي على فراشي وتتكرر الأحداث ذاتها في اليوم التالي.

سأكون كاذبة إن أخبرتكم أنني سعيدة أو أنني لم أعد أبكي، أنا لازلت تعيسة وأبكي وأيضًا أجلس أسفل نافذتي بجوار الأقحوانة وأتأمل السماء في صمتٍ مريع ولكني لم أعد كالسابق العمل لا يترك لي مساحةً كافية للحزن.

رغم هذا مازال مراد يحتل كامل تفكيري، أشعر بالاشتياق له والرغبة في رؤيته تزداد وتضاعف مع الوقت.

كنت أحارب شعوري بالمرارة والوحدة بالعمل ولكني في قرارة نفسي أعلم أنه لا مفر، لا يوجد مهرب من مشاعري المتخبطة وحزني العميق مما فعلت.

حاولت مراسلته في الكثير من الأحيان ولكن أناملي كانت تقاوم، لتمر الأيام والأسابيع لأتمم عام على وجودي في هذه المدينة البعيدة كل البعد عن موطني ومحبوبي والأهم والأكثر آلمًا أنها بعيدة عن قبر والداي.

في كثير من الأحيان رغبت في زيارة قبرهما والتحدث مطولاً معهما، فقد اشتقت لهما كثيرًا ، اشتقت لمعانقتهم وأحاديثهم، ضحكات أمي ونظرات أبي المحبة

اشتقت للتنزه معهما والتجمع على مائدة العشاء، أفتقد أمي كثيرًا أفتقد الشعور بالحنان والشعور بأمان أبي حولي.

كم تمنيت وجود مراد بجانبي حتى يُربت على ظهري ويخبرني أنه بجانبي، الكثير من الأماني لا نتمكن من تحقيقها مهما كلفنا الأمر، والكثير من الأماني وُلدت لتكون مستحيلةً فقط.

الشهور الفائتة مرت كسابقتها كنت أنهك نفسي طوال اليوم حتى أعود للمنزل ولا تسايرني أي أفكار لأنام فقط يكفيني شعور الوحدة المريع من حولي ...

ولكني منذ ما يُقارب الشهر مُصابة بأرقٍ شنيع، لا يمكنني النوم مهما كنت مُتعبة أو مرهقة، أتحركُ طوال الليل في فراشي بينما ينبض قلبي بقوة وتُضخ الأفكار في عقلي بعنف شديد.

الأرق أصابني بينما أحاول جاهدة تخطي الحزن والمشاعر السيئة التي تراودني لأرجع لنقطة الصفر الكثير من البكاء والحسرة والقليل من النوم.

حالتي الصحية ساءت للغاية، بشرتي أصبحت شاحبة، أشعر بالدوار والتعب على الدوام خسرت الكثير من وزني، كلما نظرت في المرآة رأيت شبح زهرة ، لا أعلم أين ذهبت تلك الجميلة ليتها ماتت مع والديها وارتاحت من عذاب الدنيا، ربما ظُلمة القبر كانت أكثر رفقًا بها من تلك الحياة المريعة.

جميع من حولي لاحظوا بالطبع ما يحدث لي لدرجة إجبار العم توني لي على عدم الذهاب للمطعم، أخبرني أنني بإجازة مفتوحة، إلى جانب إلحاح صوفيا وفيتال علي لأذهب لطبيب

فتدهور صحتي كان ملحوظًا بشدة، شهيتي للطعام انعدمت كما انعدمت فترات نومي.

لم أذهب للعمل بالمكتب منذ عدة أيام، صوفيا وليزا وفيتال كانوا يزورونني بشكل يومي، كنت أذبل يوم بعد يوم يبدو أن محاولتي بتجاهل مشاعري بالأشهر السابقة أتت بشكل عكسي حيث تتدفق جميع المشاعر السلبية بداخل خلاياي وثنايا عقلي وقلبي مسببة حرقة فظيعة تسري عبر جسدي، شعور مريع بالألم والحزن يخنق أنفاسي.

فكرت كثيرًا في الاتصال بمراد ربما سماعي لصوته يهدأ من روعي وألمي ولو قليلاً ، كل مرة أمسكت بهاتفي وضغطت رقمه الذي أحفظه عن ظهر قلب كنت أتراجع.

كنت أتراجع خوفًا من فتح جُرح جديد بقلبه يكفيه ما افتعلته به، كما أنني كنت خائفة أن أضعف أمام صوته وأتحدث بما لا يُحمد عقباه ..

وبعد صراعٍ مرير مع عقلي وقلبي قررت أن أكتب له رسالة، رسالةٌ ورقية ربما عند بوحي بمشاعري تتحسن حالتي ولو قليلاً

أمسكت بقلمي وورقةٍ بيضاء وجلست في مكاني المعتاد أسفل النافذة لأبدأ بتجميع أفكاري وتمالك نفسي لأسطر حروف وكلمات رسالتي .. رسالتي إلى محبوب قلبي الغائب مراد ....

إلى عزيزي ومحبوب قلبي " مراد "

مرحبًا .. كيف حالك؟

اشتقت لك، مرَّ عام ولا زلت كما أنا أكرهك كثيرًا و أحبك كثيرًا

أكنت بخير يا ملاكي؟

الاشتياق ينهش أعماقي لا أعلم هل ما زلت تذكرني أم لا؟

تذكر تلك الخيبة التي أصابتك أم حبيبتك التي غادرت ..؟!

كم أرغب في الاعتذار إليك وإلى قلبك وإلى نفسي لكن يعجز لساني عن قولها بعد ما افتعلته بك و سيري خلف مشاعر انتقامي السخيف

كن بخير .. كن بخير لأجلي.

ختمت رسالتي والتي كانت قصيرةً ومقتضبة فلا طاقة لدي لكتابة المزيد، كانت الأرض تدور من حولي وأشعر بروحي تنسحب ببطءٍ خارج جسدي وأخر ما شعرت به كان ارتطام رأسي بالأرض...

لا أعلم كم مرَّ من الوقت ولكني أشعر بالخدر الشديد، حلقي جاف ولا يمكنني تحريك أطرافي هناك ألم طفيف بجانب رأسي وأصوات همسات قريبة

حاولت فتح عيناي ببطء لأعي ما حولي كنت بغرفة مشفى، ضوء الشمس يتسلل من النافذة وهناك فيتال وصوفيا وليزا على الأريكة أمامي.

بمجرد أن تفرق جفناي حتى شعرت بعناق ضيق من ثلاثتهم وسمعت بعد الشهقات المكتومة

اه رفاق جسدي محطم ولا يمكنني التنفس ابتعدوا قليلاً أرجوكم، خرجت كلماتي بصوتٍ هادئ لا قدرة لي على الحديث، ابتعدوا عني بهدوء لينظروا لي جميعًا بينما ليزا كانت تبكي بشدة وأنا لا أعلم ما حدث حتى الآن.

- لقد أرعبتيني لما تهملين نفسك حتى تصلين لهذا الحال؟!

آسفة ليزا، أعتذر عن إيخافك ولكن ماذا حدث؟

- نحن ظللنا يومان كاملان لا نستطيع الوصول لكِ، صوفيا ذهبت لمنزلك في الصباح ولم تفتحي لها، وأنا ذهبت في المساء وكذلك لا يوجد أي رد حتى هاتفك كان خارج التغطية، أصابنا القلق ولكن ظننا إنكِ متعبة وترفضين لقاءنا وفي اليوم التالي ذهبت ليزا لتفقدك ورفضت المغادرة حتى

تطمئن عليكِ وعندما لم تجد أي رد منكِ راودها الشك لذا طلبت من صاحب البناية أن يفتح لها الباب لتجدك ملقاة على الأرض مغشي عليكِ.

- اه زهرة لا يمكنك معرفة مدى خوفي عندما رأيتك بتلك الحالة، ظننتك متِ يا فتاة لقد توقف قلبي عن العمل لدقيقة ربما.

- أثارتِ رعبنا جميعًا حمدًا لله إنكِ بخير.

تلك كانت صوفيا من ختمت الحديث، ولكن ماذا حدث لي؟

- ضعف شديد بسبب قلة الطعام وقلة النوم، كما أخبرنا الطبيب بأن كل هذا نابع من سوء حالتك النفسية، ويجب عليكِ البقاء بالمشفى لعدة أيام حتى تتحسن حالتك ويتم عرضك على طبيب نفسي كي يساعدك بتخطي حالة الأرق الملازمة لكِ.

أخبرني فيتال وكان ينظر لي نظرةً غريبة لا أفهم ماهيتها ولكنى تذكرت الرسالة لابد وأنه قرأها فهو يُتقن لغتي الأم جيدًا، نظرت له بضعف ولم أقو على الحديث.

حاولت الاسترخاء قليلاً حتى أتى الطبيب لفحصي وللحق لم أهتم بما كان يتفوه به فكل تفكيري في الرسالة وما قد يظنه فيتال عني أنا لن أتحمل أن يتخلى أصدقائي عني فهم الآن كل ما أملك في تلك المدينة الغريبة.

بعد القليل من الوقت طلب فيتال المغادرة من صوفيا وليزا بل أجبرهم على المغادرة وأخبرهم بأنه سيظل معي، كنت أتوقع فعلته تلك ولكني بحال يرثى لها لا أستطيع التبرير.

حظيت بعناق لطيف من فتياتي الرائعات وقبلة على الجبين من ليزا التي ارتعبت حقًا بسبب حالتي التي رأتني بها، غادرن الفتيات ليقترب مني فيتال ويجلس بجانبي على طرف الفراش

كان ينظر لي بلطفٍ بالغ أمسك بكفي القريب منه بين يداه وتنهد بعمق .....

- زهرة أنتِ تعلمين مدى حبي لكِ بل مدى حبنا جميعاً لكِ أنتِ أصبحتِ صديقتنا وشقيقتنا الصغرى هنا لست مجرد موظفة لدينا.

أومأت له فأنا لا أعلم إلى أين سينتهي هذا الحديث

- حسنًا أعتقد إنكِ ربما تعلمين أنني قرأت ما كتبتينه، لم أقصد التطفل على حياتك الخاصة أبدًا ولكن وضعك كان مثير للشبهات وأنا قلقت عليكِ لذا سمحت لنفسي بتفقد شقتك وسقاية زهرتك المفضلة

لقد عثرت على رسالةٍ ملقاة بإهمال ربما هي سقطت من يدك عندما أغشي عليكِ، لا أعلم ما هي القصة ولا يمكنني التدخل بحياتك الخاصة أو ماضيكِ وما حدث به، نحن قلقين على

حالتك ويجب علي إخبارك أننا بجوارك متى ما أردتِ الحديث ربما التحدث قليلاً يخفف الألم عنكِ.

أنهى حديثه بابتسامة صادقة حينها لم أتمالك دموعي وهو لم يقاطع بكائي بل تركني أفرغ جميع مشاعري على هيئة بكاء مسموع وهو فقط يُربت على ظاهر يدي.

غادر فيتال مساءً بعدما هدأت قليلاً وتناولت دوائي، الأدوية ساعدتني على النوم والراحة قليلاً، مرت ثلاثة أيام وأنا داخل المشفى تم تشخيصي بالاكتئاب وكأنني لم أكن أعلم يا للسخرية ...

خلال تلك الأيام كان يتناوب الرفاق على زيارتي والتأكد أنني بخير، فيتال كان يزور منزلي ليروي الأقحوانة كما أخبرني بالمكان الذي وضع به الرسالة.

ربما علي شكر مرضي الذي منعني من التهور وإرسال تلك الرسالة لمراد وتخريب حياته للمرة الثانية.

أثناء مكوثي بالمشفى قررت أن أخبر أصدقائي بقصتي كاملة، قررت التحرر من كبال السر المحاوط بي ويضيق علي أنفاسي، ربما مشاركة ألمي مع من حولي تخفف عني ولو قليلاً ..

في اليوم الرابع غادرت المشفى وعدت للمنزل ، كان الرفاق بجانبي لم يتركوني هم بالفعل مُدركون وجود أمرٍ ما ولكن أعتقد عدم سؤالهم عنه كان احترامًا لخصوصيتي.

قبيل رحيلهم طلبت منهم التجمع سويًا غدًا في منزلي، نويت إخبارهم بجميع أسراري وهم أحرار بتقبلي كشخصٍ مذنب أو حقود أو مجرد صديقة قست عليها ظروف الحياة ....

بالطبع فيتال فهم الأمر هو ذكي للغاية ولكنه لم يُعلق على الأمر كثيراً، أخبروني بمجيئهم غدًا في الرابعة مساءً لنقضي باقي اليوم سوياً.

غادروا جميعًا وعدت أنا وحدي كباقي الأيام ولكن الشكر للأدوية والمهدئات التي ساعدتني على النوم دون تفكير أو بكاء، استيقظت في اليوم التالي في ساعةٍ متأخرة قليلاً قرابة الحادية عشر صباحًا كنت أشعر بالكسل والخمول الشديد ربما هذا تأثير تلك الأدوية.

ظللت لفترة بالفراش أحدق بالسقف ويحدق بي هو الآخر حتى قررت التحرك أخيرًا، ذهبت أطمئن على أقحوانتي فأنا لم أرها منذ عدة أيام ولكني وجدتها بحالٍ جيدة فيتال كان يراعيها بشكلٍ جيد فجميعهم يعلمون أنها غالية لدي كثيرًا ولكن لا يعلم أحد منهم السبب بالطبع ولكن اليوم سيعلمون.

رتبتُ المنزل قليلاً وتناولت وجبة خفيفة برغم رفض معدتي للطعام بشكلٍ عنيد للغاية ولكن يجب علي تناول أي شيء حتى لو لقيمات بسيطة فاليوم سيكون صعبًا للغاية، كنت أتجاهل التفكير بما سيحدث خلال اليوم وردود أفعال أصدقائي الجدد عمَّا سيسمعونه.

لا أستطيع إنكار خوفي، لا أريد تَذكَّر أحداث العامين المنصرمين ولا موت أبي أو خذلاني لمراد، فكرت كثيرًا في التراجع فماضيَ وما حدث به لا يهم أحد ولكنِ شَجَّعت نفسي على أن الحديث ربما يُساعد في علاجي ولو قليلاً ..

بينما كنت غارقة في أفكاري رن جرس المنزل معلنًا وصولهم، زفرت ببطء وخوف غريب مما هو قادم تمّلكني اتمنى فقط أن يكونوا متفهمين ولو قليلاً

تقدمت بخطواتٍ هادئة أخذت مني كأبد الدهر في تلك المساحة الضيقة حتى وصلت للباب، فتحت لهم وكانت هناك ابتسامات جميلة تعلو ثغر ثلاثتهم.

هل أخبرتكم من قبل إني أحبهم كثيراً بل كثيرًا كثيرًا ، هؤلاء الأشخاص تقبلوني بينهم دون قيدٍ أو شرط أدعو بداخلي أن يتقبلوني وألا يبتعدوا عني بعد ما سيعرفوه عني.

أهلاً يا رفاق ... عانقتني الفتيات بشدة ليخبروننني جميعًا بمدى سعادتهم باستعادتي للقليل من عافيتي.

- لقد جلبت لكِ الطعم من المطعم والدي أصر على صنعه بنفسه.

- ونحن أحضرنا بعض العصائر والمقرمشات فقد قرر ثلاثتنا المبيت هنا اليوم و أه لا اعتراضات عزيزتي.

ضحكت على كلمات صوفيا، آه صوفيا لو تعلمين كم أنا شخصٌ سيئ ، كلماتهم أثارت خوفي أكثر خشيت تحول هذا الحب وتلك النظرات المُحبة إلى بغض واشمئزاز.

جلسنا جميعًا على الأرض بجوار النافذة كما نجلس عادةً كنت أنظر لهم بينما يتحدثون عمَّا فعلوه بالأيام الماضية وليزا كانت تحكي لي عن مشاجرتها الأخيرة مع العم توني وتدخل والدتها التي طردتهم هما الاثنان خارج المنزل حتى يتهذبا

ليزا وعائلتها مضحكين للغاية، كنت في صراعٍ داخلي كي أبدأ ما طلبتهم لأجله، الكلمات مترددة بالخروج والحروف تأبى تكوين جملة مفيدة، عندما تركت وطني ومحبوبي وغادرت ظننت أنني سأتجاوز كل هذا وسأنسى الماضي بكل مساوئه ولكنه للأسف ما زال يطاردني ويركض خلفي كوحشٍ جائع يتغذى على فُتات ضعفي .

- إذاً زهرة لما جمعتينا هنا ؟ ما هو الشيء الذي تودين إخبارنا به ؟

آه فيتال ليتك صمت قليلاً وتركتني أستجمع شجاعتي

اممم لا أعلم من أين يمكنني البدء الموضوع بغاية الصعوبة بالنسبة لي، تحمحمت وعدلت من وضعية جلوسي في محاولة مني لأهدأ من روعي قليلاً فتدفق سيل الذكريات المؤلمة بعقلي يشوشني كثيرًا.

رفاق هناك الكثير في حياتي لا تعرفونه عني، أنتم بالفعل لا تعرفون سوى اسمي، قبل كل شيء وقبل بدئي للحديث أود إخباركم عن مدى حبي لكم أنتم الآن أثمن الأشخاص بالنسبة لي لا أملك سواكم لذا أعتذر لو ما سأرويه لكم سيصيبكم ببعض الخيبة تجاهي ...

لا تكرهوني أرجوكم استمعوا لي وحاولوا فهمي رجاءً ، كنت أتحدث وكل جزء في جسدي يرتجف.

- زهرة ما بك لما ترتجفين هكذا؟
اطمئني مهما حدث سنتفهمك عزيزتي، اهدئي رجاءً
وباشري بالحديث متى ما استعديتِ

كلمات صوفيا كانت لطيفة مثلها ولكن لا يمكن تهدئتي بمجرد كلماتٍ، ما بداخلي أكبر من مجرد كلمة لطيفة.

تعلمون أنا غادرت وطني وقررت الانتقال هنا بعيدًا كل البعد عن المكان الذي قضيت به عمري، ربما تساءلتم بداخلكم ما يدفع فتاة مثلي للهرب من موطنها بهذا الشكل، أو ربما أثار الموضوع فضولكم ولو لوهلة لذا اليوم قررت إخباركم عن حياتي السابقة، فقط أتمنى ألا تحكموا علي بقسوة يكفيني ما افتعلته الأيام بي وما افتعلته أنا بنفسي.

كانوا ينظرون نحوي وهناك علامات كثيرة غير مقروءة على محياهم بالطبع أحدها الدهشة والفضول.

لنبدأ من البداية .. حسنًا أنا كنت ثرية جدًا بالسابق لطالما زُرت العديد من الدول والمدن وحييت حياة رغيدة ومرفهة

والدي كان من أشهر رجال الأعمال، كان يملك مجموعة شركات اسماها شركات الزهرة تيمناً باسمي، حالنا كان ميسور للغاية وأسرتنا صغيرة أنا وأبي وأمي فقط لكننا كنا نملك عائلة كبيرة للغاية مكونة من جميع الموظفين والعاملين بشركات أبي ومصنعه.

الموظفين لديه وعوائلهم كانوا عائلتنا الدافئة، والدي بالنسبة لي كان أحن رجل رأته عيناي، أمي كانت أم بكل ما تحمله الكلمة من معنى لطيفة وحنونة متفهمة و واعية.

حياتنا استمرت على منوالها اللطيف حتى السنوات الخمس الأخيرة والتي ظهر بها منافسٌ شرسٌ لأبي، بالطبع هو كان موجود بالسابق ولكن لا أعلم سبب تشبثه في شركات أبي ورغبته القوية بإغراقها!

هذا الرجل كان يغدق الجميع بالرشاوي حتى يُفسد أعمال أبي ومصالحه، بمرور الوقت خسر أبي الكثير من المال بسبب هذا الرجل، ربما تنظرون للأمر من وجهة نظر أخرى قائلين أن الأعمال هكذا مكسب وخسارة وتنافس لكن لا هذا الرجل لم يكن مجرد منافس لقد كان غريم والدي.

تنهدت أزدرد ريقي فقد جف حلقي وهناك برودة شديدة اجتاحت أطرافي، قلبي يخفق بشدة وعنف مجرد استعادتي لذكرياتي المؤلمة والتي حاولت دحضها عميقًا بداخلي يؤلمني للغاية.

استمرت خسارة أبي حتى أتته فرصة للتعويض عمَّا تَكبدَّه من خسائرٍ فادحة من خلال صفقةٍ ما كانت هي الأمل الأخير له ولموظفيه حتى تستعيد شركاته مكانتها ولكن وبسبب الرجل ذاته خسر أبي الصفقة، خسر كل شيء.

لازلت أذكر عودة أبي خائب الأمل محني الظهر وكأن أحمال العالم أجمع وُضعت على كتفاه، من مظهر أبي توقعنا ما

الصفقة ذهبت لهذا الرجل الذي خسر الكثير من المال مقابل أخذ هذه الصفقة من أبي، ضحكت بمرارة بينما أتذكر هذا اليوم المشئوم

منزلنا بأكمله كان في حالة من اليأس والحزن، والدي قام بحبس نفسه في مكتبه وأمتنع عن كل شيء ، والدتي كانت في حالة من الانهيار العصبي حزنًا على ما أصابنا حتى أتت تلك الليلة..

ارتجفت أوصالي لمجرد ذِكرها لم أستطع مقاومة البكاء والغصة العالقة بصدري غطيت وجهي بكفاي وتركت لنفسي الفرصة في البكاء بحرقةٍ بالغة، كانت شهقاتي تتعالى فما مرَّ علي لم يكن سهلاً أبدًا

مرت دقائق حاولت بها تمالك أعصابي لأمسح تلك الدمعات الغزيرة المتمردة على وجهي واستأنف حديثي .....

في تلك الليلة استيقظنا فزعين على صوت طلقة رصاصة ولم تكن سوى رصاصة اخترقت جمجمة والدي، لم يحتمل الخسارة والإهانة واختار مغادرة الحياة ومفارقتنا نحن أيضًا، لا يُمكنني وصف شعوري تجاه ما حدث لقد فقدت أماني وسندي بفقداني لوالدي، كنت مجرد فتاة مدللة وطالبة جامعية لا تفقه أي شيء بالحياة.

تم الحجز على جميع ممتلكاتنا والذي قام بشرائها بالطبع كان هذا الرجل، على ما يبدو أن والدي كان يتوقع ما سيحدث لذا

قام بشراء شقة صغيرة مؤثثة لي أنا ووالدتي

حالنا كانت فظيعة بكل ما تحمله الكلمة من معنى فقدنا كل شيء في ليلةٍ وضحاها وحتى تكتمل الكسرة بداخلي توفيت أمي بعد أيام قليلة لتلحق بأبي ويتركانني لمرِ الأيام يَفتِكُ بي.

كنت أرى ملامح الحزن وبعض الدموع بأعينهم ولكن تُرى هل ستستمر ردة فعلهم هكذا عندما أخبرهم بمراد وما فعلت به؟؟!

فقداني لوالداي كان بمثابة فقداني لروحي، عشت بعدهما كجسدٍ فقط بلا روح، لم أغادر المنزل لفترة كبيرة حياتي كانت عبارة عن بكاء فقط، لا أعلم ما علي فعله أو كيفية العيش بمفردي دون أحدهم بجواري بلا عائل أو عمل أو حتى مال يكفيني.

كنت أحيا داخل قوقعة من الحزن والمعاناة حتى قررت أن أرد لهذا الرجل ما فعله بي، قادني عقلي لفكرةٍ حمقاء لا أعلم كيف سايرت نفسي لفعلها!!

ربما الفقد والحزن الشديد يسلب منا تفكيرنا السليم والحكم العادل على الأمور، لذا قررت جمع المعلومات عن هذا الرجل وأثناء ذلك علمت أن له ابن بمثل عمري ومما عرفته عن هذا الابن أنه شخص حساس ومراعي لا يُشبه والده البتة.

فقررت الإيقاع به حتى أنتقم من والده من سلبني كل شيء، نقلت أوراقي إلى الجامعة ذاتها التي يدرس بها وادعيت العمى، نعم مثلت أنني فتاة كفيفة

كانت مظاهر المفاجأة أو ربما الصدمة تملأ وجوههم ولكن لا يعنيني، لا تعنيني ردة فعلهم فمجرد سردي لما حدث لي نمت بداخلي غريزة الانتقام والكره مرة أخرى.

تقربت من هذا الابن " مراد " محبوب قلبي مراد، لن أدخل في التفاصيل ولكنه وقع بحبي كما خططت ولكني وقعت له بالمثل، حينما وضعت خُطتي الغبية للانتقام لم أضع في الحسبان أن ينقلب السحر على الساحر وأسقط أنا في هاوية الحب .. الحب مع عدوي اللدود.

مرت الأيام بينا ولم أشعر بما أوقعت نفسي به ، فقد حفرت الحفرة لعدوي ولكني أنا من هويت بها مراد كان أغلى ما أملك بعد فقداني لوالداي، كان يعاملني بلطف كبير وحب أكبر.

استمرت علاقتنا لما يقارب العام خلالها طلب مني مراد الزواج، ذلك اليوم كان من أتعس أيام حياتي يكاد يُعادل تعاسة يوم فقداني لأبي وأمي.

كانت خطتي من البداية أن أهجره وأكسر قلبه فهو شخص حساس ويمرض سريعاً إثر حزنه، أردت أن يراه أبيه يتألم ويشعر بالحسرة عليه كل يوم حتى يخسر كل شيء ، ولكن ما حدث أنني تألمت أيضًا ...

لأختصر ما حدث كان لدي موعد معه هو ووالده ولكني لم أذهب بل هربت غادرته وغادرت وطني وأحبائي وهربت.

فقط هربت من كل شيء، تركته خلفي ورحلت وها أنا ذا هنا وحيدة وخائنة وهاربة، بالطبع ندمت وبشدة تمنيت لو صارحت مراد بكل شيء وهربنا معًا تاركين خلفنا جميع الأحقاد والمشاكل ولكنني انقدت خلف رغباتي بالانتقام أو ربما خشيت المواجهة

خشيت مواجهته وخشيت رفضه لي، حاولت تجاوز كل شيء بإنهاك جسدي بالعمل ولكن يبدو أن لعقلي رأي آخر فهو لا ينفك يفكر في مراد وفيما بيننا، تأبى الحياة تركي أواصل العيش بسلام.

كفكفت دموعي لأنظر لهم، ها هي حياتي وتلك هي أسراري

لا أعلم هل ستتغير نظرتكم عني، ربما ترونني شيطانً ظالم ولكن هذا ما حدث لن أنكر ندمي بالفعل نادمة لخداعي لمراد ولكن أبيه يستحق كل سوء إزاء ما اقترفه تجاه عائلتي.

نظراتهم لي كانت غير مقروءة لا أعلم هل هي نظرات شفقة أم ازدراء؟

ربما كره فأنا في نظرهم الآن مجرد حمقاء تسعى خلف الانتقام لا يهم لم يعد يهمني تفكير الأخرين تجاهي أنا فقط أتمنى أن يتفهموني حتى لا أغدو وحيدةً مرة أخرى.

كنت أنظر لهم وهم ينظرون لي بالمثل صمت دام لأكثر من دقيقة حتى كسره فيتال بكلماته ...

- آسف لما حدث لكِ، لا يُمكنني تخيل ما شعرتِ به ولكن أتمنى أن تتجاوزيه في أقرب وقت، ولا لن أحكم عليكِ هي حياتك واختياراتك لا أحد منا يملك الحق بالحكم عليكِ.

- بالفعل زهرة كما أخبركِ فيتال لا يحق لنا الحكم على ما فعلتيه، لقد فقدتِ كل شيء حتى عند انتقامك فقدتِ من أحببتِ، لن أجاملك وأخبرك أن ما فعلتيه كان صائب هو للحق كان فعل طائش ولكنها حياتك ولا نعلم ما شعرتِ به ودفعك لهذا وهو بالمناسبة لم يكن بشعورٍ هين.

تلك كانت ليزا، أما صوفيا هي فقط عانقتني دون كلمات، ويبدو أنهم قرروا تجاوز الأمر وعدم مناقشتي به واللجوء إلى الأحاديث العشوائية ليمر اليوم بسلام.

هو لم يمر بسلام بالتأكيد فأنا أشعر بشعور مريع، تذكرت كل ما حدث لي وكل ما مررت به وكأنه البارحة ولكني الآن لست وحدي أملك أصدقاء يدعمونني وسوف أتجاوز الأمر هذه المرة.

بعد يومين عادت الأمور لطبيعتها وعدت للعمل، بالطبع لم يتحسن أرقي ولكن الدواء يساعدني بعض الشيء، للحق لم يفاتحني أيًا منهم في الأمر مرة أخرى ولم تختلف معاملتهم لي.

مرت الأيام ببطءٍ شديد ما بين العمل والخروج في بعض الأحيان، مرت علي الكثير من الأيام بلا نوم وليالٍ عدة كنت أقضيها في البكاء، لم أنس مراد ولم تختفي مشاعري تجاهه...

وهو حقًا شيء مؤلم، اشتقت لأبي وأمي كثيرًا، طلب مني فيتال العودة للوطن في زيارة قصيرة وزيارة قبرهما ربما أرتاح أو تتحسن حالتي قليلاً ولكني رفضت، خشيت العودة إلى ذلك المكان خشيت مصادفة مراد بأي شكلٍ كان، كنت أحلم به كل ليلة

رأيته دائمًا في أحلامي كان ينظر لي بحزن وبعض الأحيان يأنبني على ما فعلت، كنت سعيدة برؤيته في أحلامي حتى لو كانت أحلام حزينة يكفيني أن طيفه يزورني حتى لو في عالم الأحلام.

ليمر عام آخر أقاسي به ألم الغربة والفراق، تحسن أرقي قليلاً فقد اتبعت تعاليم طبيبي النفسي ولكن حالتي النفسية كما هي، بالطبع أذهب للعمل والتنزه، أضحك وأتناول الطعام وأثرثر كثيراً مع أصدقائي وعائلاتهم ولكن كل هذا لم يمحو الفجوة بداخلي.

أمسكت قلمي ذات ليلة لأقرر إفراغ بعضًا من مشاعري واشتياقي لمراد ربما تهدأ دواخلي قليلاً وأستطع النوم الليلة بدون مساعدة خارجية على هيئة قرص منوم والذي سأمته بالمناسبة

لا أعلم لما الليلة مشاعري متأججة بتلك القسوة؟!

ربما السبب هو رؤيتي لصور مراد على مواقع البحث فهو الآن المدير التنفيذي لشركات الأدهم وعلى ما يبدو هو ناجح بعمله

وسيم كما هو ربما فقد القليل من الوزن وابتسامته لم تعد مشعة كما السابق، يبدو ذابل عمَّا عهدته ولكنه وسيم محبوب قلبي مراد.

أمسكت بالورقة والقلم في محاولة مني لسطر بعض الكلمات التي أشعر بها .....

محبوبي رجل الأعمال الناجح مراد الأدهم ..

مرحبًا هذه أنا مرة أخرى

أتمنى إنك على خير ما يرام

هل لازلت تتألم؟؟

هل تتذكر نجمة قلبك أم الحمقاء التي هجرتك؟

رأيتك في حلمي كثيرًا بالفترة الأخيرة كلما استيقظت من حلم آلمني قلبي و تمنيت لو كان حقيقة

اتمنى رؤيتك ولو من بعيد ولعدة ثوان ليس إلا ..

هل تشفع لي عندك دموعي و أوجاع قلبي؟؟

الوحدة تفترسني مذ غادرتك ..

اشتقت إليك وإلى عيناك الباسمة وصوتك الحنون اشتقت مناداتي يا نجمة القلب

هل بداخلك أي شعور غير البغض تجاهي؟
أتمنى وجود بعض الاشتياق والقليل من المغفرة.

أعتني جيدًا بزهرتنا الغالية زهرة الأقحوان لقد نَمت كثيرًا، أعتني بها كما علمتني فهي الشيء الوحيد الذي يدفعني للاستمرار.

كل صباح أرويها وأجلس بجوارها أسفل نافذتي أحتسي قهوتي وأتمنى لو كنت بجانبي في تلك البلاد البعيدة والموحشة

ولكنها إحدى تلك الأماني البعيدة يا عزيزي ..

كيف حال جرح قلبك؟ ألم يندمل بعد؟

لا تعبس أنت تعرفني ماهرة في تغير المواضيع والأحاديث العشوائية

تناول طعامك وارتدي الملابس الثقيلة فهو فصل الشتاء الذي تبغضه

كن بخير .. وداعًا.

ختمت رسالتي التي بللتها دموع اشتياقي وندمي لأطويها وأضعها في ذلك الصندوق الأخير بجوار الرسالة السابقة.

وتمر الأيام وتتقلب أحوالي ما بين سعيدة وحزينة وغير مبالية، قضيت عطلة لمدة أسبوع بمدينة أخرى مع أصدقائي وبعض من أصدقائهم، بالطبع هناك من حاول التقرب مني ولكن قلبي فقط ملك لمحبوب قلبي.

عملي بالمطعم كان ممتعًا ولكن أكثر الأيام متعة كانت أيام السبت والأحد يومي العطلة حيث تعزف ليزا على البيانو الكبير القابع بمنتصف المطعم، كانت تعزف ببراعةٍ شديدة أرقى المقطوعات الموسيقية، تلك المقطوعات التي كانت تحفز المشاعر بداخلي حتى أتنهد اشتياقًا.

وذات يوم كانت تعزف إحدى المقطوعات المفضلة لدي والتي جعلتني أهيم بذكرياتي السابقة، كان مرَّ قرابة الثلاث سنوات على وجودي هنا، في ذلك اليوم عدت إلى منزلي وإحساسٌ غريبٌ يُغلف قلبي وجسدي ربما بسبب الموسيقى أو رياح شهر مايو المنعشة .. لا أعلم!

وضعت واحدة من أغاني المفضلة:

Frank Sinatra - I'm a Fool to Want You

بينما أتراقص مع الموسيقى وشعور أثيري يُخالجني ذلك

الشعور بالثمالة .. ثمالة الحب

حينها اتخذت قرار متسرع بعض الشيء ولكني اتخذته ولن أتراجع عنه، اليوم سوف أكتب رسالة إلى مراد ولكن تلك الرسالة لن أخفيها في صندوقي الصغير كسابقتها بل سوف أرسلها له وليحدث ما يحدث ...

اتخذت مكانًا لي بجوار أقحوانتي موسيقى فرانك سيناترا تطرب آذاني والقمر ينير لي ذاتي وتلك الدمعات الحارة تشق طريقها عبر وجنتي تصرخ بالحب والاشتياق

ورقةً بيضاء أمامي وقلمٌ من حبرٍ أسود كسواد ليلة مفارقتي لمحبوبي وحلكتها، وبدأت كلماتي

كلماتي التي سأرسلها فور انتهائي منها بدون تفكير .....

إلى مراد الأدهم ..

أحببت عدوي للدرجة التي أفقدتني صوابي، مشاعري في تصارعٍ مستمر تتأرجح بين الحب والكره تتأرجح بين المسامحةً والانتقام لا أعلم أيهما الأصدق هل هو الحب أم الانتقام؟!!

(٤)

زهرة

لم انتظر حلول الصباح أو حتى أن يشق ضوء الشمس عنان السماء بل انتهيت من الرسالة وخرجت مسرعة من منزلي في وقتٍ متأخرٍ حتى أرسل الرسالة فلو انتظرت قليلاً لتراجعت كما تراجعت من قبل.

وأخيرًا أرسلتها، كنت أجوب الشوارع بخطواتٍ بطيئة أراقب البشر من حولي في تلك المدينة التي لا تنام وجل تفكيري حوله هو حول مراد.

تُرى متى سوف تصله الرسالة؟ وماذا سوف تكون ردة فعله؟!

حمدًا لله فقد أرسلتها على عنوان الشركة وليس المنزل - منزلي السابق والذي أحفظ عنوانه عن ظهر قلب ربما وقعت في يد أبيه وقام بحرقها وحرقي معها ذلك الرجل اللئيم أتمنى أن تنهار السموات السبع فوق رأسه.

تنهيدة طويلة غادرت صدري لأزفر ببطء ، على كلٍ اللعنة على والده لا يهمني سواه، برغم الخوف والقلق المسيطران على قلبي وعقلي إلا إنني شعرت بأني خفيفة الوزن كفراشة مونارش تطفو بسماء الربيع.

تملكتني رغبة قوية بعدم العودة إلى المنزل برغم أنها الثالثة فجرًا ربما، أخذتني قدماي لمقهى قديم بالحي المجاور لي يمتلكه رجل تجاوز الستين من العمر ولكنه يمتلك ذوقاً موسيقيًا رائعًا.

وصلت المقهى وطلبت قهوتي السوداء المعتادة وكأن صاحب المقهى العجوز كان يشعر بما في قلبي حيث كانت تصدح موسيقاي المفضلة لكلاً من " دين مارتن و خوليو إغليسياس " من الاسطوانة السوداء لآلة الفونوغراف القديمة التي ورثها صاحب المقهى عن أبيه.

لم يكن المقهى مزدحمًا بل يوجد بعضًا من الأفراد من زائري الليل أو الهاربين مما يؤرق مضجعهم مثلي.

كنت أترنم على أنغام الموسيقى يبدو أنني صدقت نفسي عندما شبهتها بالمونارش ويبدو أيضًا أن العم ألبرتو لاحظ ذلك ليدنو إلي يطلب مراقصتي وبالطبع لم أرفض.

كنا نتراقص ببطء وحركات رشيقة نظرًا لعمر العم ألبرتو وصوت خوليو إغليسياس العذب يصدح بالخلفية وبعض رواد المقهى يشجعوننا وبعضهم الآخر يقهقه على الرجل المُسن والفتاة الشابة اللذان يقدمان عرضًا مسائيًّا رائعًا بمنتصف هذا المقهى القديم ....

انتهت الرقصة لنستمع إلى تشجيع الحاضرين وبعض من صافارتهم كنوعٍ من التهليل لنا، عدت إلى طاولتي وكانت قهوتي بردت بالفعل ولكن لا يهم.

مرت ربما ساعتان وأنا بمكاني أستمع للموسيقى ويأتي بعض الناس بينما يغادر بعضهم وأنا لا زلت بمكاني حتى رأيت العم ألبرتو قادمًا نحوي بينما يحمل شطيرة ما

- تفضلي عزيزتي لابد أنكِ جائعة

قدم لي الشطير بابتسامة هادئة وحنونة تُذكرني بأبي

شكرًا لك ..

- هيا تناوليها لنغادر يجب عليكِ النوم قليلاً وجهك شاحب وأنا لا أريد لجمال الآنسة الصغيرة أن يبهت هكذا.

يبدو أن الحياة ترغب بتعويضي فكل من حولي هنا رائعين للغاية، تناولت الشطيرة وودعت العم ألبرتو الذي كان يتجهز للرحيل أيضًا وعدت إلى منزلي لأحصل على نومٍ وفير لأول مرةٍ منذ مدةٍ طويلة بلا أدويةٍ أو مهدئات.

استيقظت في اليوم التالي في ساعة متأخرة في منتصف اليوم، فقد حظيت بنومٍ عميق، جلست على طرف فراشي أراجع أحداث الأمس وما فعلته لأجزع قلقًا وهلعًا فهذا لم يكن حُلم كان حقيقية!!

لقد صفعني الإدراك صفعةٌ قوية على مؤخرة رأسي ولكنها متأخرة كثيرًا

اهدئي زهرة لقد إتخذتِ قرارك ولا يمكن التراجع الآن .. لا يمكن التراجع!!!

كنت أدور حائرة في المنزل في تلك المساحة الضيقة التي لا تسع قلبي وتفكيري بينما أصرخ داخل عقلي، ما الذي فعلتيه أيتها المختلة؟!

حسنًا ما حدث قد حدث، ربما مراد لن يقرأ الرسالة، ربما هو نسى وجودي بالفعل وانتهيت بالنسبة له.

حسنًا سنرى مع الأيام لا تجزعي لن يحدث أسوء مما حدث، تلك كانت كلماتي محاولةٌ مني لتهدئة نفسي فهناك مئات الاحتمالات والعشرات من ردود الفعل التي توقعتها منه وجميعها لم تكن مُبشرة بالخير ولكن ليحدث ما يحدث لم يعد لدي ما أبكي عليه لقد خسرت كل شيء بالفعل.

مرَّ أسبوع ولم يصلني أي رد من مراد، ربما أنا أرسلت تلك الرسالة ولم أكن انتظر رد أو بمعنى أصح توقعت عدم وجود أي رد فمن يُراسل من خانته وتركته للحزن والمرض ولكني في قرارة نفسي كنت أتمنى لو يُراسلني حتى ولو بكلمات الكره والعتاب أو حتى السُباب.

كنت أعمل بتكاسلٍ فظيع وقوى خائرة لا أعلم ما بي وبالطبع هذا آثار ريبة من حولي

- زهرة ما بك تتصرفين بخمول وتتأففين بين فينة وفينة؟

لا أعلم صوفيا أنا مُتعبة قليلاً، تنهدت مترددة فيما أود قوله

صراحةً هناك أمرُ ما لقد فعلت شيئًا ما

- ماذا فعلتِ عزيزتي زهرة؟ لقد بدأ القلق يساورني بالفعل.

لق..لقد أرسلت رسالة لمراد منذ عدة أيام

أخرجت كلماتي بنفسٍ واحد لأزفر راحة بعدها

- ما .. ماذا فعلتي؟ ما اللعنة زهرة؟؟

نعم وهذا كان صُراخ فيتال بينما عيناه توسعت وبجانبه صوفيا فقدت النطق ربما أو حتى قُطع تنفسها لا أعلم فهي تبدو كجسدٍ بلا روح أمامي، ربما صدمتهم بالفعل.

قهقه فيتال بسخريةٍ وصدمة في آنٍ واحد بينما ينتصب واقفًا

من كرسيه لينحني نحوي بنظرة أرعبتني قليلًا للحق

- هل فقدتِ عقلك؟ رسالة؟

رسالة يا زهرة ليعلم مكانك ويأتي ليقتلك أمام ناظرنا، عليكِ اللعنة زهرة فلترقدي بسلام عزيزتي.

فيتال اهدأ هو لن يقتلني بالطبع كما أنه مرَّ ربما عشرة أيام ولم يحدث شيء، ربما الرسالة لم تصله أو ربما هو نساني من الأصل.

- لا أحد ينس من خانه عزيزتي

جملة صوفيا نزلت كالصاعقة علي، هي مُحقة لقد خذلته وهربت ولكن الجملة صداها قوي للغاية على قلبي

نظرت لها شذرًا فالجملة آلمتني

- أعتذر زهرة ولكن حقًا ما فعلتيه غريب، لما من الأساس تراسلينه وبعد ثلاثة أعوام! للحق لا أحد منا يضمن ردة فعله، لذا نحن قلقين عليكِ.

حسنًا صوفيا ما حدث قد حدث حينما يُقتلني اخبروا الشرطة بأنكم لا تعلموا من أنا.

كنت غاضبة، غاضبة للغاية لما ردة فعلهم كانت هكذا؟!

لقد فعلت أمرًا غبيًا أنا مُعترفة بذلك ولكن ..... أيًّا يكن.

- فتيات اهدئن، لا يوجد فائدة من البكاء على اللبن المسكوب لقد طار العصفور من العش وما حدث قد حدث، هيا بنا الآن لنتناول الغداء وحينما يحدث أي شيء من هذا المدعو مراد حينها نبحث عن حل لن نوتر أنفسنا بينما هو في بيته يتناول القهوة.

غادرنا للمطعم واستقبلتنا ليزا كالعادة ولكنها بالطبع لاحظت الجو المشحون والهالة المحبطة حولنا

- رفاق ما بكم وجوهكم مظلمة وكأنكم هاربون من شيء ما؟

- لا شيء ليزا، فقط عزيزتنا زهرة أرسلت رسالة ورقية لمحبوبها مراد قبل عشرة أيام

هذا كان فيتال المتهكم

- مااااااذاااااا؟؟؟؟؟

- انهضي زهرة لنحضر ملابسك وأغراضك الهامة، أنا أعلم شخصًا ما يمكنه تزوير بعض الأوراق لنصنع لكِ جواز سفر باسم مختلف وغادري، إتركي هنا يمكنك الذهاب لخالتي روزيلا في البرازيل هيا لنسرع لا يوجد وقت للتلكأ.

كانت ليزا تتحدث بتوتر كبير وهى متشبثة بيدي

ليزا اهدئي، مراد ليس بمجرمٍ ما هو حتى لو أراد معاقبتي سيعاقبني بنبل، لا عليكِ أنا لن أغادر وهو لو رغب في رؤيتي سيجدني هنا في انتظاره.

أنهيت كلماتي بابتسامة تعيسة بعض الشيء، اليوم كان ثقيل حتى شهيتي لقد فقدتها لذا لم أتناول الغداء.

- ثم من أين تعرفين مزورين آنسة ليزا؟

إخرس فيتال، وهذا كان فيتال الفضولي.

الأيام كانت تمر ببطء ونظرات الأصدقاء ومراقبتهم لي لم تهدأ ولو لثانية، يتتبعوني في كل حركة لي، هم حتى لم يتركونني أعود للمنزل بمفردي دائمًا كان يرافقني أحدهم خائفين علي وبشدة حبهم لي وقلقهم الثائر علي كان يسعدني.

هم حتى كانوا متحفزين لظهور مراد وكأنهم على ثقة من قدومه ولكن مرت الأسابيع ولم يظهر ولا يوجد منه أي رد لدرجة أننا تناسينا أمر تلك الرسالة وفقدت أنا الأمل في رؤيته مرة أخرى.

كنا في أواسط شهر يوليو وحرارة الصيف ألهبت أجسادنا وعقولنا لذا قررنا الذهاب للشاطئ ، كانت رحلة أكثر من رائعة تناسيت بها ما يؤرق مضجعي، تناسيت تفكيري المستمر بمراد وانتظاره حتى يأتيني فقد غادرت بملء إرادتي

ولا يمكن أن يأتيني هو راكض لرؤيتي بسبب مجرد رسالة من بضعة أسطر.

الشاطئ كان رائع والنسيم الحار يلفح بشرتنا يُخبرنا بجمال يوليو وشمسه الدافئة، تلك الحرارة التي ذكرتني بدفء مراد، فهو كاره للشتاء والبرودة بشكلٍ مضحك، آه عزيزي مراد اشتقت لك.

بينما كنت ألهو بمياه البحر وأفكر في مراد خطرت لي فكرة.. لما لا أعود للرسم مرة أخرى فهو هوايتي المفضلة

لذا قررت أنه بمجرد عودتنا من عطلتنا القصيرة لا بد لي من شراء أدوات للرسم ربما أرسم وجهه البهي ليضيء عتمة روحي.

عدنا بعد يومين لأنفذ ما فكرت به قمت بشراء أدوات الرسم والألوان المطلوبة لأمارس هوايتي ربما ليلاً عقب عودتي للمنزل أو ربما في أيام العطلة، وليكن المهم هو قيامي بما أحب لا يهم متى أو كيف.

يومً بعد يوم كنت أرسم أولى لوحاتي بعد الكثير من الأعوام بعيدة كل البعد عن الإمساك بفرشاة أو حتى الجلوس أمام لوحةٍ بيضاء، كان من المقرر رسم مراد ولكني تفاجأت بذاتي عندما قمت برسم أمي وبجانبها زهرة الأقحوان .....

فاتت الأيام ووصلنا بداية أغسطس، كدت أنتهي من لوحتى الثانية والتي بها وجه مراد الذي أحفظه عن ظهر قلب بينما سماء الليل والقمر يغلفه من أعلى، تلك اللوحة وضعت بها جل مشاعري ، كنت أضع لمساتي على لوحاتي كل ليلة بينما يصاحبني صوت فرانك سيناترا العذب.

تناسيت أمر الرسالة وأمر انتظاري لرد من مراد فقد مرَّ قرابة الثلاثة أشهر مذ أرسلتها ولم يجد أي جديد.

انتصف الشهر وانتهيت من لوحتي كنت راضية عنها وللغاية، انتهى عملي بالمكتب وحان وقت عملي بالمطعم، اليوم المطعم لم يكن مزدحمًا للغاية

هو غالبًا ما يزدحم ليلاً خاصةً في فصل الصيف، كنا في الخامسة والنصف ربما عندما أخبرني العم توني عن انتهائه من إعداد أطباق الطاولة رقم سبعة لأخذها للخارج متوجهة للطاولة بينما أهمهم أغنية ما لأتصنم بمكاني وتسقط ابتسامتي من هول ما رأيت على تلك الطاولة.....

(٥)

مراد

حينما قررت العمل مع أبي كان قراري هذا للهروب، الهروب من كل شيء برغم كرهي لأعمال والدي بعدما علمت ما حدث ولكنها تبقى العمل الوحيد الذي بإمكاني العمل به كما أحب ووقتما أحب.

في البداية كنت أنهك نفسي في العمل حتى ساعاتٍ متأخرة وفي أيام العطل ونهاية الأسبوع أيضًا، لا أدرك عدد المرات التي فاتحني فيها أبي بموضوع الزواج أو عدد الفتيات الذي حاول أن يعرفني عليهن.

أبي برغم ما اقترفه هو لازال في حالة إنكار بأنه السبب في تحطيم حياتي وتعاستي، ليست حياتي فقط بل وعائلة زهرة أيضًا لذا كنت أتجاهله بالعمل والمكوث خارج المنزل أغلب الوقت حتى لا أجرحه بكلماتٍ لاذعة يستحق سماعها.

لأكون محقًا الوقت كان يمضي بي ببطء وهدوء مميت، حياتي راكدة لا معنى لها وكأني فقدت شغفي بالحياة وكل ما أحب بفقداني زهرة.

لقد أذنبت زهرة في حقي وحق نفسها، تصرفها كان خاطئًا ولكن ليس هناك مجال للتراجع فما حدث قد حدث وانتهى الأمر.

ظلت حياتي كما هي بذات الروتين الخانق حتى وصلتني تلك الرسالة، هذا الظرف المخطط عليه اسمها وكنيتها والذي هز كياني وزعزع جل ما حاولت فعله في الأعوام المنصرمة من تناسي وتجاهل لمشاعري وآلامي.

أرى خط يدها لأول مرة، ألمس ما احتوته أناملها ولفحته أنفاسها، قرأت الكلمات لعشرات المرات أتحسس ملمس الورقة وكأني أمسك بكفوف يدها.

كانت تحكي لي ما حدث بكلماتٍ مقتضبة، يُمكنني الشعور بغضبها ونفورها، كانت تُسطر كلماتها ومشاعرها هي من تتحكم بها، كنت أستطيع الشعور بذلك.

فهناك بعض الكره والحقد والقليل من العصبية والكثير من الندم بجانب شيءٍ من الحب والكثير الكثير من الاشتياق.

كان الألم واضحًا على كلماتها، زهرتي تتمزق غربة ووحدة بينما أنا هنا بعيد عنها آلاف الأميال.

استغرقت ساعات طويلة أقرأ رسالتها وأتمعن بكل حرف بها حتى غربت شمس اليوم وحلَّ الليل.

في تلك الليلة لم أستطع النوم ولم أترك الرسالة من يدي، قرأتها آلاف المرات وكل مرة أقرؤها بها أكتشف شيئًا جديدًا، أكتشف بعض الدموع طبعت بين الأسطر والتنهيدات خرجت مع الكلمات بجانب الحسرة والوحدة الطاغية على أحرفها.

كنت تائهًا لا أعلم ما علي فعله، زهرتي تشتاق لي بينما تتلوى من الغربة ولكن ثلاث سنوات كانت كثيرة للغاية يا نجمة القلب، ثلاث سنواتٍ كبيرة مليئة بالدموع والعجز والحزن.

ثلاث سنوات صنعت منا أشخاصًا مختلفين تُبعد بينهما فجوة عظيمة والكثير من المدن والبلاد

رسالتك تلك يا زهرة لا تعلمين ما صنعت بي لا تعلمين ما اقترفته يداك وكلماتك بدواخلي.

لم أخبر أحدًا عن تلك الرسالة حتى صديقي المُقرب فكل ما بها من كلماتٍ وحروف هي ملكي أنا وسري الصغير الذي يجب ألا يعلم عنه أحد.

أيامي ازدادت حدتها حنقًا وخنقًا لي، تلك الرسالة لمست قلبي لوعة ولهفة لا أعلم كيفية التصرف، هل أحرقها واستمر في حياتي كما كانت طوال الفترة الفائتة؟؟

هل أتجاوزها كما تجاوزت هي محنتها بالهرب بعيدًا؟ كاذب فهي لم تتجاوز شيء أنت فقط حاقد عليها بسبب أفعالها وما

جعلتك تتجرعه في كؤوسٍ مرةٍ ذات حافةٍ متهتكةٍ تُدمي دواخلك.

آه التفكير يكاد يَقتُلني ، ماذا أفعل بكِ يا زهرتي ماذا أفعل يا نجمة القلب؟!

لم أخرج من غرفتي لثلاثة أيامٍ متواصلة ادعيت المرض وقمت بحبس نفسي بين جدران غُرفتي وخيبتي، لم أترك تلك الرسالة من يدي ولو للحظة فهي أصبحت كالنفس الذي يسري داخل دمائي.

كيف أتجاوزك يا زهرة وأنساكِ كأنك لم تكوني وأنا أفكر بكِ كل ليلة وكأن موعد لقاءنا غدًا؟؟

كيف أتجاوز كلماتك الفقيرة تلك وندمك البائس وادهس مشاعري وأمضي وكأنك لم تكونِ في يوم من الأيام؟!

ليتك ابتعدتي للنهاية ولم ترسلي لي كلماتك الشحيحة تلك.

فسد نظام حياتي وتعكر صفو مزاجي وأفكاري التي كانت راكدة للعديد من الأشهر وكل هذا حدث بسبب كلماتٍ بسيطة، ولكن علي استجماع شجاعتي والاستمرار وجودي في تلك الغرفة الضيقة لن يُصلح من الأمر شيء.

حاولت الخروج والعودة لنظام حياتي السابق ولكن هيهات تلك الكلماتِ المرسومة على صفحةٍ بيضاء بخط يدها كانت تشغل أكبر حيز من تفكيري وحياتي، كنت أقاومها بكل ما أوتيت من قوةٍ

أقاومها وأقاوم كلماتها وأقاوم حبي لها، يا لي من جندي عنيد يستمر بالوقوف في معركةٍ خاسرة.

انتهى شهر مايو وهلَّ شهر يونيو بحرارة شمسه ورطوبة طقسه هذا الجو المناسب بالنسبة لي بالنسبة لرجلٍ عدوًا للشتاء والبرد لذا كان هذا الوقت المناسب لأخذ عطلة طويلة أحاول فيها تهدئة دواخلي وتلك الحرب المستعرة بين أفكاري وخلايا عقلي التي أوشكت على الاحتراق والخنوع لجبروت فكرةٍ واحدة اسمها الاستسلام.

تضخمت حيرتي وتمردت مشاعري مُعلنةٌ عصيانها لي في أحلك أوقاتي وأكثرها احتياجًا لثباتي ولكني لم أكف عن المقاومة ففي تلك المعركة هناك خاسرٌ واحد ولا يجب أن يكون أنا ليس الآن على الأقل.

مضى شهر يونيو وأنا لازلت كما أنا أتجرع الأسى والحيرة جراء تلك الرسالة، كل ما حاولت تشيده خلال الأشهر السابقة سحقته كلمات تلك الرسالة لأعود أنا وهى لنقطة الصفر وكأن فراقنا كان بالأمس وليس منذ سنوات.

كنت أحارب الأيام كي تمضي سريعًا وتنتهي ساعاتها ربما بمضيها أنسى كل شيء وكل ما حدث، ولكن كيف ذلك وأنا أنام محتضنًا تلك الرسالة بين أضلعي .. !!

كنت مُحاطًا بعدة خيارات شحيحة لا أجروء على الاختيار من بينها، كيف يُمكنني الاختيار؟؟

بل لا أريد الاختيار أنا فقط أرغب بأن يُصبح عقلي فارغًا كعقل دجاجةٍ حديثة المولد ولكن مهلًا الدجاج يبيض !

يبدو أنني وأخيرًا فقدت عقلي، من بين هذياني وهرطقتي المستمرة استمرت أيام يوليو بالتقدم شيئًا فشيء حتى اقتربت نهاية الشهر ويبدو أن معها انتصرت إحدى أفكاري على الأخريات لذا اعتدلت في جلستي وزفرت أنفاسي عازمٌ على فعل ما توصلت إليه ولا يهمني النتيجة.

لن أخطط لشيء بل سوف أسير مع الأيام لنرى ما تحمله لنا وتخبئه من مفاجآت أتمنى أن يكون أغلبها سار على الأقل.

حملت هاتفي وضغطت زر الاتصال ونبضات قلبي تزداد مع كل رنة بلا إجابة حتى وصلني الصوت المُبتهج من الطرف الآخر .....

- مراااد لا أستطيع التصديق أخيرًا تذكرت صديقك أيها الوغد عديم الضمير.

مرحبًا مايكل أنا أيضًا اشتقت لك كثيرًا، قولتها ممازحًا لنقهقه سويًا فمايكل واحد من أعز أصدقائي ولكنه مُقيم بوطنه الأم منذ فترة ولم نتقابل منذ مدة.

- اخبرني ما هي المناسبة السعيدة التي جعلتني أسمع صوت صديقي الذي يتجاهلني منذ أكثر من شهرين؟

مايكل أرجو منك أن تسديني خدمة، سوف أرسل لك عنوان ما أريد منك استئجار شقةٍ قريبةٍ منه كما أن هناك شخصًا ما أود منك جمع بعض المعلومات عنه.

- آوه يبدو الأمر جادًا للغاية ، حسنًا صديقي لك ذلك أنا في انتظار رسالتك.

أغلقت الهاتف وراسلت مايكل بكل ما أريده لأقوم بمهاتفة مُنذر أقرب صديق لي في الحياة ومن شاركني كل ما حدث لي من سوء.

مرحبًا مُنذر .. جهز حقيبتك وأوراقك نحن مغادران إلى تورينو خلال أيام .....

(٦)

مراد

اتخذت قراري بالسفر لمكان زهرة ولقاءها، نعم اتخذت هذا القرار بعد حربٍ ضروس وقعت بين قلبي وعقلي، ربما قراري خاطئًا أو ربما أخذت الكثير من الوقت لاتخاذه ولكنه رغم طيشه فهو قرار مفيد لكلينا.

لا أعلم ماذا ستكون ردة فعل كلاً منا عند رؤيته للآخر أو ماذا سيحدث لنا ولكني لم أرهق عقلي كثيرًا بالتفكير بالمستقبل وتركت ردود الأفعال للأيام تُظهرها لي.

لكن رغم ذلك كنت خائف، خائف وبشدة من ملاقاة زهرة ورؤية عيناها، ستكون المرة الأولى لي لرؤية تلك الكاذبتين، ربما شوقي يغلبني وقدماي تخوناننني برفقة أذرعي وتذهب لها راكضة محتضناها بين أضلعي المشتاقة ولكن لا يكفيني رؤيتها أما الباقي علي التحكم به فلكل خطأٍ عقاب وزهرة

أخطاءها في حقي كثيرة.

كنت أردد جملة ما في قرارة نفسي ولا أعلم ما فائدتها ولكنها أمدتني بالشجاعة اللازمة لخطو الخطوة التالية ..

أنا مراد الأدهم الابن الوحيد لأحد أشهر رجال أعمال دولتنا حان الوقت لسفري عبر الكرة الأرضية اقطع الأميال لمقابلة خائنتي و معاقبة نجمة قلبي عمَّا افتعلته بي وبقلبي وحبي وبنفسها أيضًا.

غادرت زهرة إلى مدينة تورينو الإيطالية علي الاعتراف بجودة اختيارها لتلك المدينة الرائعة والبعيدة كل البعد عنّا

ولكن لسوء حظها وحسن حظي فلي صديقٌ مقرب إيطالي " مايكل " والذي سيساعدني على الاستقرار هناك للمدة التي أريدها كما سيساعدني في معرفة كل ما تفعله تلك الزهرة الهاربة من حديقتي هناك في الغابة الغريبة عنها بعيداً عن جذورها.

لم أتردد لحظة في الاتصال به، طلبت منه البحث عن شقةٍ قريبة منها والبحث أيضًا حولها أين تعمل وماذا تفعل في يومها وهو مشكور بذل قصارى جهده ليجمع لي كل ما أريد من معلومات.

عندما أخبرت منذر بأمر السفر هو لم يكن متفاجئ هو كان مصعوقًا بالمعنى الحرفي للكلمة، في بداية الأمر ظن أنني أهذي وقام بإغلاق هاتفه بوجهي ولكن عند اتصالي به للمرة السابعة ربما أدرك أن جميع ما تفوهت به حقيقة بل واقع بدايةً من رسالة زهرة وحتى قراري بالسفر إلى تورينو.

والآن يجب علي أن أكون شاكرًا فأنا أملك عنوان زهرة وصديق إيطالي يقوم بتجهيز كل ما أردت وصديق آخر ترك كل أعماله ومهامه ليكن بجانبي في رحلتي الغير متوقعة والتي لا نعلم نتيجتها والأهم هو إتقاني للغة الإيطالية حتى

أعلم بكل ما يدور حولها بسهولة دون عناء.

كان علي إخبار أبي بقرار سفري والذي كان رافضًا له تمام الرفض فهو يخشى مغادرتي جانبه فمنذ ما حدث ومعرفتي بما اقترفه لعائلة زهرة وعلاقتنا أصبحت مشحونة بالتوتر والنفور المُريع نعم علاقتنا كانت سيئة وللغاية ولكن للحق أبي كان يبذل قصارى جهده ليصبح رجل صالح وألا يُخطئ مرة أخرى ولكن بعد ماذا فقد قتل رجلاً نفسه وتهدمت عائلة كاملة بسبب أفعاله.

وبعد الكثير والكثير من المناوشات تركني أبي وشأني وغضَّ الطرف عن سبب سفري، جهزت كل احتياجاتي بعدما أخبرني مايكل بعثوره على كل ما أردت فقد استأجر لنا شقة في مبني مقابل للمبنى الذي تقتن به هي.

كما علمت أنها تعمل بمعملٍ للترجمة يملكه اثنان أصدقاء، وأيضًا تعمل بمطعم باقي اليوم يقع بالقرب من مكان عملها بالترجمة، لا أعلم هل يجب علي أن أسعد أنها أسست لنفسها حياة وأعمال تُمكنها من العيش في تلك البلاد البعيدة أم أغضب لوجودها بين أناس لا نعلم عنهم شيء .

على كلٍ حان موعد مغادرتي أنا الآن في المطار وبجانبي مُنذر الذي يتأفف بسبب الحرارة كل دقيقة فنحن في أغسطس ودرجة الحرارة مرتفعة للغاية ولكني واثق أن كل غضبه وتأففاته ستتبدد عند رؤيته لتورينو الرائعة، ولكني أخاف من أفعاله فهو يملك لسانًا لاذعًا كما أنه توعد لزهرة كثيرًا آه يا زهرتي فليحميكِ الرب من هذا المتهور فأنا لن أستطيع منعه

طيلة الوقت وللحق هي تستحق بعض الكلمات اللاذعة ربما تعود لرشدها.

حان موعد رحلتنا وحلّقت طائرتنا في الجو مودعة أرض الوطن ومُرحبة بأراضٍ جديدة أراضِ إيطاليا الساحرة ومدينة تورينو ونسمات نهر بو الرائع، مايكل كان بانتظارنا بلهفة في المطار فنحن لم نره منذ فترة طويلة، بعد الترحيب والعناقات الدافئة بين الأصدقاء غادرنا المطار متجهين للمنزل وفي الطريق أخبرني مايكل أن شقة زهرة مقابل شقتنا تمامًا حيث يمكننا رؤية بعضنا البعض عبر النوافذ.

لا أعلم لما قلبي ينبض بخوف وتوترٍ شديد فكلما أخبرني مايكل بمعلومة واقتربنا أكثر من المنزل انقبض قلبي جزعًا، فأنا بالقرب من نجمة قلبي أكاد أتنفس ذات الهواء ونقطن الحي ذاته!!

هل سأراها الآن بعد كل هذا الغياب وبعد كل ما عانيناه من ألمٍ وحزن؟

صديقي مُنذر والذي استشعر خوفي وبرودة أطرافي كان يُربت على يدي وينظر نحوي نظرة تحمل الكثير من المعاني أهمها لا تقلق نحن بجوارك.

وصلنا أخيرًا للمبنى وصعدنا السّلم بقلوبٍ وجلة فنحن جميعًا قلقين مما سيحدث تاليًا ولكن لا أحد منا صرح بذلك، تنهيدة عميقة غادرت صدري عقب خطوي أول خطوة داخل تلك

الشقة حيث يفصلني عنها شارع لا يتعدى عرضه العشرة أمتار ونافذتان زجاجيتان.

ما طمأن قلبي قليلاً هو أن الوقت متأخر فنحن تجاوزنا الساعة الواحدة صباحًا ولابد من أنها نائمة الآن فستائر نافذتها مسدلة والأنوار مغلقة .. أجل فأول ما فعلته كان الذهاب للنافذة حيث وصف لي مايكل نافذتها، ظللت واقفًا مكاني كتمثالٍ إغريقيٍ نُقل حديثاً منتصب وكل تركيزي تجاه تلك النافذة القريبة.

شعور غريب اجتاح دواخلي رغم كل التوتر إلا إنني شعرت بالارتياح كوني قريبٌ منها، ترى متى سأراها أتمنى أن يكون قريبًا.

أخذ منا ترتيب حقائبنا وقتاً لا بأس به ولم نشعر حينما سقطنا نائمين بتعب إثر رحلتنا الطويلة والجهد المبذول في منزلنا الجديد، استيقظنا في اليوم التالي في وقتٍ مُتأخر وفاتتني مشاهدة زهرة أثناء ذهابها للعمل فقد كانت خُطتي مراقبتها في صمتٍ لفترة ولكني فوت اليوم الأول بالفعل باستغراقي في النوم، الساعة الآن قرابة الثالثة عصرًا وهى بصدد الانتهاء من العمل كمترجمة والذهاب للمطعم والذي بالمناسبة يحمل عنوانًا غريبًا نوعًا ما " مطعم يوم سعيد " ما باله هذا الاسم المريب ولكن بحسب كلام مايكل فهو مطعم راقٍ ويزوره الكثيرين بسبب جودة الطعام والخدمة ولطف مالكه أيضًا.

- ماذا ستفعل مراد؟ أو بمعنى أصح ما الذي تنوي فعله بعدما أتيت إلى هنا؟

لا أعلم مايكل لم أفكر بالأمر جيدًا بعد ولكنني ربما أنوي مراقبتها لفترة من بعيد من خلف هذا الزجاج، جاوبت سؤال مايكل البديهي بينما أؤشر على النافذة أمامي، هنا حيث قاطع مُنذر المتحمس كلامي ...

- ماذا ماذا ؟؟؟؟ تنوي مراقبتها من خلف النافذة من تعتقد نفسك الليدي جولييت!!

مراد الرجال يحسمون أمرهم بالضربة القاضية لنداهمها في المطعم لنربكها ونلعب بأعصاب تلك الشيطانة الصغيرة لنرى ماذا ستفعل.

منذر أولاً لا أسمحك لك بالحديث عنها هكذا، أستطيع رؤيته يقلب عيناه من خلف ظهري أنا أؤكد ذلك، ثانيًا مداهمتها ماذا نكون نحن عصابة من المافيا الإيطالية؟!

- عذرًا مراد ولكن ما قاله مُنذر هو عين الصواب، بالتأكيد جميعنا لم نترك أعمالنا ونجاورك لمراقبتها نحن نود فض هذا النزاع العجيب بينكما في أسرع وقت فكلما زادت المدة توسع الأمر وأصبح مؤذٍ أكثر من البداية.

حسنًا يا رفاق ماذا تريدونني أن أفعل؟

- داهمها كما اقترح هذا البربري هناك.

تنهدت بحيرة لما يجب علي لقاؤها بهذا الشكل منذ اليوم الأول؟!

حسنًا لنستعد ونذهب لتناول الطعام في المطعم الذي تعمل به، ولكن ما الذي يجب علي فعله؟؟

- لا شيء سنجلس ونتناول الطعام فقط تجاهلها وكأنها شخصٌ غريب، ألم تكن تنوي معاقبتها والتجاهل خير عقاب.

حسنًا أيها اللئيم المداهم ، ضحكنا جميعًا ببلاهة لنخفف من حدة الموقف.

الساعة تجاوزت الرابعة والنصف وكنا على وشك الانتهاء والخروج لذلك المطعم، أخذ منا الطريق وقتًا لا بأس به، اقتربنا منه وكانت خطواتي تبطئ وأنفاسي تثقل مجرد فكرة رؤيتي لها بعد ما حدث تُثقل كاهلي وبشدة ، أنا مرتعب بالفعل لست خائف بل مرتعب.

دلفنا للمطعم والذي كان راقيًا للغاية كما أخبرنا مايكل كما أنه مريح ويملك هالةً لطيفة، جلسنا في أول طاولة صادفناها كان قلبي يدق بعنفوان كعصفورٍ جريح يرغب بتحطيم قفصه الذهبي والانطلاق مع الريح، عيناي تبحث هنا وهناك تبحث عن هيأة مألوفة ولكنى رغم ذلك لم أجدها.

أتى نادلٌ ما ليأخذ طلبنا ولم تظهر هي بعد ..

- مراد لمَ لا أراها هل تعتقد أنها لم تأتِ اليوم؟

- أصمت مُنذر لا توتره ربما هي في المطبخ فحسب أو مشغولة بشيء ما.

بعد دقائق سمعت همهمات أعرفها جيدًا لأنتبه لمصدر الصوت ولم يكن سواها، إلهي أكانت تملك عينان جميلتان هكذا!

وتلك الابتسامة الرائعة، لم تنتبه لنا بعد كانت تحمل طلباتنا كمتمرسة وتتقدم بخطى واثقة حتى سقطت ابتسامتها وسقطت أنا...

سقطت في أعماق الحب والاشتياق مرة أخرى .....

وقفت بمكانها تحملق بنا بينما أنا أيضًا لم أستطع إبعاد ناظري عنها، حاولت تلبس البرود وعدم المبالاة قدر المستطاع، ظلت مكانها متصنمة لا ترمش لا تتنفس لدقيقة وأخرى وأخرى إلى أن تحركت أخيرًا.

خطاها متزعزعة جسدها بأكمله يرتجف، أستطيع رؤية تلك الدموع المتحجرة بعيناها البُنية التي أراها لأول مرة ولكنها رغم ذلك تتحرك نحونا بضعفٍ واضح، لا أعلم ما بعقلها وما الذي تُفكر به حقًا؟

هل ستحادثنا ، تتخطانا أم فقط تدعي البلاهة وكأنها لا تعرفني؟؟

قطع حبل أفكاري صوت الأطباق بينما تضعها على الطاولة، لم تنظر لي عيناها كانت تنظر للأسفل كمذنبٍ ما وبالفعل هي أذنبت في حقنا.

عندما انتهت من وضع الأطباق أخرجني من شرودي بها صوت مُنذر الذي كان يتفوه بالهراء

- لقد طلبنا بوضوح عدم وضع الخيار بالسلطة لما هو موجود؟ آوه ربما الطاهي كفيف ولا يدرك ما يفعل!

ظلت صامتة تنظر للأسفل وأنا لم أقو على الحديث لقد لُجّم لساني

- ألا تستطيعين إجابتي؟ ربما أنتِ بكماء هذه المرة أو شيء ما؟؟

- هاي ما بك أيها البربري، عذراً يا آنسة فصديقنا هنا ذو لسانٍ سليط بعض الشيء.

هذا كان مايكل والذي يحاول إنقاذ الموقف ولكنها لم تجاوب بل أخذت خطاها مبتعدة عنا، كانت تركض مبتعدة بينما أنا عيناي معلّقتان عليها أراه تبتعد عنا شيئًا فشيء.

ما الذي قولته مُنذر؟ أهذا كان اتفاقنا لما تفوهت بذلك الهراء؟

- لست آسف مراد هي تستحق أعلم أنها ضحية أيضًا ولكن يجب أن يكون أحدنا على الأقل قاسي معها لتُدرك خطأها.

ما بالك أنت هي أخطأت بحقي أنا ولم أتفوه بكلمات كتلك وفر كلماتك اللاذعة لنفسك أرجوك يكفيني ما أنا به.

- حسنًا سأحاول.

قاطع حديثنا صوت فتاةٍ ما ....

- عذراً يا سادة يبدو أن هناك خطأ بطلبكم، أوه مايكل مرحبًا كيف حالك لم نرك منذ مدة

تقطع صوت مايكل وتهدج بينما يبتسم بخمول لتلك الفتاة، كنت أنظر له انتظر إجابة

- مرحبًا ليزا، أعتذر كنت خارج تورينو لفترة.

مهلاً مهلاً .. ليزا!!! أليست صديقة زهرة؟

من أين يعرفها مايكل ولما لم يخبرني؟!

- حسنا يا سادة أصدقاء مايكل هم أصدقاء لي أيضًا نعتذر عن الخطأ وسوف أجلب لكم عصير برتقال كاعتذار على حساب المكان.

اعتذرت بينما تبتسم وغادرت المكان لأنظر نحو مايكل انتظر منه تفسير لما يحدث أمامي

- لا تنظر لي بتلك الطريقة، أنا زبون بهذا المطعم لذا أعرف ابنة مالكه جيدًا.

ولمَ لم تخبرنا إذاً أنك على معرفة بصديقة زهرة؟

- أنت قولتها بنفسك صديقة زهرة لم أرغب بتعقيد الأمور أو أن تتردد بسبب معرفتي بليزا، هيا مراد لا تضخم الأمر.

حسنًا تناولوا طعامكم أما أنا سأرحل لا أطيق الجلوس بهذا المكان لدقيقة أخرى.

- إلى أين مراد؟

إلى أي مكان بعيد عن هنا مُنذر، ودت الاعتراف أنني لا أرغب بكوني في مكان متواجدة هي به، أخشى رؤيتها الآن والانهزام أمامها يكفيني أننا أسفل ذات السماء ونتنفس الهواء ذاته، في بعض الأحيان أرى إنني مبتذل بعض الشيء ولكن شخصيتي هكذا ولا يوجد مجال للتغير.

غادرت المطعم وأخذتني قدماي حتى نهر "بو" ، كانت الساعة تجاوزت السادسة وشمس أغسطس الحارة أوشكت على الغروب قررت الجلوس على أحد المقاعد القريبة من النهر وسط العائلات السعيدة علَّ ضحكات الأطفال من حولي ونسمات الهواء العليلة تُطفئ ما أشعلته بداخلي زهرة من حريقٍ لن يندمل.

شردت في ما حدث وما سيحدث ، أفكاري بين شد وجذب كلٌ منا تجاهل الآخر هل هذا ما أردته حقاً؟!

يبدو أن الأيام القادمة ستغدو أصعب وأصعب على كلينا، السماء أظلمت وتناثرت النجوم مُعلنة حلول الليل وأنا ما زلت شاردًا في أفكاري لم يخرجني منها سوى صوت هاتفي يبدو أن رفاقي قلقوا علي أخيرًا.

- مراد أين أنت لقد أصبحت التاسعة وأنت لم تعد، هل تناولت أي شيء فأنت لم تأكل منذ البارحة.

أنا عند نهر البو وبمناسبة الطعام لما ذكرتني فأمعائي الآن تتلوى جوعًا

- حسناً انتظرنا سنأتي لأخذك لنذهب لمكان ما لتناول العشاء.

في انتظاركم، بعد القليل من الوقت وصل الرفاق وذهبنا إلى أحد المطاعم في قلب مدينة تورينو، الجو بيننا كان هادئ والصمت سيد المكان يبدو أن اليوم كان ثقيل علينا جميعًا.

زهرة

ما الذي أراه؟

هل أصبت بالهلاوس الآن وأصبحت أرى الأوهام؟!!

مراد؟ مراد هنا يجلس أمامي وينظر لي؟!

تشنجت قدماي وارتعشت أطرافي، العرق البارد تجمع خلف عنقي، قلبي يطرق بعنف لا أعلم كيف أتصرف وما الذي علي فعله!

الصدمة أوقفت خلايا عقلي عن العمل أنا فقط أرغب برمي ما بيدي والصراخ عاليًا، مراد أمامي بعد ثلاث سنوات من البُعد والفراق

تلك الرسالة يبدو أنها السبب، جميع أفكاري تشوشت لا أدرك كيف يجب أن يكون رد فعلي وبعد دقائق قليلة قررت الذهاب إليهم وتجاهل الوضع حتى ألملم شتات نفسي وأفكاري.

كنت أتجنب النظر لهم بينما أضع الأطباق خائفة من التقاء ناظرينا، ودت لو تركت كل شيء وعانقته واعتذرت منه حتى بح صوتي ولكن جسدي متيبس بالكامل لا يتحرك وعقلي

استقال من عمله.

كل شيء كان هادئًا حتى تفوه مُنذر بكلماته تلك والتي أفقدتني رابطة جأشي لطالما كان مُنذر سليط اللسان ومتهور يناقض شخصية مراد تمامًا.

كلماته آلمتني لا يمكنني إنكار ذلك ولكني رغم ذلك أستحق بل أستحق أكثر من ذلك، ركضت مبتعدة عنهم وطلبت من ليزا الخروج لهم هي بالطبع لا تعرف من هم ولكنها عادت بعد دقائق تخبرني أنه مايكل وأصدقائه.

كيف تعرف ليزا مايكل؟ ما كل هذا التشابك؟!!

لم أستطع التحدث فقد كنت أعاني من انهيار عقلي لحظي

- زهرة ما بك وجهك شاحب وأطرافك ترتعد؟ إلهي ما تلك الدموع ماذا حدث هل أزعجك أحد بالخارج؟

حاولت استجماع كلماتي لأخبرها عمن بالخارج ولكن الكلمات تأبى الخروج كل ما أفعله هو البكاء بصمت، ليزا كانت مرتعبة من حالي تتمسك بكتفاي محاولة منها لفهم ما يحدث.

ليزا أتعلمين من مع مايكل بالخارج إنه مراد .. مراد يا ليزا من بالخارج هما أصدقائي ومراد

- م ماذا؟ أعيدي الكلمات مرة أخرى فأنا لم أسمع جيدًا

مراد من؟

مراد نحن لا نعلم سوى مراد واحد ليزا، كنت أحادثها بينما أرتعد.

عانقتني ليزا بقوة تحاول تهدئة روعي ولو قليلاً فالموقف صعب للغاية وصادم أيضًا

- اهدئي عزيزتي سيمر الأمر بخير اهدئي.

كانت تربت على ظهري بحنانٍ بالغ

- سيمر عزيزتي سيمر، أنظري زهرة سأهاتف صوفيا حتى تقلك للمنزل غادري من الباب الخلفي لا تحتكي بهم مهما كلف الأمر حتى نرى ماذا سنفعل.

وبالفعل هاتفت صوفيا التي وصلت سريعًا فما أخبرتها به ليزا مرعب لنا جميعًا، غادرت المكان وعدت للمنزل أختبئ كعادتي أسفل الأغطية فقط الدموع تخرج بغزارة من عيناي ودون تحكم مني لا أعلم كم من الوقت مر ولكن حل الليل فالظلام يغلف المكان من حولي.

انتبهت لرسائل صوفيا وليزا وحتى فيتال يرغبون في المجيء لي ولكني مُتعبة لذا طلبت منهم تأجيل تلك الزيارة للغد كما أخبرتهم بعدم استطاعتي للقدوم للعمل غدًا.

انتهت محادثتي الصغيرة معهم لأجلس بجوار أقحوانتي أسفل النافذة أراقب السماء بينما أحتضن قدماي وأسند رأسي على ركبتاي، رأسي فارغًا لا أستطيع التفكير جل ما يدور بعقلي هو مراد.. مراد فقط.

تُرى ما لذي جاء به إلى هنا؟ أهي الرسالة؟؟

هل وجوده بالمطعم كان مصادفة؟ الكثير من الأسئلة تدور بعقلي ولا يوجد لها إجابات ولكن أهم سؤال كان ما الذي يجب علي فعله هل أعتذر منه وأطلب الصفح والغفران، أخبره كم أحبه وكم أنا نادمة .. ؟

تكاثرت الأسئلة بعقلي وتأخر الوقت ولا أعلم ما الذي علي فعله حتى أصفي عقلي ولو قليلاً، الرسم والموسيقى هما الحل الأمثل.

نافذتي مفتوحة على مصراعيها تسمح لنسمات الليل اللطيفة بالعبور، الضوء خافت وسيمفونية "ضوء القمر " لبيتهوفن تصدح بصوتٍ هادئ وأمامي لوحتى البيضاء الناصعة والتي قررت أن أنقش عليها لوحة فان جوخ " ليلة مرصعة بالنجوم ".

ما أجمل حالي أستمع لمعزوفةٍ موسيقية لرجلٍ أصم بينما أرسم لوحة لفنان مختل عقليًا رسمها بينما كان في مصحة نفسية .. رائع بل رائع للغاية يبدو أنني على حافة الجنون الآن.

ظللت على وضعي هذا طوال الليل أرسم بينما أستمع للموسيقى بينما هناك زوج من الأعين تراقب تحركاتي في صمت.

(٧)

مراد

عدنا للمنزل يُغلف أجسادنا إرهاق اليوم بأكمله نام مُنذر في لمح البصر كجثةٍ هامدة بينما أنا ذهبت نحو النافذة ولكنها مغلقة والظلام يخفي كل شيء، ظللت أراقب النافذة أمامي من خلف الستائر حتى لمع ضوءٌ خافت بالغرفة ورأيتها رأيت زهرة تتحرك وسط الغرفة

ما هذا؟ تتحضر للرسم ..!!

زهرة ترسم؟؟ بالطبع فأنا لا أعرف عنها شيء والرسم من بين الكثير من الأشياء لا أعرفها عنها، في أثناء مراقبتي لها والتي قد يراها البعض تجسس أو ترصد ولكني فقط أشبع عيناي وجوارحي بملامحها تسلل مايكل إلى جانبي وكان ينظر لي كمذنب ..

ما بك مايكل لما تنظر لي هكذا؟

- هناك أمرُ ما عليك معرفته.

ماذا هناك؟ سألته غير منتبه له فكل انتباهي مُنصب تجاه زهرتي التي تبدو أنها تستمع للموسيقى بينما تَرسم.

- فيتال صاحب معمل الترجمة الذي تعمل به زهرة هو صديقي .

في لحظة إنهاءه لجملته والتي تردد صداها عبر عقلي لا أفهم كنهها تحول تركيزي نحوه، ماذا تقول مايكل بالصباح فتاة المطعم وفي الليل المترجم ماذا تخفي عني أيضًا؟

- صدقني لا أخفي شيئًا فأنا تفاجأت عند معرفتي أنها تعمل مع أصدقاءٍ لي، كما أنني لم أرها خلال الثلاث سنوات ولا لمرة واحدة، لو كنت رأيتها لكنت تعرفت عليها من فوري، لقد ترددت في إخبارك أرجوك مراد قدر موقفي فأنت صديق عمري ومثل أخي وفيتال أيضًا صديق طفولتي.

حسنًا مايكل ليس هناك ما بإمكاننا فعله لا تُرهق عقلك بالتفكير سنرى ما سيحدث، اذهب للنوم الآن وفي الصباح لنرى ما يمكننا فعله.

ذهب مايكل للنوم بينما ظللت أنا بمكاني أراقب تحركات زهرة في لهفة حتى أغلقت النافذة واختفت خلف الستار.

استيقظت بوقتٍ متأخر في اليوم التالي كنت كدرًا بسبب تفويتي لمعاد مغادرتها للعمل ورغم ذلك نظرت نحو نافذتها وما فاجئني أنني وجدتها..

وجدتها تجلس بجوار النافذة ولكن الساعة الآن الحادية عشر صباحًا لما هي هنا!!

يبدو أنها لم تذهب للعمل اليوم بالطبع موقف البارحة كان صعبًا عليها، إلى متى سأظل أراقبك من خلف ستار إلى متى سنظل على هذا الحال يا نجمة القلب؟

- صباح الخير

صباح الخير لك أيضًا مُنذر

- هل نمت جيدًا؟

لا أعلم فقد سهرت لساعة متأخرة، أين مايكل؟

- أخبرني أنه يملك عملًا ما وسيعود خلال ساعتين

حسنًا، ألن تخرج اليوم؟

- وهل ستخرج معي؟

لست بالمزاج

- لست بالمزاج أم أن محبوبتك أمامك ولا رغبة لك بمفارقتها؟

إصمت مُنذر وحضّر لي الإفطار أنا جائع

- يا لك من عاشق بائس.

مرت الساعات بين ثرثرتنا ومراقبتي لزهرة، وصل مايكل وغادر هو ومنذر للتنزه قليلاً وظللت أنا في المنزل أمام النافذة رغم اختفاء زهرة من أمام ناظري منذ مدة.

بحدود الرابعة والنصف بعد انشغالي بعدة أشياء ذهبت للنافذة لأرى شابٌ ما يقف هناك كنت أرى ظهره فقط ولكن من هذا الرجل والذي بالمناسبة زهرة أمامه تتحدث إليه؟؟؟

كنت أشعر بالغضب الشديد من هذا الرجل أمامي لا أعلم من هو وبينما أنا أستعد لإلقاء لعناتي عليه رأيت فتاةٌ ما تحتضن زهرة من الخلف بينما تدفع هذا الشاب بعيدًا عن النافذة.

آوه إنها فتاة المطعم يا لغبائي إذًا هؤلاء هما أصدقاؤها، ربما هذا الشاب هو فيتال صديق مايكل؟! ظهرت فتاة ثانية إذًا هذه هي صوفيا يبدو أنهم مُقربين للغاية والآن جميعهم اختفوا من أمام ناظري يبدو أنهم جالسين على الأرض أو بغرفة أخرى لا أعلم.

تُرى ماذا يفعلون؟ ولما أتوا إليها هل هي مريضة أو شيئًا ما؟

أعتقد هم يتفقون علّي الآن، ربما لم تُخبرهم زهرة عني فالفتاة من الأمس لم تُبدي أي ردة فعل غريبة، على كلٍ يجب علي الآن التفكير بوضعي وبما سيحدث.

زهرة

ظللت منشغلة بموسيقاي ولوحتي حتى بزغ الفجر، كنت مُتعبة بشكلٍ كبير لذا قررت ترك كل شيء والذهاب للنوم تاركة جميع أفكاري خلفي فمهما فكرت وفكرت لن أصل إلى حل.

استيقظت صباح اليوم التالي شاردة كما البارحة ولكن معدتي كانت تأن بسبب قلة الطعام لذا جلست بجوار النافذة أتنعم بحرارة شمس تورينو بينما أتناول شطيرة مع شاي الأعشاب حتى يُهدأ دواخلي ولو قليلاً.

بعد فترة قررت ترتيب المنزل وتحضير بعض الوجبات الخفيفة لإلهاء نفسي أولاً ولأن الرفاق سيأتون في منتصف اليوم ثانيًا.

مع الرابعة عصرًا دق جرس المنزل لتستقبلني ابتسامة فيتال الساخرة كما العادة حقًا هذا الرجل سيتسبب في انهياري عصبيًا بسبب شخصيته المزعجة أو هو يتّعمد إزعاجي دائمًا.

وقفنا ننظر لبعضنا البعض جميعًا بلا حديث حتى نطقت أخيرًا بانفعال لا تنظروا لي هكذا فأنتم تعلمون ما حدث بالفعل.

- علاج الأحزان تبادل الأحاديث يا عزيزتي لذا نحن هنا لنسمع منكِ لا من ليزا.

تنهدت بينما أنظر لـفيتال الذي يبدو ذكيًا جدًا بكلماته تلك، قصصت عليهم ما حدث لأجد صوفيا تنظر لـفيتال بينما تخبره

- تتحدث أنت أم أتحدث أنا فيتال؟

- لا سوف أتحدث أنا، زهرة هناك شيءٌ ما يجب عليكِ معرفته

لا أعلم لما كلماتهم تلك والطريقة الجدية التي تحدث بها أثارت فزعي

- مايكل صديق مراد يكون صديق طفولتي هو بمثابة أخي الأصغر فوالدته صديقة أمي المُقربة وهو بالفعل قضى معظم طفولته بمنزلنا حتى قرر والده السفر خارج إيطاليا للعمل وغادر هو معه بالفعل لم أستطع ربط الأحداث ببعضها أبدًا بل لم أكن أتوقع هذا مُطلقًا ولكن يبدو أن العالم صغير بالفعل عكس أفكاري.

توسعت عيناي فأنا لا يُمكنني استيعاب ما يحدث، مايكل صديق مراد المقرب والذي لطالما أخبرني عنه هو صديق رفاقي هنا ..!!!

ماذا يحدث لي كيف يمكن أن تجتمع كل تلك المصادفات سويًا؟ يبدو الأمر كما لو أن هناك مؤامرة كونية ضدي بالفعل.

فيتال أنا حاليًا داخل صدمة عصبية لا أعرف ماذا أقول

- لا عليكِ نحن نعلم بالفعل أن الموقف صعب ولكن لا دخل لكِ أو لهم بعلاقتنا بكِ أو بمايكل.

أتعتقد ذلك فيتال؟

- ثقِ بنا زهرة فنحن الإيطاليون دائمًا ما نقول " إشتم صديقك في الخفاء ولكن امدحه أمام الآخرين".

كلمات صوفيا كانت مطمئنة قليلاً، ربما ارتاحت دواخلي عند تحدثي لأصدقائي، قضينا اليوم سويًا بمنزلي وغادر الجميع بحلول العاشرة مساءً، كنت أقف بجوار النافذة أراقب القمر فالسماء صافية والنسيم الرقيق لأغسطس عليل، هواء تورينو هو الأفضل على الإطلاق لذا وبحلول الحادية عشر قررت الخروج لمقهى العم ألبرتو فهو يتواجد هناك من الآن وحتى الفجر.

كنت أجلس في زاوية المقهى بينما صوت "داليدا" يترنم بالأرجاء كان رائعًا مع القهوة اللذيذة التي يقوم بطحن بُنها العم ألبرتو بنفسه فهو يحب تدليلي كثيرًا.

- ما بها زهرة شاردة اليوم ولا تهتم للعجوز ألبرتو هل وقعت بغرام رجلٌ غيره؟

قهقهت بشدة على كلماته، لا أستطيع الوقوع بغرام أحدهم بينما هذا الوسيم أمامي

- شباب هذه الأيام معسولي اللسان، ولكن ما بكِ حقًا أهناك ما يشغل بالك؟

هناك الكثير عم ألبرتو، شبح الماضي يطاردني وكل ما تركته خلفي في الوطن هاربة للإحتماء بسماء تورينو أتى للبحث عني، لا أعلم كيف أتصرف هل أهرب مرة أخرى أم فقط أواجه علَّ أيامى الوردية تحلّ أخيرًا.

- الهرب ليس حلاً يا ابنتي واجهي كوني شجاعة وواجهي الأمر.

ولكني خائفة، خائفة من الألم والخسارة

- عليكِ المجازفة في بعض الأحيان حتى تعلمي النتيجة، أتعلمين هناك مثل إيطالي يقول " من بلع البحر يستطيع أن يبلع جرعة أخرى " القادم لن يكن أسوء مما فات.

أنت مُحق بالفعل القادم لن يكن أسوء مما فات ، شكرًا عم ألبرتو وأيضًا شكرًا على القهوة الرائعة، سوف أذهب الآن علي الاستيقاظ باكرًا في الصباح.

- حسنًا ليلة سعيدة.

لك أيضًا، غادرت المقهى وعدت لمنزلي أخذت دوائي ونمت، نمت بلا تفكير أو قرار ما علي فعله.

مراد هنا ويجب علي حل الأمور لا أعلم مكانه ولكن يمكنني الوصول له بكل سهولة إن أردت لذا علي القرار واستجماع شجاعتي في أقرب وقت ممكن.

الصباح كان هادئ خالي من الأحداث انشغلت بالعمل حتى موعد الغداء لنذهب ثلاثتنا لمطعمنا المعتاد.

مراد

ظللت أراقبهم من النافذة بين وقتٍ وآخر فأنا وحيد هنا مُنذر ومايكل بالخارج، كنت أرى القليل من التحركات بين وقتٍ وآخر فكرت في الخروج قليلاً ولكن خشيت أن يراني أحدهم برغم أن للمبنى مَخرج آخر بالشارع الخلفي ولكن الاحتراس واجب حتى أخطط جيدًا لما سيأتي.

أخيرًا غادر أصدقاءها وأتت زهرة للنافذة، جميلة هي رغم ذبول حالها ولكن كما يقال يبقى الورد وردًا مهما خانته الظروف.

كنت أتمنى الركض إليها وضمها بشدة ولكن لم يحن وقت العناقات بعد، بعد فترة أغلقت النافذة ظننتها ستخلد للنوم ولكنها غادرت!!

إلى أين تذهب في تلك الساعة وهى تَمُلك عمل صباحًا؟؟

كم رغبت في النزول خلفها ولكني هكذا سأغدو كمترصدٍ بالفعل لذا ظللت في انتظارها بالنافذة حتى تعود وبعد ساعة أو أكثر بقليل عادت ولكنها لم تفتح النافذة لذا قررت النوم فحتى الآن لم يعد مُنذر ومايكل من الخارج هما يستمتعان بوقتهما

بالخارج بينما أنا أجد متعتي خلف ستار.

في اليوم التالي اقترح منذر الذهاب للغداء في الخارج أو في مطعم صديقة زهرة، كنت خائف ولكني مضطر للموافقة فأنا أرغب برؤيتها وبشدة.

هل أعرف ما علي فعله عند رؤيتها؟ بالطبع لا فعقلي فارغ لم أخطط لأي شيء ربما انظر لها وانتظرها تبدأ هي بالحديث كما وعدتني في رسالتها .. لا أعلم.

عند وصولنا للمطعم كانت الساعة تجاوزت الثانية عشر ظهرًا بقليل كان قلبي يدق بعنف رغم علمي بعدم تواجدها في الداخل فعملها يبدأ مع الرابعة كما أخبرني مايكل ولكن يا لحسن حظي.....

زهرة

وصلنا المطعم ولكني كنت أحترق الوقت ظهرًا وحرارة أغسطس في ذلك الوقت ليست بمزحة، تركت فيتال وصوفيا يطلبان الطعام بطاولتنا المعتادة وذهبت أنا لغسل وجهي بماءٍ بارد حتى تهدأ بشرتي المتضررة قليلاً.

وقفت قليلاً مع العم توني كان يخبرني بأمرٍ ما وعند عودتي رأيت ما لا يُحمد عقباه

مايكل منذر ومراد بالطبع جالسين على طاولتنا مع فيتال وصوفيا.

(٨)

دلفنا للمطعم بهدوء كنت واثقًا من عدم تواجدها ولكن وللمفاجئة صديقاها كانا بالداخل فقد تعرفت عليهم من فوري لقد راقبتهم طوال يوم البارحة وأيضًا صرخات مايكل وذلك المدعو فيتال الصاخبة التي صدحت بالمكان أكدت معلومتي السابقة، ولكن أين زهرة؟؟

****

- من مايكل إلهي الوغد الصغير في تورينو ولم يخبرني (صوتي صدح بالمكان فقد تفاجأت بالطبع ولكني أعلم بوجوده في تورينو ولكن لا يجب علي ذكر زهرة فعلاقتها من شئونها الخاصة لن يتدخل أحدنا سوى بطلبٍ منها)

- فيتال اشتقت إليك، تعانقنا بينما ترمقنا صوفيا بحقد لأتوجه إليها أعانقها بحرارة أيضًا فهي قريبة منا للغاية.

- ثمانية أشهر أيها الخائن لا تسأل بها عنّا، ألم تشتق لصوفيا ؟

- اشتقت لكِ بالفعل ولكني كنت مشغول حقًا أنا آسف.

- إذًا مايكل ألن تعرفنا على أصدقائك؟

كل هذا كان يحدث من حولي بينما عيناي تبحث عن فقيدتها، تبحث عن زهرة ولم تجدها، انتبهت أخيراً لحديث أصدقائها ليعرفنا مايكل بهم ..

- آوه هذان صديقاي المقربان قد أخبرتكم عنهم من قبل فهم كانا رفيقا غربتي مراد و مُنذر

وهذان أصدقائي فيتال وهو بمثابة أخٍ لي فقد نشأنا معًا وهذه صوفيا صديقتنا الغالية.

مرحبًا حييتهم في هدوء بينما مُنذر اندمج من فوره في الحديث

- مايكل لما لا تنضم إلينا أنت وأصدقاؤك نحن هنا في فترة الراحة للغداء.

- حسنًا ما رأيك مراد؟

أجل بالطبع شكرًا لكم، جلسنا وكانوا يتحدثون جميعًا بأريحية وطبيعية ولكن كيف؟!

ألم تخبرهم زهرة عني؟ أين هي من الأساس؟ لذا قررت بدء حديث حتى لو كان بسؤالٍ غريب ولكني لن أتمالك فضولي بعد الآن.

هل أنتم وحدكم هنا لتناول الغداء أم تملكون رفقة؟ كان سؤالي موجه لفيتال وصوفيا و انتهى سؤالي تزامنًا مع رنين هاتفها معلنًا وصول رسالة تجذب انتباهها عني هي وصديقها هنا

لتنظر لي بعد ثوانٍ مجيبة إياي

- نحن وحدنا اليوم رفيقتنا قررت البقاء وتناول الغداء في العمل.

آوه أعتذر عن فضولي.

- لا عليك، إذًا هل أنتم في إجازة هنا أم جئتم للعمل؟

كان هذا السؤال قادم من فيتال والذي كان يتمعن في طوال الوقت لا أعلم لمَ ولكنه كان كمن يتفحصني ويحاول تحليل شخصيتي.

لا نحن هنا للاستمتاع قليلاً

- كم ستبقون ؟

- ما بكِ صوفيا لم أعهدك فضولية

- اخرس مايكل أنا فقط أحاول فتح حديث لنتعرف بهم أكثر فيبدو أنها لن تكون المرة الأخيرة التي نتقابل بها.

استمرت الأحاديث العشوائية بيننا والتي اكتشفت من خلالها أن فيتال وصوفيا بجانب ليزا والتي انضمت إلينا بعد فترة قصيرة أشخاص لطفاء ويملكون شخصيات جيدة ما جعلني ممتنًا أن زهرة لم تكن تُعاني هنا بين أناس يضطهدنها أو يسيئون معاملتها

كما تأكدت أيضًا أنهم يعلمون عني فهم لم يأتوا على ذكر اسمها أبدًا طوال جلستنا، وبعد ساعة أو أكثر بقليل غادروا مُعتذرين للعودة إلى عملهم.

****

عند مغادرتي عقب انتهاء حديثي مع العم توني والعودة للطاولة وجدت مراد يجلس هناك بحق الله ما هذه المصادفة العجيبة، ماذا يفعل هنا وفي هذا الوقت؟ أهو يُراقبني أو شيئًا ما!!

أنا لم أستعد لمواجهته بعد، تراجعت قليلًا أتوارى عن الأنظار حتى اتخذت قراري بالهرب والعودة للمكتب بعد مراقبتهم للقليل من الوقت فعيناي حقًا اشتاقت لرؤية مراد.

كم تمنيت الركض والارتماء بين أحضانه ولكني أخشى الرفض لذا عدت للمكتب وأرسلت رسالة لصوفيا أخبرها بذلك حتى لا يبحثوا عني.

كان القلق ينهش دواخلي أنقر أصابعي على المكتب أمامي بتوتر شديد انتظر عودتهم للعمل بينما الوقت يأبى التحرك كشجرةٍ صامدة امتدت فروعها وثبتت في ذات المكان.

بعد ساعة ونصف مرّت علّي كأبد الدهر وصلوا أخيرًا، فيتال كان يملك ملامح غاضبة ليصرخ في وجهي بحنق شديد

- لمَ هربتِ، لمَ؟؟

لقد أصابني الخوف فيتال لا تصرخ علّي فأنا مُحطمة بالفعل.

- أنتِ غبية فقط غبية، الرجل قطع الكرة الأرضية وأتى إليكِ كما تمنيتِ وطلبتِ وأنتِ فقط تفرين هاربة من مقابلته!

وتبررين تصرفاتك بالخوف، عليك معرفة أن الطريق قصيرة بين الخوف والبغض زهرة ما تخافينه الآن ستبغضينه غدًا بسبب تهورك وجبنك.

- فيتال اهدأ لقد تماديت حقًا

- لم أتمادى أنا فقط أحمل هم صديقتي ذات العقل الزيتوني والتي تُضيع حياتها للمرة الثانية بسبب ضعف غير مبرر.

كلمات فيتال كانت حادة وحارقة كألسنة اللهب ولكنها حقيقة، لم أشعر بذاتي عندما إنهمرت دموعي دون إرادتي، هم يرونني ضعيفة وجبانة حسنًا أنا كذلك بالفعل فلم يعش أحدهم ما عشته أنا لم يكذب أحدهم كذبتي وطلب الغفران

الوضع أصعب علّي مما يعتقدون هم

- زهرة إلهي لم أقصد إبكاؤك يا لي من أحمق، أعتذر عن حديثي اللاذع وكلماتي الطائشة، أنا فقط أتمنى لروحك أن تهدأ، أنتِ تعلمين أنتِ كشقيقة لنا لستِ مجرد صديقة.

أعلم ولكني مفتتة بين تفكيري وعجزي وخوفي أرجو أن تضع نفسك مكاني، أنا مُتعبة للغاية.

بعد فترة من الوقت بعد أن هدأ الجو المُحتدم بيننا وجدت فيتال يدق باب مكتبي بابتسامة بلهاء دائمًا ما يبتسمها عندما يخجل من شيء فعله، صوفيا كانت إلى جواره تحمل صينية طعام بينما هو يحمل قطعة كعك.

- أنتِ بالطبع لم تتناولي طعامك لذا جلبنا لكِ طعامك المفضل كاعتذار، فهلا أصفحتِ عن صديقك وأخيكِ الأحمق.

لم أستطع تمالك أعصابي فضحكت بعلو يرتج جسدي بالكامل نتيجةً لضحكاتي، إلهي لقد كافئتني بأصدقاء وأخوة رائعين في هذا البلد الغريب.

- زهرة أتعلمين هذا الشاب مراد أنه حقًا رائع.

- حقًا زهرة لم أكن أرغب في أن أتفق مع فيتال ولكنه بالفعل شخصٌ جيد.

- بالطبع يُمكنك رؤية معدن البشر بالحديث معهم وهو يمتلك

معدن جيد، بصراحة زهرة أنا مُعجب به فهو مهذب وهادئ بالطبع أكره الهدوء ولكنه رزين ذلك الهدوء اللطيف، غني وطموح وجيد بعمله وللحق هو وسيم أيضًا بالطبع هو هزيل بعض الشيء ولكنه مازال وسيم هو كل شيء قد أرغب به في زوج صديقتي الصغيرة المُفضلة.

- أنا أيضًا، وأحذرك زهرة إن لم تصلحي الأمور لربما زوجته ابنة خالتي فهو فرصة لا يجب تضيعها.

- زهرة احذري فتلك المدعوة ريتا قريبة صوفيا بغاية الجمال والذكاء ستسرقه منكِ بلمح البصر عزيزتي.

انتهى حديثنا الشيق والذي كان مراد وشخصيته هو محوره الأساسي، باقي اليوم كنت شاردة أتحرك كجسدٍ بلا روح، ليزا كانت بجانبي تدعمني كعادتها لينتهي اليوم أخيرًا وأعود للمنزل.

عند عودتي قررت السهر قليلاً الليلة لأرسم ربما أفرغ قليلًا من طاقتي السلبية المُتجمعة داخل قلبي، كانت ليلة صعبة وثقيلة للغاية الهواء جاف بشدة في الخارج لا توجد أي نسمات تُلطف من حدة أفكاري الثائرة، القمر مختبئ الليلة على غير العادة، كلما شرعت في رسمة جديدة أتلفها تشتتي وشرودي، كل ما حولي كان يُربك أعصابي المنهارة بالفعل لم أعِ على حالي سوى عندما تعالت صرخات غضبي ممزقة اللوحات أمامي وكسر فرشاتي وضرب ألواني عرض الحائط.

داخلي ثائر وهناك ضجة وعنفوان يضج من حولي يشق

صمت الليل، جميعها كانت آهاتي وصرخاتي التي احتفظت بها لنفسي لوقتٍ طويل بل طويل للغاية.

لقد عثت في منزلي الضيق فسادً لا إصلاح له، ولم أجد لي مهرب أو حل سوى أقراصي المنومة فالنوم هو الحل الأمثل للنيران التي أضرمتها بذاتي.

في الصباح التالي كنت أعاني من ألم حاد برأسي وحرارة الجو لم تُساعدني على الإطلاق، كنت أخشى مصادفة مراد اليوم كما الأمس وقبله ولكن لحسن حظي اليوم مرَّ بدونه فهو لم يعرج على المطعم ولم أصادفه في أي مكان من حولي.

لا أعلم هل علي أن أكون شاكرة لعدم مصادفته أم ناقمة لأنني لم أتنعم برؤية ملامحه اليوم! عدت للمنزل بحلول الثامنة فأنا مُنهكة عصبيًا وجسديًا بدرجة كبيرة، كما يجب علي إعادة ترتيب المنزل الذي حطمته بالأمس حمدًا لله لم يقوموا الجيران بشكايتي للشرطة وإلا كنت مُعتقلة الآن.

رتبت المنزل قليلاً بينما أتذمر كل دقيقة وأخرى يبدو أنني لم أعد أتقن شيء سوى التذمر في الآونة الأخيرة حتى قطع تذمري صوت جرس الباب، الساعة العاشرة الآن ربما هي ليزا ولكنها لم تخبرني بقدومها، على كلٍ فتحت الباب بتململ لأجد فتى التوصيل يحمل لي طردًا ما.

- هل أنتِ الآنسة زهرة؟

نعم أنا

- هناك طردًا باسمك، أرجو منكِ التوقيع هنا.

وقعت الاستلام وتسلمت ذلك الطرد المريب، من سيرسل لي طردًا؟

جلست على الكرسي بجوار النافذة بينما أمزق أوراق التغليف لأجد صندوق يحتوي لوحة قماشية وأدوات للرسم وهناك برقية صغيرة فتحتها لتعلو صدمتي وجهي مما قرأت

" مرحبًا خائنتي الجميلة لا يليق بكِ الغضب وتحطيم الأشياء، هل كنتِ عصبية هكذا دائمًا أم هو شيء اكتسبتيه مع عودة نظرك؟

أتمنى لكِ ليلة هانئة ولترسمي ملاكًا يحمل صولجان الشيطان فهو يُذكرني بشخصٍ ما .. مراد "

ما اللعنة ؟؟!

(٩)

مراد

عدت ليلاً وجلست أمام نافذتي كالمعتاد منذ قدمت لتلك البلاد لأجد زهرة تدور في مكانها وتحطم أدواتها وتمزق لوحتها، كانت تصرخ بجنون ثائرة الأعصاب فهي حطمت المنزل تقريبًا.

رؤيتها بهذا المنظر المذري أثار دهشتي وفزعي في الوقت ذاته، ماذا حدث ليثير غضبها بهذا الشكل والعنفوان؟ هل ربما أنا السبب؟؟!

ظللت أراقبها بصمتٍ بينما تهدأ شيئًا فشيء حتى اختفت عن أنظاري ربما أخيرًا قررت النوم، كنت أفكر بينما أراقب السماء ربما لم يمر سوى يومان ولكن الوضع موتر للغاية إلى متى سأظل مختبئ ونتفادى بعضنا البعض؟

لقد أرسلت لي اشتياقها الشديد ولقد أتيت لمعاقبتها لا هي أظهرت ذلك الاشتياق ولا أنا عاقبتها فقط نعلب لعبة الغميضة السخيفة ونتهرب من بعضنا البعض، استغرقت في تفكيري حتى توصلت لفكرةٍ شيطانية بعض الشيء وأنا لست بآسف ..

قررت إهداءها أدواتٍ للرسم بدلاً مما حطمتها مع رسالة صغيرة لأعلن عن وجودي بذلك الفعل اللئيم من وجهة نظري.

خرجت في اليوم التالي لشراء الأدوات وغلفتها جيدًا وأرسلتها من خلال شركة شحن ما، قضيت أنا والرفاق بعض الوقت في الخارج وعدت أنا بحلول السابعة أمسكت بزجاجة عصير الرمان المفضل لي وجلست أنا وهى بانتظار زهرتي لنرى ردة فعلها.

رفعت الستائر جانبًا وفتحت النافذة على غير العادة انتظر عودتها من الخارج، كنت منتبه للغاية ومتحمس لردة فعلها فهي بالتأكيد سيصيبها الجنون ولم يخرجني من انتظاري سوى صوت مايكل الذي عاد هو ومُنذر من الخارج.

- لقد قرر أحدهم أخيرًا كشف الستار عن نفسه

لحن جملته لأجيبه ساخرًا .. أجل فلم تعد لعبة الاختباء مجدية علينا إضافة بعض الخشونة والتوتر للانتقال للمستويات الأعلى، فنحن مُجبرون على مقابلة الوحش على أية حال.

قهقه الاثنان معًا وتركوني وحدي انتظر تلك النجمة الهاربة، بعد قليل من الوقت عادت زهرة كنت أراها تنظف ما أفسدته

بمنزلها وواضح عليها علامات الملل والإجهاد، وبعد فترة اختفت أعلم فقد دق جرس الباب بالتأكيد فهو موعد هديتي، كنت أتمنى رؤيتها عن قرب لأرى معالم الدهشة والخوف على وجهها ولكن رؤيتي لها من هنا ليست بذلك السوء أيضًا.

وقفت مستندًا على حافة النافذة أراها تشد شعرها بقوة بينما تزمجر فمعالم وجهها حتى لو كانت غير واضحة تمامًا بالنسبة لي ولكني أستطيع التخمين.

خرجت للنافذة تلقي نظرة على الشارع وتنظر من حولها، كانت تتلفت بجنون تبحث عني فهي بالطبع أدركت قربي الشديد منها، أخيرًا رفعت نظرها نحوي لتراني بينما هي تصنمت وهرب الدم من عروقها كنت أنا مبتسمًا بإشراق ألوح لها ببطءٍ شديد.

ظلت على حالها وثباتها لدقائق، أعتقد أن جسدها تشنج من المفاجأة وخلايا عقلها لم تعد تعمل بسبب الصدمة، بينما أنا أنظر لها انتظرها تتحرك أو حتى تتفوه بحرفٍ واحد، أفاقت هي من الصدمة وقامت بإغلاق النافذة بعنفٍ شديد بينما تصرخ بعلو يبدو أنها فقدت عقلها أخيرًا.

لا أعلم لمَ ضحكت ..!

ضحكت وتعالت قهقهاتي تملأ أرجاء المنزل، ربما لأنني أول مرة أراها مُنفعلة هكذا أو لأنني لم أرها على طبيعتها من قبل!
لا أعلم حقًا فالإجابة ليست لدي.....

بعد القليل من الوقت رأيتها تقطع الشارع بخطواتٍ سريعة وتحمل بيدها حقيبة كبيرة بعض الشيء، هل قررت الهرب مرة أخرى؟

ماذا تفعل هذه المجنونة كانت تركض في الشارع بينما تتلفت تنظر نحوي وتصرخ، كانت تصرخ في منتصف الشارع لدرجة أرعبت المارة.

- ماذا حدث؟

قطع تحديقاتي بخطواتها الراكضة سؤال مُنذر لأجيبه لقد هربت كانت تَصرُخ كالمجنونة والآن تركض في الشارع هاربة على ما أظن، لو كنت أعلم أن فعلتي تلك سوف تأثر عليها بشدة هكذا لما فعلتها.

- لن تعلم نهاية الطريق طالما لم تَطرُق بدايته.

أنت محق، شردت قليلاً في جملة مُنذر لأنظر له بعدها مردفًا حتى لو كانت البداية قوية وغير محسوبة فكان لابد لي من اتخاذ خطوة أي خطوة فلن تظل علاقتنا مُعلقة هكذا للأبد

لقد طَرقتُ البداية وتركت النهاية تُرسم بِفُرشاتها لترسم الطريق الذي تُحب ولكني لن أسمح بالهرب كنهاية كما فعلت من قبل.

- حسنًا يا صديقي أتمنى لك نهاية سعيدة هذه المرة، ولكن أتعلم رغم حنقي على زهرة بسبب ما فعلته واختيارها للهرب بدلاً من الإفصاح إلا إنني مُقدر موقفها وما تفعله الآن، هي ربما أرسلت تلك الرسالة في لحظة ضعف ولم تتوقع أبدًا أن تأتي إلى هنا والآن كل ما يفصل بينكما بضعة أمتار لابد أن تفقد عقلها لذا أعتقد أن لعبة الهرب والاختباء ستظل لفترة طويلة حتى تستعد هي نفسيًا لمحادثتك.

أتعلم يا مُنذر أنت ولأول مرة تتفوه بشيءٍ مفيد، قهقه مُنذر وغادر المكان وتركني أفكر تُرى أين ذهبت هذه الحمقاء بهذا الوقت هاربة من منزلها هل ربما غادرت تورينو؟؟؟؟؟

زهرة

قرأت تلك الرسالة المكونة من عدة كلمات ليجن جنوني، مراد يراني يُراقبني ..!

كيف علم بتحطيمي للمنزل ولأدوات الرسم

هو حولي أقسم أنه يراني، كنت أدور في مكاني بينما دمي يغلي في عروقي حائرة ومشتتة

كيف رأى ما فعلت كيييف؟؟
صرخت بعلو تعبيرًا عن غضبي بينما زمجراتي الحانقة كانت تملأ المكان كحيوانٍ مفترس فقد فريسته.

خرجت للنافذة أبحث بعيني كالممسوسة في الشارع والمنازل المجاورة كي أفهم ولو القليل مما يحدث، ظللت أبحث بيعني لدقائق ولم ألمح شيء مريب أو أرى ما يلفت انتباهي ولكن قبل استسلامي للجنون بثوانٍ رفعت رأسي للأمام أتنهد بحنق .. ووجدته

وجدته أمامي مباشرةً في المنزل المقابل لي ينظر لي من النافذة مبتسمًا بينما يلوح لي، حينها شعرت أن المكان والزمان حولي توقفا عن العمل لفترة أجهلها حتى أنفاسي قُطعت

أنا لا أتحرك بل لا يُمكنني التحرك لا أتنفس أو أرمش حتى فقط أنظر له بينما يلوح لي، وبعد وقت مرَّ كأبد الدهر ضربني الإدراك أخيرًا وصوت صفير حاد عبرَ أذني لأتحرك

أغلقت النافذة بعنف بينما أصرخ علَّ صرخاتي توقظني من هذا الكابوس المرعب.

جسدي بأكمله كان يرتعد كورقة شجر في بداية الخريف، لا أعلم هل أرتجف خوفًا أم هي فقط الصدمة الغير متوقعة.

جلست أرضًا بينما أضم ركبتاي لصدري أخشى البقاء هنا ولو لدقيقةٍ أخرى، إذًا ماذا أفعل؟

لا يوجد حل سوى الهرب، الهرب هو الحل الأمثل

جمعت جزء من ملابسي واحتياجاتي في حقيبة الرحلات وقررت المغادرة، قررت الهرب والالتجاء لمنزل صوفيا فأنا على استعداد تام للنوم بأحضان شقيقتها ميليا الكريهة على أن أظل هنا وحيدة.

ركضت خارج المنزل، كنت أركض في عجلة وأتلفت حولي كلصٍ هارب، ركبت الحافلة متوجهة لمنزل صوفيا بينما لم أخبرها حتى ولكن لا يهم.

شارفت الساعة على منتصف الليل بينما أنا أقف أمام منزل صوفيا وأحتضن حقيبتي لصدري، حاولت تمالك أعصابي التي تدمرت في الساعتين الآنية.

ضغطت الجرس والمنزل كان هادئًا لابد من أنهم نيام ولكن لا يهم فليستيقظوا وينقذوني، انتظرت قرابة الدقيقتين حتى سمعت صوت خطوات قادمة نحو الباب زفرت براحة أخيرًا أنا بأمان الآن

ليس وكأن مراد سيقوم بطعني أو شيئًا ما ولكنه سيجعلني أعترف بما فعلت وأنا لست مستعدة الآن.

- زهرة!! ماذا حدث يا ابنتي لما أنتِ هنا بهذا الوقت؟

انتحبت بصوتٍ عال وارتميت بأحضان العم إسحاق والد صوفيا، عمي انقذني أنا مُراقبة ولا يمكنني العودة للمنزل.

صرخت خالتي ماريا والدة صوفيا رعبًا، ربما كان علي انتقاء كلماتي بشكلٍ أفضل بينما أحكم العم إسحاق عناقي يحاول تهدئتي.

- ماذا فعلتِ أيتها الحمقاء؟ هل تورطتِ بالمافيا؟

وهذه كانت والدة صوفيا والتي هي أكبر ملكة للدراما من بعدي

- انظروا من أتى في منتصف الليل وعاث في المنزل فسادًا

آوه لقد استيقظت الشمطاء، مرحبًا ميليا.

ولا خالتي لم أتورط بالمافيا، بالأساس ماذا تفعل المافيا بحمقاء مثلي!

نظرت للعم إسحاق الذي مازال يحاوطني بحنانٍ بالغ شكرًا لك عمي أنا بخير فقط تعرضت لصدمة عاطفية

والآن أنا هنا لأعيش معكم أين هي صديقتي الغالية صوفيا؟

بالمناسبة كيف لم تستيقظ بسبب كل تلك الضجة!!

هدأ الجميع أخيرًا وأخذتني والدة صوفيا لحجرتها بينما تخبرني أن صوفيا لن تستيقظ في بداية نومها حتى لو سقط السقف عليها

وهي لازالت تسألني عن المافيا إلهي خالتي ماريا الغالية كم هي طيبة، عائلة صوفيا جميعها حنونة ماعدا تلك الشمطاء ميليا الصغيرة.

دلفت لحجرة صوفيا ووضعت حقيبتي أرضًا وحاولت إيقاظها بلطف حتى لا تتفاجأ بوجودي كما أن علي الحديث معها لا أستطيع كبت ما حدث بداخلي وبعد الكثير من المحاولات استيقظت صوفيا أخيرًا.

- زهرة؟ ما الذي أتى بكِ إلى هنا أحدث شيئًا ما؟

صوفيا انقذيني مراد يقتن بالبناية مقابلي، يبدو أن الجملة التي أخرجتها كانت كفيلة لجعل صوفيا تستفيق من نومها بشكل كامل بل وجعلها تصرخ بعلو.

- بما تهذين زهرة؟! أنظري لقد استيقظت بشكل كامل لذا لا داعي للمزحات الثقيلة.

صوفي أنا لا أمزح انقذيني أرجوكِ فأنا أكاد أفقد عقلي لو لم أفقده بالفعل، قصيت على مسامعها القصة كاملة بدايةً من تحطيمي للمنزل وحتى الرسالة ورؤيتي لمراد بالنافذة أمامي.

- يا للهول مراد هذا حقًا شيءٌ ما، وللحق الرسالة قوية والصدمة أقوى، لكِ كل الحق في فقدان عقلك والهرب بعيدًا ولكن إلى متى ستظلين هاربة يبدو أنه خطط لقدومه جيدًا.

لا أعلم صوفي لا أعلم أنا حاليًا أحتاج للاختباء فقط حتى أرتب أفكاري جيدًا.

- أشعر بكِ عزيزتي خذي كل الوقت الذي تحتاجينه، أعصابك مُنهكة ومراد هذا يعبث بوحشية يا له من ذكي ..

قضيت باقي الليلة نائمة بأحضان صوفيا التي كانت تتفقدني من وقت للآخر تتأكد من نومي، في الصباح كنت مترددة في الذهاب للعمل ولكني لن أهمل عملي بسبب صدماتي العاطفية لذا تناولت الإفطار مع أسرة صوفيا وودعت الخالة ماريا والعم إسحاق وغادرت مع صوفي للعمل.

وفي العمل لم تبخل صوفيا بأي معلومة عمَّا حدث عن فيتال وليزا التي هاتفتها تخبرها ما حدث وللغرابة أعجب فيتال وليزا بما فعله مراد ونعتوني بالجبانة.

مرت ساعات عملي بالمكتب وحان وقت المغادرة للمطعم، كان عقلي مشغول بمراد أفكر تُرى هل سيأتي للمطعم أم لا؟

ماذا ستكون خطوته التالية؟ هل أجلس معه ونتحدث سويًا وننهي هذا الجدل السخيف؟

الكثير والكثير من الأسئلة المعلقة ببالي، كانت الساعات تفوت ببطء وهدوء بينما كل تركيزي على مدخل المطعم وكأني بانتظار دخول مراد منه ، ظللت على حالتي تلك حتى الساعة السابعة والربع تقريبًا حينما دلف مراد بكامل حلته من مدخل المطعم، كان بمفرده هذه المرة كما أنه كان وسيمًا للغاية ومتأنق كما عاهدته قبل سنوات.

هذه المرة لم أهرب أو أتفادى نظراته بل ظللت أنظر له أتمعن بكامل تفاصيله عيناه ابتسامته خطواته الهادئة وذلك التعبير الحنون على كامل ملامحه، كم ودت الصراخ عاليًا بأنني اشتقت له ولكن عُقد لساني يبدو أن ذنبي أكبر من حبي.

جلس على طاولة ما بمنتصف المطعم ورأيت أحد الندل يتقدم نحوه لأخذ طلبه، دَوَّن الطلب وأنا بمكاني أنظر له وينظر لي حتى قررت العودة للمطبخ وإحضار طلبه بنفسي.

مراد

قضيت الليل أفكر بزهرة وتخبطها الذي رأيته منها، أعتقد إني أخفتها ليتني لم أفعل ما فعلت، نمت بصعوبةٍ بالغة تلك الليلة واستيقظت باكرًا للغاية ارتديت ملابسي وركضت لمحطة الحافلات حتى أصل قبلما تأتي هي.

ذهبت لمعمل الترجمة الذي تعمل به وانتظرت بالقرب منه حتى أرى هل ستأتي أم ستظل هاربة، كان هذا ما أردده لنفسي ولكن في قرارة نفسي كنت أرغب بالاطمئنان عليه وأنها بخير.

بعد القليل من الوقت رأيتها هي وصديقتها صوفيا يبدو أنها ذهبت لها ليلاً كما توقعت، كانت تبدو بخير ربما مشتتة قليلاً ولكنها بخير لذا قررت التجول بمدينة تورينو منذ الصباح الباكر لهذا اليوم وزيارتها مساءً في المطعم ربما نتحدث قليلاً

....

عند الثانية ظهرًا عدت للمنزل للنوم قليلاً، استيقظت بعد عدة ساعات واستعديت للذهاب للمطعم بمجرد دخولي للمكان وجدتها أمامي وللمفاجأة لم تتفاداني كما قبل بل كانت تنظر لي نظرات لم أفهم كنهها ولكني سعيد رغم ذلك فهناك تقدم واضح فهي لم تهرب على الأقل.

جلست على الطاولة أمامي وطلبت الطعام بينما أراها تعود للداخل وبعد قليل خرجت مع صينية الطلبات لتضع أطباق الطعام أمامي بينما تختلس النظر لي ولكن هناك تحولًا كبيرًا بها الآن عما قبل قليل فهي شاحبة وهناك ارتجاف ملحوظ بيدها تتنفس بعلو، ربما التوتر هو السبب.

وضعت آخر طبق وهَمَّت بالمغادرة ولم أشعر بنفسي سوى وأنا مُمسكٌ بِرُسغِهَا ، كنت أتمسك بها بأمالٍ عالية.

استدارت تنظر لي واستطعت رؤية لمعة من الدموع بعيناها البنية.

زهرة لمَ تهربين؟ ابقي

ولم أجد إجابة سوى تَمَسُّكها بكفي الممسك لِرُسغها لتضع قبلة بسيطة على ظاهر كفي وتغادر بهدوء كما أتت .....

ظللت على وضعي هذا أحدق بالفراغ لفترة، أشعر بملمس شفاهها على ظاهر يدي وأنفاسها التي داعبت جلدي كسحابة صيف دافئة حنونة تُبعد حرارة الشمس، وحين استفقت من ثمالتي بأول لمسة ليدها بعد سنواتٍ عجاف قررت المغادر فقد فقدت شهيتي.

قررت المغادرة بينما أحمل خيبتي في قلبي وحزني يطفو على السطح بعدما حاولت دفنه كثيرًا وعند مدخل المطعم سمعت صوت ينادي باسمي ولم تكن سوى صديقتها ليزا التي كانت

تبتسم نحوي بتردد واضح

- مراد أعتذر منك عما حدث، أرجو أن تعذر زهرة فهي تعاني تخبطًا كبيرًا ولا تعرف كيفية التصرف.

لم أجادلها بل أومأت في هدوء وتركتها عائدًا لمنزلي.

(١٠)

مراد

مرَّ شهر منذ مجيئي إلى تورينو ولم يحدث أي تقدم بيني وبين زهرة، فهي تتفادى الحديث معي منذ جئت إلى هنا.

حدث الكثير من المواقف خلال هذا الشهر ولكنها لم تُقرب بيني وبين نجمة قلبي، بل منذ تلك الليلة وكان من حولنا أيضًا يحاولون أن يجمعوا بيننا ولكن لا جديد لم تخرج زهرة عن صمتها.

أصبحت نافذتها مغلقة أغلب الأوقات، عند وجودي بالمطعم كانت تقدم لي الطعام وتضيف دائمًا كوب من عصير الرمان المفضل لي دون أن أطلب لكن رغم ذلك لم تحادثني سوى بكلمة مرحبًا.

حتى منذر كانت تتحدث معه أكثر مني، كانت تتجاهلني بوضوحٍ تام ولا أجد مبررًا أو تفسيرًا واضحًا لمَ تفعله!

كانت تتجاهلني صباحًا بينما نقضي ساعات طويلة ليلاً ينظر كلٌ منا للآخر عبر النوافذ، بالطبع عنما تتكرم علي وتفتح ذلك الزجاج اللئيم الفاصل بيننا.

لم أملِ أبدًا من النظر إليها والتمعن بملامحها الهادئة، هناك سكون مريح بملامحها ربما زهرة ليست أجمل نساء الأرض ولكنها هكذا في عيناي.

لم تكن تنظر لي بل تتأملني، ربما نظراتها تلك هي ما كانت تُخفف عني آلم التجاهل المميت، وعندما تكتفي من التأمل كنت تبعث لي برسالة مفادها " أحلام سعيدة " وتغلق النافذة وتختفي عن أنظاري.

قضينا الكثير من الليالي والأيام نتبادل النظرات الصامتة ومازالت هي لم تكسر حدة الصمت ولو بجملة واحدة.

تَجمّعنا جميعًا نحن السبعة أصدقاؤها وأصدقائي بطلب من فيتال ومايكل الصديقان المقربان لكل منا وقضينا يوم عطلة الأسبوع معًا ولكنها رغم ذلك لم تتحدث.

حتى أصدقاءها لم تتحدث إليهم هي فقط كانت تنظر لي، حاولت التقرب منها والحديث ولم أجد سوى الصد.

علاقتي أصبحت جيدة بأصدقائها ولكنها لم تتحسن بها بعد، وفي يومٍ ما فاجأتني بفعلها كنا بالمطعم ليلاً وخطرت لي فكرة كان هناك بيانو ضخم يقبع بمنتصف المطعم تعزف عليه ليزا

في نهاية الأسبوع لذا استأذنت من ليزا وقررت العزف ..

عزف واحدة من أغاني زهرة لمطربها المفضل فرانك سيناترا أغنية

"Love Is Here To Stay "

جلست على المقعد أمام البيانو بينما الأنظار موجهة نحوي ولكن نظري أنا مصوب تجاه نجمة قلبي، كنت أعزف بجل مشاعري أراها تتقرب مني ببطء حتى وقفت أمامي تنظر لي وهناك شبح ابتسامة يلوح على شفتاها.

انتهت الأغنية وأنا لا أعي شيئًا مما حولي سواها لتتحدث لي أخيرًا ....

- لم أكن أعلم أنك عازفٌ ماهرٌ هكذا، شكرًا لك لقد أطربت قلبي ومسامعي.

أنهت جملتها واقتربت مني تنظر داخل عيناي وغادرت فقط غادرت وتركتني بقلبٍ يطرق بقوة في مكاني أمام البيانو.

في تلك الليلة لم تفتح النافذة زعزعتني وغادرت تركتني بمفردي مع المشاعر المتراكمة بداخلي من اشتياق وحب وسخط وغضب، ظللت بجوار النافذة ليلتها حتى بزغ الفجر بانتظار ولو لمحة لطيفها ولكنها بخلت علي.

- إلى متى ستظل في مكانك هكذا يا مراد ألن تنام؟

لا أرغب بالنوم الآن.

- هل مللت؟

مما؟

- زهرة

لم أّمّل بل تعبت وتخطى صبري الحدود

- هل تعلم أنا ألتمس لها العذر لمَ تفعله

ماذا أنت !! كيف هذا؟

- تعلم أن زهرة كانت صديقة لي أيضًا بينما تلعب تلك المسرحية الساذجة، زهرة طيبة القلب وكل ما حدث لها كبير ، كبير للغاية أكثر مما يستطيع تحمله شخص في عمرنا

أنا أتفهم تشتتها هي تخشى الحديث، أعتقد هي تخشى التحدث بما فات وفتح جُرح قلبك فتسخط عليها، وتخشى التقرب منك فتكون هنا لرد ما فعلته بك وتتركها وتغادر كما فعلت هي.

أنا أعلم كل هذا يا مُنذر ولكني حاولت طمأنتها قدر الإمكان، ماذا عساي أفعل أكثر من ذلك بالطبع أنا غاضب ومستاء ولكني رغم ذلك هنا أسعى في إيجاد حل ولكني تعبت من كل

هذا الشد والجذب أنا فقط أرغب بالمغادرة.

استمر الوضع على ذات الحال عدة أيام أخرى حتى أتت عطلة الأسبوع يوم إجازة زهرة من عملها، استيقظت في ساعةٍ متأخرة ذلك اليوم ولم أجد مُنذر بالمنزل كنت أجلس بتململ شديد تناولت إفطاري وقررت شرب الشاي بجوار النافذة التي كنت أتفادها منذ استيقاظي.

فتحت النافذة ووجدتها، اعتدلت بوقفتها تنظر لي وكأنها كانت بانتظاري لمحتها تتمسك بهاتفها وتطبع بعض الأحرف وبعد ثوانٍ عدة وصلتني رسالة والتي كان محتواه غريب للغاية وصادم بالنسبة لي ..

" ما رأيك بتناول العشاء معي اليوم في المنزل؟ "

زهرة

رغم مرور شهر أو أكثر على وجود مراد في تورينو إلا إنني ما زلت على حالي أتفاداه بشتى الطرق، عندما أرسلت له تلك الرسالة كان بإعتقادي إنني لو رأيته لركضت نحوه مسرعة وأخذته في عناق ضيق وأمطرته بآلاف الاعتذارات حتى يصفح عني ويعد لي في حياته مكان ولو صغير بصغر ثقب الإبرة.

لكن ما حدث كان النقيض تمامًا، لا أعلم ما بي ولكن كلما رأيته تذكرت مشهد أبي المُغطى بالدماء، وتذكرت كذباتي الشنيعة وفعلتي الخرقاء التي افتعلتها به.

يبدو أن دائمًا وأبدًا سيكون الخيال مختلف كل الاختلاف عن الواقع، حدث بيننا الكثير خلال هذا الشهر فهو أصبح ضيفًا دائمًا في مطعمنا، كما اعتدت فكرة وجوده بالمبنى المُقابل لن أنكر أنني كثيرًا ما هربت مُبتعدة خلف زجاج النافذة المغلقة وتفاديته ولكني أيضًا في الكثير من الأحيان كنت أراقبه كما يفعل.

كنت أظل أتمعن به وبتفاصيله لساعاتٍ طويلة، من يرانا نحدق ببعضنا البعض سيعتقد أننا مختلان ربما أو مجرد حمقى لا أعلم وليكن ليظنني الجميع مختلة ما أوافق لو كان هذا يسمح لي برؤيته أمام ناظري طوال الوقت.

وجود مراد حولي كان يعطيني شعورًا غامرًا بالأمان، شعور الأمان الذي فقدته مع فقداني لوطني وموطني، يكفيني معرفة أن ما يفصل بيننا عدة أمتار.

أراه بدأ في النفور من هذا التجاهل، أعلم ذلك جيدًا فهو ترك عمله وحياته وآتى لهنا كما طلبت منه ولم يجد منى سوى الهروب والتفادي طوال الوقت، حتى أصدقاؤنا ملّوا من أفعالي وحاولوا كثيرًا جعلي أتحدث ولكن دون فائدة.

لن أنسى تلك الليلة عندما عزف مراد أغنيتي المفضلة، أصابعه تنساب على مفاتيح البيانو بعذوبة بالغة كانت تلك الموسيقى في هذا اليوم بلسمًا يُربِتُ على قلبي.

يوم عطلتي استيقظت باكرًا وداخلي حماس كبير لفكرةٍ ما فقد قررت دعوة مراد على العشاء، كان يومي ممتلئ بالأعمال من ترتيب المنزل وإعداد الطعام، تأخر الوقت ولم يظهر مراد أمام النافذة كنت أنظر نحوها بين فينة وفينة ولم أجده.

انتهيت من أعمالي وقررت المكوث أمام النافذة في انتظاره

يظهر وبعد فترة أخيرًا رأيته وتهللت أساريري، أرسلت له رسالة مسرعة أدعوه بها على العشاء قرأ الرسالة ونظر لي وأماء دون اعتراض.

جهزت كل الطعام الذي أتمكن من صنعه بطريقة لذيذة وارتديت ثيابي وجلست في انتظاره، أعلم أنها فكرة متهورة كما أنني لم أخطط لمَ سأفعله أو أقوله له، حتى أنني أخشى البقاء صامتة وحشو فمي بالطعام كالمحرومين حتى لا أتحدث معه ولكن ليحدث ما يحدث.

ارتديت ثوبي الأخضر الغامق وهندمت شعري وزينة وجهي فمن يراني يعتقد أنني ذاهبة في موعد رغم أن في داخلي أشعر أنني ذاهبة لحتفي بـقدماي.

في تمام السابعة دق جرس الباب معلنًا وصول محبوب قلبي مراد، خطواتي نحو الباب كانت مبعثرة متوترة كثيرًا وبردت أطرافي خوفاً مما سيحدث ولكني زفرت أنفاسي وشجعت نفسي وفتحت الباب بعد وقت لربما هو حتى ملَّ الانتظار وغادر ولكني وجدته..

كان بهي الطلة مبتسمًا في لطف كما اعتدته وهذا حقًا مرهقًا لقلبي.

- مرحبًا

مرحبًا .. تفضل

تقدم في خطى هادئة وجلس على الأريكة أمامه، كان يتلفت حوله بهدوء وكأنه يتفحص مكان سكني

أعلم المكان صغيرًا بعض الشيء ولكنه لطيف ، تفوهت بها ولا أعرف لمَ ولكن بدا لي أنه ينتقد بيتي الصغير والحبيب أو ربما أنا فقط كنت مرتبكة ومتوتر أكثر من اللازم.

همهم لي وعيناه التقطت آنية الأقحوان بجوار النافذة

- ألا زلتِ تملكين هذه؟

سألني بينما يُشير على الأقحوانة

نعم فهي كل ما تبقى لي من الماضي

الوضع كان غير مريح بيننا وكنا صامتين للغاية لم يتحدث أحدنا بكلمة واحدة من بعد سؤاله عن الزهرة لذا بعد وقت سألته هل نتناول الطعام الآن؟

- حقًا زهرة ! الطعام

نظرت له بلا فهم ليردف

- هل أنا هنا فقط لأجل الطعام؟

لم أجب بشيء

- حسنًا لنأكل ولكن أتمنى ألا أتسمم جراء تلك الوجبة.

سخريته واضحة هو بالطبع كان مستعدًا لسماع عذر ما ولكني آسفة لتخيب ظنه.

كنا نتناول الطعام في صمتٍ بينما نختلس النظرات لبعضنا البعض ، كنت خائفة لا أعلم لمَ دعوته لمنزلي أو ماذا أفعل وبعد وقتٍ قليل انتهينا بعد أن تناولنا لقيمات بسيطة فالوضع العام يُفقد المرء شهيته.

جلست أرضًا بجوار النافذة بينما أنظر له ليستقيم ويدنو نحوي

- ألا يوجد شيء ترغبين إخباري به؟

مثل لماذا أرسلتِ تلك الرسالة عقب ثلاث سنوات من مغادرتك؟؟

تنهدت أحاول لملمت شتات كلماتي داخل عقلي ثم نظرت له وربت على الأرض بجواري أطلب منه الجلوس

نظر لي باندهاش واضح فتمسكت بكفه وسحبته إلى جواري

أتريد سماع قصة؟

نظر للجانب الآخر زافرًا أنفاسه ثم أعاد نظره لي فاسترسلت في حديثي بعد قراري بالتفوه بما يأتي في عقلي دون تفكير أو ترتيب.

كان هناك فتاة مدللة حياتها كانت بين والديها المحبين أب مُراعٍ وأمٍ حنون، تلك الفتاة لم تعرف للحرمان معنى من قبل ثم فجأة آتى شخصٌ ما وسلب تلك الفتاة الطمأنينة والحب والسلام ليس هذا فقط بل سلب منها المأوى أيضًا.

لذا تلك الفتاة وبكل حماقة قررت الانتقام بلُعبة غبية ولكن أثناء لُعبتها تلك لم تُدرك أنها تنتقم من ذاتها حيث انقلب السحر على الساحر فاضطرت للمغادرة تاركة خلفها الشخص الوحيد الذي أحبته وعوضها غياب كل ما اعتادت عليه سابقًا

فرّت هاربة تاركةً خلفها شخصٌ مُنكسرٌ وضائع بسبب أفعالها، هل تعتقد أن هذه الفتاة تحيا بسعادة؟ أجبني مراد هل تعتقد ذلك؟؟

وجهت له السؤال بينما وضعت كفي على وجنته أحرك إبهامي عليه ألتمس منه الدفء الذي فقده جسدي وقلبي ولكن لم يجيبني لذا اعتدلت في جلستي بينما أضم ركبتاي لصدري أسند رأسي عليهما وأردفت قائلة..

أتعلم يا مراد التجأت لي لأنير دربك ولكنك لم تلحظ عتمتي، لو غامرت ولو مرة بسؤالي عن سبب حزني وتعاستي الدائمة والواضحة للجميع لربما رويت لك ما حدث وأفضيت لك ما بقلبي ولكنك لم تسأل لم تشدد بالسؤال، أعتقد أن أبيك بحث حولي واكتشف من أنا وأخبرك بالحقيقة ربما أو لم يُخبرك حتى لا تنفر منه لا أعلم ولكني على يقين بمعرفتك الحقيقة

كاملة بحلول الآن.

أنا لا ألومك بل أعبر عن ذاتي، أتعلم كم مرة حاولت مُراسلتك والاعتذار منك؟

آلاف المرات لقد عانيت كثيرًا عانيت الوحدة والحزن والغربة والاشتياق ولكني أخفيت جميع تلك المشاعر بداخلي حتى لا أزعزع حياتك والتي اعتقدتها مُستقرة

تلك الرسالة أرسلتها عقب معركة حامية الوطيس بين قلبي وعقلي واشتياقي، لم أفكر بعواقبها بل لوهلة اعتقدت إنها لن تصلك من الأساس.

وعندما مرَّ الوقت أسبوع يليه الآخر تيقنت من عدم وصولها لك، تنهدت بعلو بينما أنظر عميقًا داخل عيناه ليتحدث أخيرًا

- إذا كان ما في الرسالة حقيقي لمَ تتجنبي وجودي وتتفادي الحديث معي حتى الآن يا زهرة؟ لمَ ترتكبين الجُرم ذاته مرتين؟!!

أغمضت عيناي لوهلة بينما أقول .. أتعلم لمَ لأنني كلما نظرت لك رأيت منظر والدي الغارق بدمائه.

فز هلعًا من مكانه ودار في المكان دون كلمات، مرت دقيقة تليها دقيقة والأخرى والأخرى ولم يتفوه أحدنا بكلمة واحدة حتى استدار ينظر للوحاتي المعلقة بغير ترتيب على الحائط وكانت من ضمنها لوحة تضم وجهه

- هل قمتي برسمي؟

همهمت له دون كلمات

- نستطيع رسم زهرة لكن من أين نأتي بالرائحة هكذا يقول الإيطاليين يا نجمة قلبي.

لم أفهم مقصده، رأيته يأخذ خطواته نحو الباب ينوي الذهاب فاستقمت سريعًا ألحق به، ودعني بقبلة على وجنتي اليمنى وغادر .. غادر وتركني قبلما أبوح له باعتذاري.

(١١)

مراد

ذهبت إلى زهرة في تمام السابعة ، منزلها صغير ولطيف مثلها، العشاء لم يكن مريحًا أبدًا كنت متوترًا وخائفًا لا أعلم ماذا سيحدث بيننا، خائف من فقدان أحدنا لأعصابه خائف أن يتحول العشاء إلى حفلة بكاء.

كلمات زهرة كانت كبيرة.. كبيرة للغاية ولكن ما أثر بي هو أنها لم تبكي كانت تتحدث بهدوءٍ مُخيف ودت لو ضممتها إلى قلبي وأسمعتها ألف اعتذار ولكني لم أفعل.

مازالت تحتفظ بالأقحوانة التي اهديتها إياها قبل أربعة أعوام، وهناك أيضًا لوحة لي مُعلّقة على الجدار، كل ما رأيته آثار داخلي طوفان من المشاعر التي لا أستطيع التحكم بها.

كل ما انتويته كان هدنةً بيننا على الأقل لكن عندما أخبرتني بأنها ترى والدها مُدرج بالدماء كلما رأتني تلك الجملة صنعت أشواكًا من الغضب حولي لا أعلم لمَ هاجمتها بكلماتٍ لاذعة ليست في محلها.

ولكني أشعر أنني الضحية هنا ضحية أبي وضحيتها، أنا مُتعب .. مُتعب من كل شيء عندما أتيت إلى هنا لم يكن في حسباني أن الوضع سيطول هكذا

أن يكن بيننا كل هذا الشد والجذب المؤلم لذا استدرت مغادرًا منزلها فلم أعد أقوى على البقاء أكثر، سمعت خطواتها الراكضة خلفي في تلك المساحة الصغيرة وكل ما استطعت فعله هو وضع كفي على وجنتها اليسرى ربما تلك اللمسة تجعلني أصدق أنها أمامي وأن كل ما حدث بيننا في الأسابيع المنصرمة لم يكن حُلمًا مزعج.

مالت نحو لمستي بينما تنظر لي وأعطيتها قبلة صغيرة على وجنتها اليمنى ، قبلة تعني لنا الأمل تعني لنا أننا لم ننتهي بعد، عيناها كانت تحمل نظرة رجاء قوي ولكني وبكل آسف غادرت.

عند مغادرتي منزلها لم أستطع محو كلماتها من عقلي ربما لم تتحدث بالكثير ولكنها أصابت نقطةً عميقةً بقلبي، لم أرغب بالعودة للمنزل والبقاء حبيسًا بين جدرانه ومشاعري الخانقة، ظللت أتجول بتلك المدينة الكبيرة كنت أمشي بلا هدف أو

وجهة معينة حتى تجاوزت الساعة الواحدة صباحًا.

كان علي العودة ولكن أخذتني قدماي لمقهى قديم بالحي المجاور، مقهى يسمى ألبرتو جلست منزويًا في زاوية بجوار نافذة كبيرة تطل على الشارع الرئيسي

المقهى كان يمتلك روحًا عتيقة تُغلفك بالراحة حيث توجد الكثير من الموسيقى الكلاسيكية والقليل من البشر.

جلست هناك قرابة الساعة ثم قررت العودة، صعدت لمنزلي أخيرًا وذهبت ناحية النافذة أنظر من خلف الستار لأجدها كانت بذات الملابس تقف بلهفة تنظر هنا وهناك وكأنها تبحث عني، هل كنتِ بانتظاري طيلة هذا الوقت؟ أعتذر عن إثارة قلقك يا نجمة قلبي.

فتحت النافذة ونظرت لها لأجد ملامحها قد أشرقت واطمأنت مقلتاها الباحثة هنا وهناك

هل كنتِ في انتظاري؟ سألتها وأماءت

اذهبي للنوم يا زهرة الوقت متأخر، أنا بخير لا تقلقي.

حادثتها من نافذتي لأجدها تتنهد دون أن تنطق ببنت شفه، أغلقت النافذة واختفت عن أنظاري لا أعلم لما في تلك اللحظة قررت تفاديها أنا هذه المرة أنا لم أعد قادرًا على مواجهتها.

مرَّ أسبوع يتلوه أسبوع وأنا اتجاهلها واتفادى التعامل المباشر معها كنت في قرارة نفسي أعلم أن الذنب ذنب أبي فهو المذنب الوحيد هنا وعليَ التكفير عن خطأه ولكن لا أعلم كيف أخبر زهرة بهذا، كنت أتفاداها كالجبان خائف من الاعتراف بأنها ليست مخطئة فتتخلى عني.

مشتت بين خطأها وفعل أبي الجسيم في حق عائلتها، مرَّ على وجودي هنا ثلاثة أشهر لم نحرز فيها أي تقدم يُذكر، عند محاولتي الحديث معها كانت تختبئ مني وعند محاولتها هي الحديث أنا كنت أتملص منها بمختلف الطرق.

حدث الكثير خلال ذلك الوقت فقد عاد مُنذر فهو لم يستطع البقاء هنا أكثر تاركًا خلفه أعماله وأشغاله، كما عاد مايكل للانشغال بعمله ولكنه كان يتردد علي كثيرًا.

كما توطدت علاقتي بفيتال صديق مايكل وزهرة هو رجلٌ رائع حقًا والأكثر راحة في علاقتي معه أنه لم يتدخل فيما بيني أنا وزهرة بالطبع كان يُسدينا بعض النصائح الصغيرة بين كل حين وحين ولكنه لم يتعدى الحدود أبدًا، رغم ذلك هو كان بصف زهرة دائمًا وأبدًا هو حتى قام بتهديدي في الكثير من الأحيان بسببها فهي بالنسبة لهم جميعًا شقيقة وليست مجرد صديقة من بلاد غريبة.

كنت أتردد على المطعم في بعض الأحيان حتى أراها رغم وقوفنا مقابل بعضنا البعض ساعات طويلة ليلاً عند النافذة لكنى كنت أرغب في رؤيتها عن قرب أكثر.

لم نتحدث بجمل طويلة منذ ليلة العشاء كنت أتهرب منها كلما سنحت لي الفرصة وهي كانت هادئة أغلب الوقت.

زهرة

خرج مراد من منزلي ورأيته يتجه للشارع الرئيسي لم يعد للمنزل، ظللت بانتظاره لساعاتٍ عدة دار خلالها الكثير والكثير في تفكيري

لمَ نبدو كما لو أننا نُهاجم بعضنا البعض كلما سنحت لنا الفرصة؟! كلماته دائمًا مُبهمة وغير مفهومة ، لم أعد أفهم مقصده تغير كثيرًا شخصيته أضحت أكثر قوة هو لا زال طيب القلب ولكن ليس كما السابق.

عاد أخيرًا لمنزله لأطمئن وأذهب للنوم ولكنه منذ تلك الليلة يتفادى الحديث معي ويتفادى وجودي حوله، بالفعل كنت أعلم أن طريقي نحو استعادته سيكون صعب ومليء بالأشواك كما أنني أخطأت عندما تجاهلته في البداية ولكن ليس بيدي.

غادر مُنذر ومن المُضحك أنه آتى لوداعي قبل سفره، زارني في مكتبي صافحني وأخبرني أن عليه العودة اليوم بسبب العمل ولكنه سيعود مرة أخرى .

- زهرة سأغادر وأترك مراد بأمانتك، أعلم أن العلاقة بينكما متوترة وسيئة ولكن رغم ذلك هو بأمانتك، أتمنى عند عودتي إلى هنا مرة أخرى أن يكون ما بينكما قد تم حله.

- زهرة أرجو منكِ تفهم أفعال مراد فهو عانى كثيرًا، كما أنني سعيد بأنك بخير هنا وحولك أناس يحبونكِ بصدق ، أعتذر لو كلماتي كانت لاذعة بعض الأحيان ولكنك تعلمين هذا أنا.

ودعته وغادر بعد إلقاء التحية على فيتال وصوفيا.

الأيام التالي مرت على الحال ذاته، كنت أرى مراد كل ليلة من خلال النافذة كما اعتدنا وما زال في حالة التجاهل يتجنبني قدر الإمكان، كنا في يومٍ ما من أيام أكتوبر حيث الجو مُنعش وبه بعض النسمات الباردة اللطيفة الساعة الآن قرابة السابعة مساءً ولم أرى مراد اليوم لذا قررت مهاتفته ..

مراد مرحبًا

- مرحبًا زهرة

ما رأيك أن تمر بالمطعم لنعود للمنزل سويًا ؟ تساءلت بأول جملة ظهرت في عقلي وهو صمت لعدة ثوانٍ توقعت أن يرفض حتى آتاني الرد

- حسنًا لنتناول العشاء معًا ثم نغادر سويًا.

في انتظارك، أغلقت الهاتف ولم يمرّ سوى نصف ساعة حتى وصل إلى المطعم كان يحمل باقة كبيرة من أزهار الزنبق الأبيض.

مرَّ العشاء بهدوء دون الكثير من الحديث كعادتنا منذ التقينا مُجددًا لا نتحدث سوى بكلماتٍ بسيطة ، في طريق العودة عرضت عليه التنزه قليلاً ولكنه رفض بسبب إرهاقه من التجول طوال اليوم.

عندما وصلنا لمنزلي وضع لي واحدة من تلك الزنابق البيضاء الجميلة في شعري ولكنه كالعادة ختم فعلته اللطيفة بجملة ذات وقعٍ حاد على قلبي ومسامعي كما يفعل دائمًا فهو أصبح يهوى تعذيبي مؤخرًا.

مراد

قررت اليوم التجول في تورينو والذهاب لبعض المعالم السياحية كنوع من كسر الملل الذي أصابني هنا فأنا اعتدت العمل ولكني هنا لا أفعل شيء سوى التفكير وتأمل زهرة، بالطبع كنت أتابع أعمالي من خلال الهاتف ولكن هذا لا يشغل حيزًا كبيرًا من وقتي.

تجولت حول المدينة حتى وصلت لحي كبير مليء بالمتاجر الخاصة بالأزهار، قمت بابتياع باقة كبيرة من الزنبق الأبيض وفي طريق عودتي هاتفتني زهرة.

لن أنكر اندهاشي من اتصالها ومن الطلب أيضًا وبالطبع لم أخبرها أنني كنت متجهًا للمطعم بالفعل، تناولنا العشاء معًا، كنت أراها تحاول جاهدة فتح حديثٍ ما ولكنها كانت تتراجع بمجرد افتراق شفتاها.

وصلنا للمنزل وكان علي وداعها لأودعها بزهرة زنبق وضعتها داخل خصلات شعرها وأتفوه بأكثر الجمل حماقة في تاريخ البشرية كانت الجملة سيئة للسامع ولكنها تعبر عما يُخالجني

"أتعلمين قديمًا دائمًا ما اعتقد الكثيرين أن زهرة الزنبق تعبير عن الحب ولكن ما أدركوه لاحقًا أنها كانت سُمًّا يدمي القلوب ..."

تصبحين على خير زهرتي، تركتها خلفي بنظرة اندهاش وصدمة تعلو ملامحها لا تعلم مقصدي وما ودت إخبارها به بهذا الحديث.

حبنا كان كَالسُّمِ بالنسبة لنا كيف أخبرها أنني على استعداد لتجرع السُّمَ يوميًا لو كان هذا يعني بقاؤها بجانبي، حياتنا كَالسُّم يا زهرتي ينبثق منها الزنبق الأبيض رغم حلكتها وقتامتها.

آه إلى متى سنظل على هذا الحال يا نجمة قلبي، متى سيتنازل أحدنا ويبدأ بالحديث؟؟

زهرة

وصل شهر ديسمبر وتحول الطقس لبارد حيث تكسو تورينو الأمطار والثلوج، مراد يكره الشتاء والبرد وهو حاليًا في مدينة تصل فيها البرودة لعدة درجات تحت الصفر ولكني أراه يبذل جهده للتأقلم، لا أعلم لمَ لم يغادر حتى الآن!

وضعنا غريب ولا نفهمه ، حالتي النفسية في الفترة الأخيرة كانت في تدهورٍ مستمر، لا أنام جيدًا وأصبحت الكوابيس جزء لا يتجزأ من حياتي، تجادلت كثيرًا مع أصدقائي بسبب ذلك فهم يدفعوني للعودة للطبيب النفسي ولكني كنت رافضة للفكرة بشكلٍ قاطع.

كانت ليلة حالكة السواد استمر البرق والرعد طوال اليوم، المطر كان يهطل بغزارة شديدة يطرق النوافذ والأبواب بعنف، الكابوس ذاته تردد داخل عقلي لثلاثة مرات هذه الليلة حتى لم أعد أستطيع التحكم ببكائي وبأعصابي المُحطمة، الساعة تجاوزت الثالثة فجرًا وفقدت سيطرتي بالكامل على جسدي ودموعي وتفكيري لم أشعر بنفسي سوى وأنا أدق جرس منزل مراد المقابل لمنزلي بينما مياه المطر تنهمر من ملابسي وشعري في تلك الليلة الباردة.

كنت أدق الجرس بجنون ودموعي تغطي وجهي تنافس مياه المطر حتى فتح مراد أخيرًا بوجهٍ نعس فهو كان نائم بالطبع ولكن نعاسه تحول إلى فزع بمجرد رؤيته لمظهري المزري.

- زهرة

صرخ بها ولم يتحدث بل جذبني في عناقٍ ضيق يربت على ظهري بينما جسدي يرتجف وبكائي يزداد علوًا

- اهدئي .. ما بكِ

لم أجب بل لا أستطيع التحدث مطلقًا

- لندخل الجو هنا باردًا للغاية وملابسك مبللة ستمرضين

جذبني للداخل وذهب يُحضر منشفة وبطانية حتى يجففني ويدفئني قليلاً عساه يهدأ من ارتجافي

ظل محتضنًا إياي يُحاول تهدئتي، ظللنا على حالنا تلك لفترة من الزمن.

- زهرة يجب عليك تبديل تلك الملابس ستمرضين، سأخرج لكِ شيء يلائمك من ملابسي هيا تعالي معي لنبحث عمَّا يلائمك.

اختفى بداخل إحدى الغرف ثم عاد بالكثير من الملابس في يده وأرشدني إلى غرفة أخرى حتى أستطيع تبديل ثيابي بواحدة جافة مما جلبه لي.

انتهيت لأجده يجلس أسفل النافذة كما أفعل أنا دومًا في منزلي وبجانبه مشروبٌ ساخن

- حضّرت لنا مشروبًا ساخنًا حتى ندفأ قليلاً، تعالي للجلوس بجانبي لنتابع زخات المطر.

كنت لا أزال أبكي تقطع الدموع طريقها عبر وجهي ارتطامًا بالأرض أسفلي، تمسك مراد بكفي يجذبني للجلوس جواره، حاول مسح دموعي الغزيرة ولكنها كانت تعاود السقوط وكأنها أخيرًا تحررت من سدٍ منيع كان يحتجزها لسنواتٍ طوال.

- ماذا حدث لكِ همم اخبريني.

راودني الكثير من الكوابيس السيئة، بل هو كابوسٌ واحد ظلَّ معي ليالٍ عدة لم أره منذ وفاة أمي ولكنه عاد يفترس عقلي كل ليلة بوحشية قاتلة.

- ماذا ترين يا نجمة قلبي حتى يرتجف قلبك رعبًا هكذا في هذا الوقت المتأخر والطقس صقيع؟

أرى أبي .. أبي بينما تُغطيه الدماء وهناك رصاصة تتوسط جمجمته ، تعالت شهقاتي وازداد بكائي فالمشهد لا يغيب عن عيناي مهما حاولت، مشهد موت أبي هو أفظع ما مرَّ علي.

ظللنا على حالنا حتى بزغ الفجر وشقت الشمس طريقها للسماء تنشر لونها الكهرماني المميز عبر الأفاق

أنا أبكي وهو يربت على ظهري، حتى هدأت بعد الكثير من الوقت، برد مشروبنا الساخن وتم استبداله بواحدٍ آخر، نظرت له وقررت أخيرًا سؤاله بما يدور في ذهني.....

مراد لمَ تتجاهلني بهذا الشكل؟؟

- لا أعتقد أن الوقت مناسب لهذا النقاش الآن.

أجبني مراد .. من فضلك

- أنا فقط ..... لا أستطيع مسامحتك أو مسامحة نفسي على ما حدث وعلى الحال التي وصلنا لها، ألم تسألي نفسك لمَ أنا هنا حتى الآن رغم مرور عدة أشهر ورغم الطقس قارس البرودة الذي أكرهه؟!!

- أنا فقط أحاول إصلاح ما أتلفناه وما تسبب به أبي من فوضى عارمة ولكني لا أنجح، كلما رأيتك تذكرت ما فعلتيه وتلك الكذبات اللعينة، كلما حاولت معاتبتك أو هجرك أتذكر ما أذنبه أبي في حقك وأكره نفسي ووجودي في هذه الدائرة من البغض والتنافر

- أنا مُنهك يا زهرة لقد تعبت ولم أعد أعرف كيف أتصرف.

لم أجد كلمات مناسبة للرد لذا فقط عانقته بقوة وغادرت، عدت لمنزلي عازمة على إنهاء الأمر واستعادت مراد مهما كلفني الأمر .....

مرت أيام ديسمبر بسرعة البرق واقتربت احتفالات نهاية العام، قررت قضاء آخر يوم بالعام مع مراد لنحتفل سويًا ونبدأ عامنا الجديد معًا ربما يحمل العام الجديد بداية جديدة لنا معه ..

قررنا الذهاب لساحة "بيازا كاستيلو" لنحتفل هنا ونشاهد المُفرقعات وسط الحشود المُتجمعة هناك ، كما كانت هناك خطة أخرى بعقلي قررت تنفيذها.

اليوم كان أكثر من رائع فقد تجمعنا جميعًا بمنزل عائلة مايكل فهو يملك حديقة ضخمة تتسع للعدد الهائل من البشر فقد اجتمعت عائلات أصدقائي أيضًا لنحتفل معًا

تناولنا العشاء سويًا بين الضحكات والأحاديث المستمرة حتى وصلنا للساعة العاشرة مساءً وقررنا الافتراق ليحتفل كلٌ منا بالمكان المفضل له داخل تورينو.

ذهبت أنا ومراد إلى بيازا كاستيلو كما اتفقنا، كان هناك الكثير من الأشخاص والعائلات الأضواء حولنا من كل مكان، اقتربت الساعة من الثانية عشر منتصف الليل أطفئت الأنوار وأطلقت المفرقعات حولنا تُنير السماء بمختلف الألوان لأستجمع شجاعتي حتى أفضي بما في جوفي من كلماتٍ عالقة بصدري منذ الصباح.

مراد .. همست له ولكنه لم يسمعني بسبب صخب الحشود المتحمسة حولنا لذا وكزت كتفه بأصابعي فلتفت نحوي فأردفت في تردد .....

الحياة طويلة ولكن المفرقعات ذات عمرٍ قصير لذا شاهدها فقط واستمع لي، نظر لي ببعض التعجب ولكنه عاد ببصره للسماء حيث المفرقعات .. اعطني محاولة حتى أكسب قلبك مرة أخرى وإن لم يحدث لننفصل في إبريل..

تجهم قليلاً وكان العدد يتناقص

" تسعة، ثمانية، سبعة ..... "

– تعلمين أكره الشتاء ولكني في انتظارك حتى إبريل

" اثنان، واااااحد "

انطلقت أصوات الاحتفالات من حولنا لندخل عامنا الجديد بفرصة جديدة ربما تجمعنا سويًا .. ليجمعنا إبريل همست بها ضامة كفاي أنظر نحو السماء الشاسعة.

(١٢)

مراد

عدنا أنا وزهرة للمنزل بحلول الرابعة صباحًا، الشوارع مليئة بالمحتفلين وندفات الثلج تهطل لتغطي الشوارع مُضيفة للاحتفال الليلي لونًا أبيض جميل، لا يمكنني إنكار اندهاشي بطلب زهرة فهو ألطف طلب لفرصة جديدة على الإطلاق.

آه لو تعلمين يا زهرة أنكِ بالفعل حصلتِ على فرصة بمجرد قدومي إلى تورينو، أنتِ لا تحتاجين إلى فرصة من الأساس ولكني لن أخبرك بهذا لنرى ما الذي ستفعلينه يا زهرة حتى تكسبين ودي مرة أخرى.

لم أستطع النوم جيدًا رغم تأخر الوقت فكلماتها تتردد داخل قلبي وعقلي باستمرار **" الحياة طويلة ولكن المفرقعات ذات عمرٍ قصير لذا شاهدها فقط واستمع لي .. إعطني محاولة حتى أكسب قلبك مرة أخرى وإن لم يحدث لننفصل في إبريل "**

يا إلهى هل سأنتظر حتى إبريل كيف كيف؟؟

وبعد مدة من السعادة المُفرطة بسبب بضع كلمات والكثير من الحركة على فراشي بسبب لمعة عينا نجمة قلبي أخيرًا استطعت النوم لأستيقظ في اليوم التالي على صوت طرق على باب المنزل كنت نعس للغاية أرغب في النوم فقط ولا أريد مغادرة فراشي ورؤية الطارق ولكن يبدو أن من يطرق بابي مصمم كثيرًا على إيقاظي.

نهضت أخيرًا وفتحت الباب لأجد أوسع ابتسامة رأيتها في حياتي، بالطبع كانت زهرة مبتسمة بإشراقٍ كبير وبيدها بعض عُلب الطعام المنزلي.

- صباح الخير عزيزي، حسنًا نحن في الظهيرة ولكن لنعتبرنا صباحًا

عزيزي !!!

- آوه يبدو أنك ما زلت نصف نائم حسنًا لقد أعددت بعض الطعام لنفطر معًا في أول أيام العام الجديد

لم أجب فأنا لم أتخطى صدمة البارحة وها هي أمامي الآن مبتسمة وتحمل الطعام بينما تقول عزيزي ما خطب عزيزي تلك؟! يبدو أنها تنوي إهلاك قلبي وليس الحصول على فرصة....

- مراد ما بك هل ستتركني على الباب كثيرًا هيا الطقس بارد

همهمت لها ببلاهة شديدة وهى فقط دفعتني بعيدًا عن الباب واقتحمت المنزل ولا زالت تلك البسمة السعيدة تملأ وجهها الجميل.

انتظريني لحظة أنا فقط لازلت نعس، أماءت لي وجلست أسفل النافذة كعادتنا

بدلت ثيابي وعدّلت مظهري المبعثر وتوجهت لها .. يبدو أن أحدهم بدأ في خطته بالفعل أخبرتها بما يدور في عقلي بوضوح

تعالت قهقهاتها السعيدة بينما تطلب مني الجلوس

- لو الأمر بسهولة وجبة إفطار سأعدها لك كل يوم

تمنيت لو أخبرتها أن كل ما أريده هو وجودها بجانبي وتناول وجباتنا سويًا ننام متعانقان ونسير متشابكي الأيدي.

حسنًا آنسة زهرة لنتناول طعامنا، وضعت الطعام الذي أعدته بنفسها وتناولناه سويًا ولأول مرة لم تقتصر أحاديثنا على جملة أو اثنين كما العادة بل تحدثنا مطولاً.

انتهى الطعام وذهبت لإعداد الشاي، اليوم مرَّ بيننا لطيفًا ومميزًا بين الأحاديث المطولة والشاي وإعداد الغداء وفي العاشرة مساءً ودعتني زهرة وغادرت لمنزلها بعدما زرعت في قلبي زهرة فواحة يُغلف عبيرها قلبي.

زهرة

عدت للمنزل في تلك الليلة وأنا عازمة على كسب قلبه ووده بشتى الطرق الممكنة والغير ممكنة حتى لو وصل الأمر لاختطافه والهرب به بعيدًا.

نمت تلك الليلة وهناك راحة كبيرة وطمأنينة اجتاحت قلبي، يكفيني إجابته التي جعلت قلبي يُرفرف سعادة **" تعلمين أكره الشتاء ولكني في انتظارك حتى إبريل "**

يا إلهى أنا سعيدة سعيدة للغاية، استيقظت في ساعةٍ متأخرة بالطبع ولكني عزمت على قضاء اليوم معه، النافذة مغلقة والستائر مسدلة إذًا هو ما زال نائمًا.

حسنًا لنعد بعض الطعام اللذيذ ونذهب فقط نطرق بابه نوقظه ونطعمه ونسرق لُبّهُ أيضًا كنت أحادث أقحوانتي ورفيقتي طيلة الأعوام الماضية.

انتهيت وذهبت إليه في وجل قلبي يدق وأطرافي تتسابق أيهما ستصل أولاً، قطعت الشارع في عجلة بينما أرى العالم من حولي بمظهرٍ جديد ومختلف كليًا عن السابق.

كما توقعت هو نائم بالفعل لكنه استيقظ وتناول طعامي وتحدث معي وأعدَّ لي الشاي أيضًا يبدو أن خُطتي تسير جيدًا، قضينا اليوم معًا يومي السعيد الأول منذ قدوم مراد إلى تورينو وبحلول العاشرة قررت المغادرة بعد مماطلة كبيرة مني فأنا

أرغب بقضاء المزيد من الوقت معه ولكن يكفي لهذا اليوم.

عدت للمنزل وقررت النوم ولكن صوت هاتفي قاطع محاولتي

مراد!! هل اشتاق لي بالفعل؟

مرحبًا مراد

- مرحبًا زهرة، هل أوقظتك أو شيءٌ ما ؟

لا لم تفعل، هل كل شيء على ما يرام؟

- أجل أنا فقط ودت إخبارك أنني سأغيب عن تورينو لعدة أيام.

ماذاااا؟ صحت بها في خوف

- ما بكِ أنا فقط سأذهب إلى روما برفقة مايكل فهو يحتاجني لعملٍ ما.

آوه .. حسنًا هل ستتأخر هناك؟

- لا فقط بضعة أيام، سأمر عليكِ في المكتب قبل مغادرتي، تصبحين على خير.

حسنًا .. ليلة سعيدة.

وبالطبع الليلة لم تكن سعيدة علي بل نمت بوجهٍ كدر.

كنت في العمل لا أستطيع التركيز مُطلقًا فقد راسلت مراد ولكنه لم يجب، هل سافر دون أن يمر علي أم ماذا؟

- زهرة عزيزتي أتستطيعين الجلوس في مكانك لخمس دقائق دون حركة لقد أصابني الدوار بسببك.

- أتركيها صوفي فهي بانتظار عزيزها مراد.

لحن فيتال جملته بسخرية واضحة فرمقته دون رد، ولكني أصابني الدوار أنا أيضًا من كثرة الحركة لذا قررت الجلوس في مكاني والانتظار بهدوء.

بحلول الحادية عشر سمعت صوت فيتال ....

- آوه أخيرًا أتيت هناك فتاة تنتظرك أصابتني بالعمى من كثرة الحركة.

- اخرس فيتال هي فقط كانت تحرك قدماها ببعض الخطوات.

- انظروا من يتحدث

كان صوت صوفيا وفيتال وبالطبع يتحدثان لمراد، ركضت خارجًا حتى أراه.

- زهرة صباح الخير .. لو علمت أنك في انتظاري لأخبرتك بموعد قدومي

صباح الخير مراد، جاوبته بينما أسحبه من يده داخل مكتبي وأغلقت الباب في لهفة كي أتمعن ملامحه فقد اشتقت له رغم مرور عدة ساعات فقط على آخر لقاء لنا.

مرت لحظات من الصمت بيننا حتى تحدث هو أخيرًا

- لن أتأخر في روما فقط ثلاثة أيام ربما.

هل عليك الذهاب حقًا؟

- لمَ هل ستشتاقين لي؟

كان يبتسم تلك البسمة الحنونة التي اعتدت عليها قبل أربعة أعوام، شردت بها قليلاً حتى أفقت من ثملة تلك البسمة.

لا بل بسبب هذا المايكل ستنقص مهلتي ثلاث أيامٍ

انفجر ضاحكًا ثم تمسك بكفاي

- حسنًا لتصبح مهلتك حتى الثالث من مايو، والآن علي الذهاب مايكل بالخارج على ما أعتقد وموعد الطائرة اقترب.

دنا نحوي وهمس بأذني

- لنلتقي بعد ثلاثة أيام فكري جيدًا حتى تبهريني.

توهج وجهي بينما خطى مراد خطواته خارج غرفتي وكان مايكل بالخارج بالفعل

- مرحبًا زهرة .. كيف حالك؟

بخير مايكل .. و أنت؟

- بخير، أعتذر عن سرقة مراد لتلك الفترة ولكني بحاجته.

لا عليك

غادر مراد برفقة مايكل وجلست أنا بعبوسٍ كبير على وجهي لآخر اليوم، للحق خلال تلك الأيام كان يراسلني مراد دائمًا ولكنها رغم ذلك مرت علي كأبد الدهر.

كنت في انتظاره طوال اليوم في انتظار دخوله للمطعم كالعادة وحديثه مع فيتال ومزاحه لليزا، كنت أتأمل نافذته المغلقة بلهفة طوال الليل أرغب في لمح طيفه ولو قليلاً.

كل هذا شغل عقلي بسؤالٍ أكبر تُرى لو عاد مراد للوطن ماذا سيحدث لي؟؟

مراد

مرت الثلاثة أيام ببطءٍ شديد رغم انشغالي للغاية مع مايكل ولكنها كانت بطيئة على قلبي اشتقت لزهرة كثيرًا، اشتقت للوقوف أمام النافذة ومراقبتها، كما كنت فضولي للغاية حتى أعلم الأفكار والخطط التي وضعتها حتى تكسب ودي.

قبل عودتنا لـتورينو قررت البحث عن هدية تناسبها لم يكن في عقلي شيءٌ محدد ولكني رغبت بإهدائها شيئًا رقيقًا ومميزًا مثلها.

وبعد الكثير من البحث وجدتها سوار من الفِضة يتدلى منه زهرات صغيرة من دوار الشمس والزنبق ربما وزهرة تُشبه الأقحوان، الزهور كانت بألوانها الطبيعية والسوار تصميمه مميزًا وكأنه صُنع خصيصًا لها.

أرسلت لها رسالة بموعد رحلتي وأخبرتها إني عائد للمنزل وطلبت منها لقاءها غدًا صباحًا عدت للمنزل بحدود التاسعة بدلت ثيابي وتحممت واستلقيت على فراشي وكالعادة قاطع الهدوء من حولي رنين جرس المنزل..

أخبرتها بوضوح أن نلتقي غدًا ولكن هناك من هو متحمسًا للقائي، وجدتها هي بالفعل تقف خلف الباب بذات البسمة وبيدها عُلبة كبيرة يفوح منها رائحة الكعك.

- اشتقت لك، لم أستطع الانتظار حتى الصباح لذا ابتعد ودعني أمر

لن أنكر أنني سعيد برؤيتها ولكني لن أخبرها بذلك

- طلبت من العم توني صنع كعكة البرتقال فهو يعدها لذيذة للغاية كما أحضرت بعض المعجنات فأنا جائعة للغاية.

يبدو حقًا أنك تنوين كسبي مرة أخرى عن طريق الطعام.

- أجل عزيزي فأقصر طريق لقلب الرجل يمر عبر معدته

جوابها ألجمني هل هذه خطتها حقًا؟؟!!

- إلهى مراد كنت أمزح فقط، أنا أردت رؤيتك ولنعتبر أن الكعك عذرًا جيد.

ولكنك لستِ بحاجة عذرٍ ما غمغمت بها ولكنها سمعتني، حسنًا لنعد بعض الشاي نتناوله مع الكعك.

كانت تقف بجواري في المطبخ مُحتضنة ذراعي بشدة بينما تراقبني أصنع الشاي

زهرة لن أهرب فقط أتركِ ذراعي سنحترق

- لا يهمني لنحترق لطالما نحن معًا لنحترق

إلهي فتاة بلهاء

كانت تجلس بجواري على الأريكة نتابع التلفاز بينما نتحدث ونتناول الكعك والشاي وهناك بطانية صغيرة نتدثر بها احتماءً من برد يناير، تذكرت الهدية وركضت مسرعًا إلى غرفتي كي أحضرها.

زهرة لقد أحضرت لكي هذه، أخرجت الأسوارة ومسكت برسغها أضعها حوله، لقد ذكرتني بك بمجرد رؤيتها.

- مراد إنها جميلة للغاية

ليست بجمالك زهرتي

ابتسمت لي بوسع بينما تنظر لي وتمسح على ذراعي

- شكرًا مراد .. شكرًا على مجيئك لتورينو وشكرًا على السوار.. شكرًا على منحي تلك الفرصة.

لو تعلمين يا زهرة أنني الشاكر الوحيد هنا على منحي كل هذا الحب رغم ذنب أبي الذي يُثقل كاهلي، ابتسمت لها ولم أجب.

غادرت زهرة عند منتصف الليل، أيامنا التالية كانت تمر بهدوء مُحبب لقلبي كنا نتناول طعام العشاء بشكل يومي معًا في منزلي أو منزلها.

كنت أمر عليها في أغلب الأحيان في المطعم حتى نعود سويًا للمنزل، انتصف يناير واشتد الطقس برودة ولكن برغم كرهي لهذا الطقس إلا أنه كان رائعًا بوجود زهرة إلى جواري فوجودها يدفئ قلبي وجوارحي.

زهرة

خطتي تسير بشكلٍ جيد لم يعد هناك صد من مراد أو كلماتٍ لاذعة، تناول العشاء اليوم بمنزلي وغادر، تركني وحدي أفكر في خطة ليوم الغد وها أنا قد توصلت إليها رغم خوفي من الطقس شديد البرودة إلا إنني سأنفذها مهما كلفني الأمر.

استيقظت صباحًا وهاتفت صوفيا أخبرها بعد ذهابي للعمل اليوم كما طلبت منها الاعتذار من ليزا والعم توني بدلاً مني.

تناولت قهوتي واستعديت للذهاب إلى مراد ، الساعة قاربت على العاشرة ويجب أن يكون مستيقظ بحلول الآن، رننت الجرس وسمعت صوته من خلف الباب يخبرني بقدومه هو بالطبع اعتداد على ذهابي ودق بابه في أوقات عشوائية.

- زهرة ألم تذهبي للعمل ؟

لا فقد أخذت اليوم إجازة حتى نقضيه معًا

- حسنًا .. هل تناولتِ طعامك لنفطر معًا ونشاهد فلمًا ما.

لم أتناول إفطاري بعد، ولا لن نقضي اليوم في المنزل لقد أعددت الكثير والكثير لنفعله اليوم

- ولكن زهرة الطقس بارد

لا يوجد لكن مراد هناك اختراع يُسمى معطف هيا تأنق لنذهب، وبسبب إصراري رضخ لي مراد وذهب حتى يرتدي ملابسه بينما أنتظره أنا في الصالة وأثرثر كعادتي مؤخرًا.

مراد لنذهب ونتناول الإفطار في مقهى لطيف أنا أعرفه، وبعد ذلك نتجول معًا في ساحات تورينو وربما نذهب لمُتحفٍ ما

ثم هناك ذلك المطعم القريب من ساحة كارينيانو لطالما ودت تجربته ولكني كنت محرجة من العم توني، ثم هناك مفاجئة بالنهاية.

خرج مراد يحمل معطفه يقطع ثرثرتي

- يبدو أنك حضرتِ لكل شيء آنستي

بالطبع ، قولتها ثم سحبت منه معطفه ووشاحًا كان مهملاً بجانبي ساعدته على ارتدائهم

- والمفاجئة عبارة عن؟

سنذهب لمدينة الألعاب عزيزي مراد لننطلق ونُخرج بعضًا من الطاقة في الصراخ

- حقًا زهرة مدينة الألعاب في هذا الطقس!!

لا تقلق سأقوم بتدفئتك بكوبٍ من الشاي عندما تبرد، كنت أسمع تأففاته بالطبع لقد أخذته على حين غرة ولكن لن تمنعني تلك التأففات من إنجاز كل شيء بقائمتي.

تناولنا طعامنا وتجولنا كثيرًا في أنحاء تورينو حتى أتى موعد الغداء، الشوارع لم تكن مزدحمة بسبب الطقس البارد وهذا ساعدنا على الاستمتاع أكثر.

طعام الغداء كان لذيذًا، لم تنتهى أحاديثنا وضحكاتنا ، كنت سعيدة للغاية مراد بجانبي نتنزه ونتناول الطعام يبتسم لي ويحكي لي عن والدته وحياته كما السابق.

كل هذا ساعدني على الشعور بالألفة كما لو أننا عدنا إلى سابق عهدنا، هو كان عنيد للغاية ورافض الذهاب لمدينة الألعاب ولكني أرغمته.

الألعاب جميعها رائعة ولكني تركت أروعها للنهاية، جربنا جميع الألعاب الصالحة للكبار وتناولنا الكثير من الحلوى القطنية كأطفالٍ مُبتهجين، مرت الساعات بلمح البصر حتى أصبحنا في الثامنة مساءً وحلَّ موعد لُعبتنا الأخيرة العجلة الدوارة.

بمجرد جلوسنا بالعربات تساقطت ندفات الثلج، كان المشهد أكثر من رائع الأضواء الملونة والثلج القطني يتساقط من حولنا وهناك نسمات يناير الباردة تداعب وجوهنا.

جلست بالقرب لمراد بل ملاصقة له أحتضن ذراعه حتى أشعره بالدفء ولأول مرة منذ زمن بعيد يُشابك مراد أصابع يدينا معًا تلك اللحظة كانت من أسعد لحظات حياتي

يومي كان رائعًا ويجب أن ينتهي بشكلٍ أروع لذا فكرت بفكرة جنونية بعض الشيء ولكن علي تنفيذها.

مراد لنذهب لمطعم العم توني

- بالطبع كثرة الحركة واللعب هنا وهناك كطفلة صغيرة أصابك بالجوع.

همهمت له وذهبنا بالفعل، المطعم كان به القليل من الزبائن المعتادين ذهبت إلى ليزا وطلبت منها العشاء بالإضافة إلى طلبٍ آخر .....

تناولنا الطعام وعندما انتهينا أشرت إلى ليزا لتنفذ خُطتنا والتي كانت العزف على البيانو أغنية طلبتها منها خصيصًا، كانت أغنية لـ " إلفيس بريسلي "

Elvis Presley - Can't Help Falling In Love

بمجرد جلوسها ولمسها لمفاتيح البيانو ذهبت نحو مراد في خطى هادئة

مراد أتسمح لي برقصة؟

رمش قليلاً بينما علامات التعجب شقت طريقها لوجهه

هيا لنرقص حتى نحصل على ختام مثالي ليومنا الرائع وتلك الأمسية اللطيفة.

- لكِ ذلك لنجعلها أمسية لا تُنسى.

تَمسَّك بكفي وأعطاني قبلة مليئة بالمشاعر على ظاهر يدي، تمسكت بيده بينما كفي الأخر وُضع على كتفه وذراعه حول خصري وبدأنا بالرقص

تلك الرقصة التي تحوي الكثير من المشاعر على أنغام تلك الكلمات التي تُعبر عنا كانت خير ختام ليومنا المثالي، هذا اليوم الذي كان موعدنا الأول ...

مراد

أصوات ضحكاتنا كانت تملأ الأرجاء في طريق عودتنا للمنزل، اليوم كان أكثر من مثالي كل ما فعلناه كان رائعًا ولكن أكثرهم كانت تلك الرقصة التي فاجأتني بها زهرة

كيف لخطواتنا أن تكون مثالية معًا هكذا!

حين ترانا ستعلم أننا خُلقنا لنكون معًا ولكن تبًا لتلك الظروف التي فرقتنا، مرَّ علينا الكثير يا زهرة ولكن سنتحد معًا في القريب أنا أثق بذلك ....

وصلنا أخيرًا وحان الوقت لنفترق، كيف أخبرها أنني لا أستطيع ترك يدها الآن، لا أريد مفارقتها ولو لعدة دقائق.

- وصلنا، مراد اليوم كان جميلًا للغاية شكرًا لك

علي الذهاب ولكني لا أريد، مراد ما رأيك بالذهاب لمكانٍ ما؟

تمنيت موافقتها ولكن نحن مرهقان والطقس بارد الثلج يهطل منذ عدة ساعات وجميع الكائنات الحية تختبئ في منازلها محتمية بالدفء عدا كلانا فالحب أدفئ قلوبنا وأوصالنا المرتعشة بردًا

اتمنى ذلك لكن الطقس بارد

- حسنًا إذًا .. ليلة سعيدة سأشتاق لك حتى نلتقي صباحًا.

ودعتني بقبلة لطيفة على وجنتي وعانيت أنا حتى أفلت يدها من بين كفاي فلا أرغب بالابتعاد عنها ولكن لا مفر.

تنهدت بصوتٍ مسموع .. أحلام سعيدة نجمتي

وفي تلك الليلة لم أستطع النوم من فرط المشاعر السعيدة .....

أيامنا نقضيها ببساطة بين عمل زهرة ونزهاتنا البسيطة التي نقضيها هنا وهناك، وصلنا لنهاية يناير وطلبت مني زهرة أن نلتقي في حديقة كنا نذهب لها أحيانًا، موعدنا كان في السابعة ذهبت في الموعد وجلست على المقعد أمام بوابة الدخول حتى أرى نجمة قلبي عند وصولها، مرَّ الوقت ولم تصل زهرة بعد ، الثلج بدأ في السقوط من حولي هي حتى لا تُجب على هاتفها القلق بدأ يتسرب إلى قلبي فالساعة تخطت السابعة والنصف ولم تأتي زهرة.

زهرة

انتهيت من عملي بالمطعم باكرًا بدلت ثيابي وخطوت خطواتي نحو محطة الحافلات فأنا على موعد مع مراد لنلتقي بالحديقة، كانت خطتي الجلوس بالحديقة قليلاً ثم التجول بعدها في المحال التجارية بالقرب من الحديقة.

جلست في الحافلة بجوار النافذة كما أحب دائمًا كي أتابع السيارات والمارة بالخارج، قطعنا نصف الطريق ولكني فجأة شعرت بحركة خاطئة في حركة الحافلة وضوضاء آتية من الخارج تلفت حولي وجدت الذعر بادٍ على وجوه الركاب وهناك سيارة بالخارج يبدو سائقها فاقد القدرة على السيطرة عليها.

كل شيء حدث بجزء من الثانية صراخ الركاب وسائق الحافلة وانقلاب الحافلة على جانبها على حافة الطريق

ارتطم رأسي بشدة بالزجاج كما فقدت حاسة السمع للحظات، دوار شديد وألم قاتل اجتاح جسدي، بعدما عاد لي سمعي بعد تلك الصدمة سمعت ضوضاء كثيرة وأصوات الناس بالخارج وبعض الرجال يُخرجون الركاب من داخل الحافلة بينما هناك من يصرخ بطلب الإسعاف

حينها فقط ضربني الإدراك مراد بانتظاري في الحديقة والطقس باردًا سيمرض بسبب الطقس بسببي ، انتشلني أحدهم

أخيرًا يُخرجني من مكاني بينما يتفحصني بعيناه بحثًا عن إصابات كان يسألني عن حالتي وكيف أشعر وأين الألم ولكني لا أستطيع إجابته بسبب الدوار القاتل الذي أشعر به.

طلب مني الجلوس وأخبرني أن سيارات الإسعاف بالطريق ولكن كيف أنتظر

تحاملت على نفسي محاولةً مني في التماسك والوصول إلى مراد فأنا لا أستطيع الاتصال به هاتفي تحطم بسبب الارتطام، كان يفصلني عنه عشر دقائق سيرًا على الأقدام ربما....

كنت أسير ببطءٍ شديد كل ما حولي يدور، أشعر بالبرد لدرجة ارتجاف عظامي ربما بسبب الخوف لا أعلم، تلك الدقائق القليلة بدت بعيدة للغاية بسبب شعوري بالدوار وترنح خطواتي

بعد الكثير من المشي والتعثر وصلت أخيرًا.

مراد

أخيرًا بعدما نخر البرد عظامي وفتك القلق بقلبي وصلت زهرة، كانت منحنية تتمسك بركبتاها تلتقط أنفاسها هل جاءت راكضة أم ماذا؟!

تقدمت نحوى بخطى مبعثرة

- مراد أعتذر أنا آسفة على التأخير، هل تشعر بالبرد؟

كانت تعتذر بينما تبكي وتتمسك بكفاي تحاول تدفئتها، مظهرها أثار الرعب داخل قلبي خاصةً عندما رأيت تلك الدماء التي تغطي جانب وجهها وما أثلج الدماء داخل عروقي هو فقدانها للوعي بين أذرعي .....

زهرة

استيقظت لاجدني في فراش مشفى ما، كان هناك ألم بجميع أنحاء جسدي أفكاري مشوشة ولا أذكر شيء سوى إمساكي بكفوف مراد.

مراد .. !!

تيقظت حواسي قليلاً لأنظر حولي وأجدهم فيتال صوفيا ليزا مراد ، وحتى مايكل

مراد كان ذو وجهٍ شاحب والبقية مظهرهم مخيف القلق يكسو ملامحهم بينما ليزا وبوضوح كانت تبكي.

- حبيبتي هل أفقتِ أخيرًا؟ كيف تشعرين هل هناك أي ألم؟

مراد الذي كان يضم كفي لصدره ويسألني بلهفة واضحة، ثم ماذا أقال حبيبتي أم أنا فقط مشوشة؟

- أيتها الغبية أصبتِ في حادث وركضتي حتى تلتقي بهذا المغفل، عليكِ اللعنة زهرة.

وبالطبع تلك كانت ليزا الباكية

حاولت استجماع كلماتي حتى أسألهم عمَّا حدث

- حينما وصلتِ للحديقة كنتِ مصابة بشدة جراء ذلك الحادث الذي عرفنا به بعد قدومنا للمشفى فقد أغشى عليكِ، لا تقلقي

هي بضع قطب في رأسك وبعض الكدمات هنا وهناك ليس هناك شيئًا خطيرًا.

قاطع فيتال كلمات مراد صائحًا ...

- حتى الآن، ليس هناك شيئًا خطيرًا حتى الآن.

كان ينظر لي بغضبٍ بالغ

- حينما تُصابين بحادثٍ مروري عليكِ البقاء حتى قدوم المسعفين لا الركض في الشوارع أيتها الحمقاء.

- اخرس فيتال أرجوك .. حمدًا لله على سلامتك عزيزتي.

- لن أخرس أيها السيد إخبريني لمَ ركضتِ كبطة حمقاء مُصابة بالعرج في الشوارع وأنتِ تنزفين ها لمَ؟؟

كنت تأخرت على مراد كثيرًا وخشيت عليه من البرد، وهنا تدخل مايكل

- آوه خشيتِ عليه البرد! لا أعلم هل أنتِ الحمقاء أم الحب أحمق؟!

- اللعنة عليكم لتغادروا جميعًا، حمدًا لله على سلامتك عزيزتي سنغادر ونتركك ترتاحين قليلاً هيا جميعًا إلى الخارج وليبقى مراد بجانبها لنرى إذا اشتد عليه البرد.

ختمت صوفيا حديثها ساخرة ولكن كلماتها أضحكتنا جميعًا، حصلت على عناقات دافئة من الجميع ووعد بالعودة في الصباح، إلهي كم أحب أصدقائي.

- هل أنتِ بخير حقًا؟

أجل، أعتذر عن تأخيري.

- تعلمين إنكِ أخطأتِ أليس كذلك كان من الممكن أن يصيبك مكروه.

خشيت أن تمرض بسبب بقائك في هذا الطقس البارد أنت لا تتحمل البرودة.

- لم أعد أمرض بسبب الشتاء بعدما مرضت بسبب الحب، والآن عليكِ النوم والراحة سأظل إلى جانبك.

حسنًا

استيقظت صباحًا على صوت رجل غريب يُحادث مراد وهناك بعض الأحاديث الجانبية المسموعة بالنسبة لي فرقت جفناي لأجده الطبيب يتحدث لمراد ولكنه لاحظني بمجرد ما نظرت إليه.

- صباح الخير يا آنسة ، اطمئني كل شيء بخير أنتِ فقط بحاجة للراحة ويمكنك المغادرة غدًا.

شكرًا لك، همست بها.

- عزيزتي أنتِ بخير، إلهي لقد كنت قلقة طوال الليل لم أستطع النوم

أنا بخير خالتي لا تقلقِ، عانقتني خالتي ماريا تغمرني بدفء الأم الذي افتقدته كثيرًا

- ابتعدي ماري، أود الاطمئنان عليها أنا أيضًا.

وهذا كان العم إسحاق الذي ربت على رأسي ومسح على وجنتي

- تبدين بخير صغيرتي جميلة حتى وأنتِ بالمشفى

ضحكت على كلمات العم إسحاق فهو دائمًا يدللني بكلماته المعسولة

- هلا انتهيتما أرغب بعناق موظفتي الحبيبة، ابتعد أيها العجوز

عزيزتي زهرة لقد قلقنا عليكِ جميعًا الحمد لله إنكِ بخير يا ابنتي.

شكرًا لك عم توني أنا بخير، ولكن أين البقية؟

- سيأتون لاحقًا بسبب قوانين المشفى

حسنًا

- يبدو أن الجميع يُحبك هنا آنسة زهرة

ألا تُحب ذلك سيد مراد؟

- بالطبع أحب ذلك ولكن أخشى أن يسرق أحدهم مكانتي قبل أن نصل لإبريل..

باليوم التالي صرح طبيبي بخروجي وعودتي للمنزل مع الراحة لعدة أيام، طوال الطريق كنت أتذمر لمراد أن بسبب ذلك الحادث فقدت عدة أيام من فرصتي ولكنه مشكور وعدني بالبقاء بجانبي في المنزل وتركي أحاول كما أرغب.

في قرارة نفسي كنت أعلم أن نتيجة تلك الفرصة محسومة منذ زمن ولكني رغم ذلك أردت استغلال الوقت بشتى الطرق لأعوض عن الأعوام الفائتة.

وصلنا للمنزل أخيرًا لأجد جميع الأصدقاء هناك فقد أعدوا حفل استقبال لي، لا أعلم كيف أصف حبي لهم فهم لم يعودوا مجرد أصدقاء هم أخوةٌ لنا.

إلهي حتى ميليا الكريهة موجودة لاستقبالي وابن أخ صوفيا الصغير هنا أيضًا، لا يمكنني أن أكون أسعد بوجود عائلتي ومحبوبي من حولي.

تناولت الكثير من الطعام والعصير ضحكت كثيرًا حتى سقطت نائمة دون شعور أهذا معنى الطمأنينة كما يقولون .. ؟

تحسنت حالي كثيرًا في الأيام التالية مراد لم يترك جانبي سوى عند النوم فقد اهتم بي كثيرًا حتى تحسنت وعدت للعمل.

مراد

زهرة تَبذل قصارى جهدها لكسب ودي لذا قررت مكافأتها فقد اقترب عيد مولدها والذي يصادف عيد العشاق، قررت أن نعقد هدنة ونحتفل بهذا اليوم كأحباء حقيقين.

مرَّ اليوم تلو الآخر وكنت قد انتهيت من خطتي للاحتفال بهذا اليوم المميز، وها قد وصلنا للرابع عشر من فبراير، هاتفت زهرة صباحًا أتأكد من ذهابها للعمل وهذا بالطبع بعدما طلبت من جميع أصدقائنا تمثيلهم النسيان أن اليوم مميز حتى أستطيع مفاجئتها كما أود.

في الأيام السابقة استعنت بصوفيا لشراء هدية لزهرة وهي عبارة عن ثوبٍ أزرق من قماش القطيفة وحذاء وحقيبة بلون القشدة، الثوب كان غاية في الرقة والأناقة أستطيع تخيل زهرة عند ارتدائه ستغدو فائقة الجمال كعادتها وبالطبع لم أنس ذلك العقد من اللؤلؤ حتى تكتمل إطلالتها.

تأنقت وارتديت بزتي الكحلية حتى تتناسب مع لون الفستان وضعت منديلاً أبيض اللون بجيبي وأخذت هديتي وقررت الذهاب لزهرة فقد حان الوقت وبالطبع كانت معي سيارة مايكل الأنيقة فقد حضرت يومًا مميزًا بدءً بالغداء في أرقى وأشهر مطاعم تورينو ثم حفلٍ هام للغاية والذي كان لأحد مطربي زهرة المفضلين حيث قمت بحجز التذاكر قبل أكثر من شهر ثم الختام بالعشاء المميز أسفل النافذة مكاننا المفضل.

وصلت لعمل زهرة في حدود الحادية عشر صباحًا، بعد تحية فيتال وصوفيا زفرت أنفاسي مشجعًا لذاتي حتى أرى زهرة

طرقت الباب وسمعت صوتها من خلفه دلفت واضعًا أوسع ابتسامة أملكها على وجهي

مرحبًا زهرتي

- مرحبًا مراد

هل أنتِ مشغولة ؟

- قليلاً، ما الخطب؟

نظرت لي بشك، لا شيء ولكن اليوم يومًا مميزًا لذا هل أنتِ مستعدة لنخوض هدنة لليوم ونقضيه كأحباء حقيقين؟

- ماذا ؟

زهرة اليوم يوم ميلادك لنضع مخطط إبريل على جانب ونقضي اليوم سويًا مثل حبيبين.

- آوه أنا فهمت ولكني مصدومة بعض الشيء كما أنك متأنق بشكلٍ زائد وتبدو وسيم أكثر من العادة

ضحكت على ردة فعلها وكلماتها الغريبة ولكن هذا لن يوقف خطتي .....

تفضلي

- ما هذا؟

هذا لتتأنقي أنتِ أيضًا، هيا الآن أسرعي من فضلك فهناك خطة لليوم موضوعة بدقة يجب ألا نتأخر، أنهيت كلماتي تاركًا إياها في حيرتها وغادرت أنتظرها في السيارة.

وبعد قرابة النصف ساعة رأيتها بثوبها الرائع وزينتها البهية تخطف أنفاسي تبدو كزهرة أوركيد زرقاء وحيدة بين حقل من الياسمين الأبيض.

تبدين خاطفة للأنفاس يا نجمة قلبي

- شكرًا لك.

ابتسمت لي وانطلقنا في طريقنا للمطعم المختار والذي انبهرت زهرة بوجود مكان لنا به فالحجز به وفي يوم كهذا يكاد يكون مستحيلاً فهي لا تعلم لكم من الوقت خططت لهذا اليوم.

الغداء كان لطيفًا وهناك زخات بسيطة من المطر تضفي لمسة ساحرة لليوم المميز، ذهبنا لتناول التحلية في مكانٍ آخر كانت تحدثت عنه زهرة في وقتٍ ما وللحق الكعكة كانت رائعة والقهوة أيضًا.

تنزهنا قليلاً هنا وهناك كانت مفاجأتي الكبرى لزهرة حفل مطربها المفضل لن أنسى العناق السعيد الذي حصلت عليه بسبب ذلك الحفل أو ملامح استمتاع زهرة بموسيقاها المفضلة وتمسكها بكفي طوال الحفل.

آه يا زهرتي كيف سيكون حالي لو عشنا معًا للأبد أعتقد حينها من الممكن أن يُصبح لقلبي أجنحة ويحلق بها بعيدًا في عنان السماء.

انتهى الحفل وغادرنا أنا وزهرة لنختتم يومنا الساحر بجلستنا المفضلة أسفل النافذة نراقب ضوء القمر والسماء

عيد ميلاد سعيد يا زهرة..

- هو سعيد بسبب وجودك جواري يا مراد

كنا نتناول كعكة عيد ميلادها التي أعدها العم توني والعشاء الذي أعدته ليزا وحولنا الشموع والورود كما طلبت من مايكل، جميعهم ساعدوني للقيام بهذا اليوم الرائع والأمسية المميزة أسفل النافذة وأنا شاكر لهم كثيرًا.

- مراد لا أعلم كيف أشكرك على ما فعلته لي اليوم

عيناها كانت تتلألأ بدموع السعادة، ما رأيك أن تكافئينني بعناق فأنا بحاجته

عانقتني بشدة، كم هي حنونة وصغيرة الحجم تتسع بين أضلعي!

أتمنى العام القادم في مثل هذا اليوم أن نحتفل بينما أنتِ زوجتي ونجمتي وكل حياتي تمنيت إخبارها هذه الكلمات ولكني تمالكت نفسي .

أوصلتها للمنزل وعدت أغرق في أحلامي السعيدة بينما تمر أحداث اليوم كنسيمٍ بارد يربت على قلبي.

زهرة

يوم ميلادي كان يومًا سعيدًا للغاية بالنسبة لي، لا أجد كلمات معبرة عما فعله مراد لإسعادي بدايةً من هديته الرائعة مرورًا بالحفل ختامًا بالعشاء.

رغم سعادتي تلك ولكني كنت أخشى اقتراب إبريل، رغم تناغمي أنا ومراد معًا وتناسينا ما حدث وتلك الفرصة التي طلبتها منه إلا إنني لازلت خائفة من إبريل..

خائفة أن نفترق لأي سبب وذلك الخوف كان سبب أساسي في التصاقي بمراد للأيام التالية، لم أترك جانبه سوى مرغمة بسبب العمل أو النوم لو لم يكن علي العودة لمنزلي لن أتركه أبدًا.

مرت أيام فبراير الباقية وبداية مارس هكذا وأنا ملتصقة بمراد وبشدة وهو لا يبدو يمانع أو يتذمر من هذا الالتصاق بل أعتقد هو أحبه، ليأتي يوم يحدث فيه ما لم أتوقع حدوثه أبدًا .....

مراد

التصقت زهرة بي بطريقة مضحكة ولكنها محببة لقلبي فهي تراسلني وتهاتفني طيلة الوقت كما تحتجزني بالمطعم أثناء عملها، كنت أتملص منها بالقوة في بعض الأحيان ولكن هيهات كانت تجدني بسهولة وتحتجزني أمامها بين نظراتها.

انتهى فبراير والأسبوع الأول من مارس لم نصل حتى إبريل بعد ولكني لم أعد أحتمل فقد نفذ صبري لن أكابر أكثر مُدعيًا عقابها أو شيء ما من هذه التراهات لذا حسمت قراري لننهي تلك اللعبة.

ارتديت ثيابي وتعطرت بعطر زهرة المفضل شحذت قلبي ليستعد للتالي وذهبت إليها في مطعم العم توني..

كانت تقف في منتصف المطعم تدون شيئًا ما وظهرها للخارج ركضت نحوها غير أبه بالموجودين في المكان أو بمظهر الأبله الذي أبدو عليه وعانقتها، عناق خلفي قوي مما جعلها تشهق برعب بالطبع أخفتها ولكن لا يهم.

- مراد ماذا حدث؟

أفلتت نفسها بصعوبة من بين ذراعاي واستدارت تنظر لي بدهشة فضممتها لي بقوة كما السابق وسط ذهول الموجودين.

مرَّ أسبوع واحد من مارس ولكني لم يعد بمقدوري الانتظار حتى إبريل لنتزوج يا زهرة، لنهرب حتى آخر العالم لو أردتِ فقط لكي نصبح معًا أنا موافق، موافق لفعل أي شيء حتى نصبح معًا حتى لو اختطفتك واحتجزتك بجبلٍ ما لنصبح معًا.

لا يمكن وصف ملامح زهرة حين ألقيت كلماتي تلك على مسامعها أو تلك الدموع المتساقطة بلهفة على وجنتها

وما كان منها سوى الصراخ بالموافقة

" لنتزوج مراد لنتزوج وننجب عشرة أبناء أنا موافقة "

ولم يكن مني سوى حملها والركض بها خارج المكان.

دفء برائحة التوت الجزء الثاني "دفء الوطن"

(١)

غيمة

أقف بثباتٍ في صالة المغادرة بالمطار أراقب خطوات سام وليل المغادرة تبتعد عني وكأن قلبي يغادر قفصي الصدري

قدماي تأبى التحرك والدموع تتساقط دون رغبةً مني، هناك عشرات الأفكار السوداء تجول بعقلي والكثير من الأسئلة، هل غادر ليل وسام للأبد؟؟

سأغدو وحيدةً مرةً أخرى؟ كيف ستمر أيامي بدون رفقتهما؟!

بعد الكثير من الوقت من وقوفي ثابتة في مكاني وإقلاع طائرتهم في رحلتها عودةً للوطن تحركت أخيرًا، طريق عودتي للمنزل كان هادئًا خاليًا من ضحكات سام وتذمرات ليل، رغم صخب أفكاري والجو الخانق من حولي إلا أن الهدوء والصمت القاتل يعم المكان.

وصلت أخيرًا للمنزل جسدي هنا ولكن عقلي وقلبي وتفكيري يلحقوا جميعًا بـ سام وليل، افتقدتهما بالفعل رغم مرور ساعتين ربما، هل سام سيعتاد العيش هناك أخشى عليه من تغير المناخ والمكان الذى إعتاد عليهم.

مرَّ الوقت ببطءٍ شديد وأنا جالسة فقط أمام الشرفة أراقب السماء في انتظار وصولهما للوطن بسلام، انتظر مكالمة منهما تطمئن قلبي الثائر قلقًا عليهما.

اختبأت الشمس واختفى نورها حلَّ الليل وعم الظلام والنجوم ظهرت على استحياء تتلألأ في الأفق البعيدة ولم يصلني اتصالًا منهما بعد، أعلم الرحلة تأخذ الكثير من الوقت ولكني اشتقت لهما أرغب في سماع صوتهما في أقرب وقت.

هناك شعور غريب بالخوف يضج أركان قلبي، أخشى الوحدة وأخشى بُعدهما عني، مرت ساعة واثنان وثلاثة وفي الخامسة فجرًا رن هاتفي أخيرًا .....

ليل

كنت خائفًا من ترك غيمة بمفردها فأنا أعلم جيدًا أفكارها السوداوية وقلقها المفرط ولكن لا يوجد حل، كان علي السفر ورؤية والدتي مهما كلفني الأمر، فأنا لم أرى أيًا من أفراد أسرتي منذ غادرت هاربًا قبل أربعة أعوام.

اشتقت لهم كثيرًا يكفيني أنني حرمت والدة روزا من حفيدها الوحيد والذكرى الوحيدة الباقية من ابنتها الراحلة، والآن هو سيعود لأحضانها حتى ولو لفترة مؤقتة.

سام كان متحمسًا للغاية لرؤية أجداده وفي الوقت ذاته حزينًا لمغادرة عزيزته ميمي، آه بني لو تعلم كم هو صعب علي أنا الأخر مغادرتها وتركها وحيدة والعودة لمكان أفقدني عزيزتي وذاتي ولكن ما باليد حيلة.

كنت على متن الطائرة أمامي ساعات طويلة للوصول للوطن وهناك شعورًا غريبًا بداخلي، شعورًا بالفقد والخوف فأنا عائد للمكان الذي أخذ حبيبتي من بين يداي، للمكان الذي فقدت فيه غاليتي روزا وتعذبت لأشهرٍ طوال بعيدًا عن ابني الحبيب، عائدًا لعذابي السابق وأحضان والداي مبتعدًا عن غيمتي الظليلة رفيقة قلبي.

مضطربٌ للغاية ومهموم راغبًا بالعودة وخائف في الوقت ذاته، قلق على والدتي وصحتها ولكني مرتعب من العودة بعد كل هذا الوقت، العودة للمكان الذي فررت منه، خائفًا من مداهمة المشاعر والذكريات.

سام بعد الكثير من الثرثرة حول غيمة وجدتيه وجديه سقط نائمًا فأمامنا الكثير من الساعات حتى نصل لوجهتنا، حاولت السيطرة على مشاعري وأفكاري المضطربة ولكنها جميعًا تتجه نحو غيمة دون إرادةً مني، وعدتها بأن نبقى معًا دائمًا ولكني ها أنا أخلف وعدي لها، ربما أخلفته مُجبرًا ولكني أخلفته، وجب علي أن أطلب منها المجيء معنا، ولكن مدرستها!!

إلهي لقد نسيت أمر المدرسة نهائيًا، تُرى ماذا ستفعل غيمة بمفردها؟

قضيت الساعات على متن الطائرة حائرًا لا أدري ما علي فعله، بداخلي الكثير من الأفكار ولكن خوفي من العودة للوطن الفارغ من روزا تغلب على جميع أفكاري، وصلنا أخيرًا وأثناء ذلك استيقظ سام.

والدي كان في استقبالنا بالمطار بقدر سعادتي برؤيته وعناقه بعد تلك الفترة الطويلة بقدر رعبي وهلعي من تنفس الهواء هنا بلا وجود عزيزتي روزا، سام كان سعيدًا للغاية بمقابلة جده الذي كان يراه دائمًا من خلف شاشةٍ صماء، علمت منه بوجود والدتي في المشفى لذا قررنا الذهاب لها بالصباح فالوقت تأخر بعض الشيء.

وصلت لمنزل والدي فقد رفض بقائي في منزلي مبتعدًا عنه بعد غيابي سنوات وبكل صراحة أنا لم أكن أريد الذهاب لمنزلي أبدًا ذلك المنزل الذي كان مستنقعًا لهذياني وبؤسي الشديد، طوال الطريق للمنزل كنت أرى ذكرياتي مع روزا وذكريات أيامي السابقة مع أصدقائي ومعارفي، كان شعورًا مؤلمًا حد الهلاك بالنسبة لي لا أعلم كيف أتصرف؟ كيف أتحكم في ردات فعلي وأتمالك دموعي؟؟

مذ وصلنا وسام كان يسألني عن غيمة ويطلب مهاتفتها، الوقت متأخر هناك الآن وأنا غير مستعد لتلك المكالمة أبدًا، ولكن وجب علي طمأنتها كما طلبت، أمسكت بهاتفي وضغطت الاسم بينما قلبي يطرق بعنف مشتت بين والداي .. روزا .. سام وغيمة، فكل تلك المشاعر كثيرة حتى يتحملها قلبي

الضعيف.

بمجرد رنين الهاتف أجابت غيمة مُسرعة وكأنها كانت بانتظارها لي رغم تأخر الوقت ولكنها أجابت بلهفةٍ واضحة.....

- ليل هل وصلتم؟

نعم عزيزتي نحن وصلنا بأمان، كما وصلت لمنزل والدي منذ عدة دقائق فقط.

- هل أنت بخير وسام كيف حاله؟

سام بخير غيمة لا تقلقي هو أيضًا يرغب في محادثتك، أخبرتها وأعطيت الهاتف لابني المتحمس ليتحدثا براحة.

ما أن تناول سام الهاتف من يدي حتى هتف مبتهجًا بعلو ميمييييييي

- ميمي اشتقت لكِ لقد وصلنا، الرحلة كانت طويلة للغاية برغم نومي أغلب الوقت، كما أنني رأيت جدي لأول مرة وعانقني بشدة وقبل وجنتاي وأخبرني كم أنا جميل.

كان يتحدث ببهجةٍ يتلو على مسامعها جميع ما حدث منذ غادرنا.

- ملاكي أنا أيضًا اشتقت لك كثيرًا، هل أنت بخير؟

سعيدة للغاية لأنك قابلك جدك، نم وارتاح جيدًا صغيري وأيضًا يجب عليك تناول طعامك جيدًا ومهاتفتي كل يوم.

ـ حسنًا ميمي، بابا معكِ الآن وداعًا.

ـ ليل هل أنت بخير حقًا؟

لن أكذب عليكِ أنا لست بخير البتة.

ـ أعلم ولكن كل سيء سيمر صدقني، عليك الشبع من والدك والراحة جيدًا حتى تستطيع الوقوف بجانب والدتك في محنتها، انتبه لسام جيدًا وانتبه لنفسك أيضًا، لن أأخذ من وقتك أكثر عد الآن لهم ولنتحدث بعدما ترتاح من عناء السفر

أحبك.. وداعًا

أغلقت المكالمة بتلك الكلمة والتي أسمعها منها لأول مرة، ربما رغبت بطمأنتي فهي تدري شعوري جيدًا بقدومي إلى هنا، إلهي هي تعتني بي حتى بعدما تركتها وحيدة في أهم أيامها.

تناول ثلاثتنا العشاء بالكثير من المحادثات، أبي لم يترك سام للحظة، سام أيضًا ظل ملتصقًا به طول الوقت يحصل على عناقات دافئة وقبلات مُحبة، لم تمر سوى نصف ساعة وإذا بوالدي روزا أتوا أيضًا بالطبع هما لم يطيقا صبرًا حتى يروا سام الصغير، صغير ابنتهم الراحلة وملاكها.

بكاء والدة روزا وعناقها القوي لسام زلزل كياني بأكمله، المشهد أمامي كان يُظهر لي مدى خطأي وأنانيتي بسلب حفيدهم منهم، تلك العناقات والقبلات والدموع السعيدة كانت مؤلمة بالنسبة لي فأنا من حرمهم جميعًا من وجود هذا الملاك بينهم .

طيلة وجودهم جميعًا حول سام كانت تراودني فكرة واحدة تسيطر على عقلي وكأن هناك من يأمرني بالرضوخ والعودة إلى هنا، العودة لدفء الوطن والعائلة التي حرمتها من أعز ما تملك، ولكن غيمة كيف أتركها بمفردها بعدما أصبحنا أسرة دافئة مترابطة؟؟؟

آه مرهق من التفكير ومن كثرة المشاعر، لا أدري ما هو العمل الصحيح لذا قررت ترك القرار للأيام القادمة .....

كنت متعبًا لذا قررت النهوض للنوم وترك سام مع أجداده، برغم إرهاقي الشديد إلا أن النوم رفض زيارتي آبى ملامسة جفوني وكأني عدوه اللدود.

ظللت في مكاني تدور بي أفكاري ومشاعري، خلال ذلك الوقت غادرا والدي روزا ونام والدي وبين أحضانه سام الذي نام هانئًا لأول مرة بجوار جده، لا يمكنني إنكار تلك البسمة التي اعتلت وجه أبي حتى أثناء نومه، ألتلك الدرجة كنت أنانيًا وحرمتهم السعادة طيلة أربعة أعوام؟!سؤال صعب وإجابته ربما مؤلمة، رغم ذلك ظل يتلاعب بعقلي لفترة ليست بالقصيرة، بعد مدة نمت أخيرًا فالغد يومٍ حافل.

(٢)

ليل

استيقظت صباحًا بجسدٍ منهك فالسفر لكل تلك المسافة مرهق إلى جانب المشاعر السلبية وقلة النوم، يبدو أن جميعها أثرت على جسدي، أول ما فعلته صباحًا كان الاتصال بـغيمة، كان بداخلي شعورًا قويًا بالاشتياق لها ولصوتها.

مرحبًا غيمة..

- صباح الخير ليل، هو الصباح لديك أليس كذلك؟

اشتقت لكِ

- أنا أيضًا، كل شيء بخير لديك؟ كيف حالك أنت وسام؟

نحن بخير، فقط مفتقدينك وبشدة، ليلة الأمس لم تكن سهلة علي.

- أدرك ذلك، ليتني بجوارك، ولكنك بجوار والدك وكل من أحببت.

- ألن تزور منزلك؟

لا أعلم بعد.

استمر حديثنا لمدة تجاوزت النصف ساعة كنت أحادثها وأراها من خلف الشاشة، كانت مرهقة وشاحبة تبدو لم تنم منذ غادرنا ولكني لم اتطرق للسؤال، أخبرتها بكل ما حدث بالأمس وكل مشاعري المتخبطة وكانت تستمع لي بهدوء تشاركني بكلماتٍ بسيطة، أخيرًا انتهيت من محادثتها وغادرت غرفتي لأجد والدي وسام يجلسان معًا أمام مائدة الفطور يبدو أنهما بانتظاري.

صباح الخير أبي

- صباح الخير بني، هل نمت جيدًا؟

للأسف لا الإرهاق منعني النوم الهانئ، ملاكي هل نمت جيدًا بجوار جدك.

- نعم ولكنه عانقني بشدة لم أستطع التحرك.

قالها سام بعبوس ليقهقه جده ويقبل وجنته بقوة ليزداد عبوسه.

- هيا بني إغتسل لنتناول الطعام علينا رؤية والدتك.

حسنًا فقط امهلني دقيقتان، كنت أتحرك ببطءٍ شديد داخل المنزل وكأني رافض مغادرة تلك الجدران الأربع، برغم اشتياقي الشديد لوالدتي وخوفي عليها إلا أنني أخشى رؤيتها، فبمجرد رؤيتها ستترسخ فكرة البقاء بعقلي أكثر وأكثر.

غادرنا المنزل بين حماس سام وتوتري الواضح رغم ذلك طريقنا نحو المشفى كان هادئًا على غير المتوقع، سام يراقب الشوارع يشاهد تلك المناظر والأماكن للمرة الأولى وهو يحدق بها بشدة من خلف زجاج السيارة، بينما أنا شاردًا داخل أفكاري الكثيرة والمتشابكة أطرافها لدرجة أشعرتني بالإختناق فهي تلتف حول عقلي وقلبي بشدة.

وصلنا أخيرًا للمشفى الذي ترقد به أمي الغالية، قلبي يطرق بصخبٍ وكأنه يود الفرار من داخل أضلعي، فهي أربعة سنواتٍ كبيرة بعيدًا عن أمي ورائحة أمي وعناق أمي، أفتقدها بشدة وأقوم بحساب الثوان حتى أصل لغرفتها.....

أمي ..

****

كنت أقف على باب الغرفة أنظر لها وتنظر لي، أنظر نحو أمي نظرات أمي وابتسامة أمي، رغم ركض سام نحوها ومعانقتها إلا إنها تنظر لي بأعينٍ تلمع بالدموع، دموع الاشتياق.

تحركت بخطى مضطربة حتى وصلت إليها ولم أشعر بنفسي ألا وأنا بين أحضان أمي أبكي بحرقة، بكاءً ربما قمت بتخزينه للكثير والكثير من الأيام.

لا أعلم لمَ أبكي هل بسبب اشتياقي لها؟ أم بسبب أفكاري المسيطرة على عقلي بشكلٍ مؤلم؟ أو ربما بسبب مرضها؟!

لا أعلم كل ما أعلمه جيدًا أنني اشتقت لها ولكل تفاصيلها، يا لي من غبي فقد اختارت الهرب والبقاء وحيدًا رغم وجود مثل هذا الدفء والنعيم بأحضاني أمي الغالية، لا أعلم كم المدة التي بقيت بها في أحضان والدتي أتنعم بدفئها وتربيتاتها الحنونة حتى سام جلس بجوارها وألقى بجسده على جسدي يعانقني، كان شعورًا غامرًا بالدفء .. شعورًا يذكرني بغيمة ودفء منزلها ورائحة كعكة التوت الأزرق.

بعد فترة طويلة من العناق والحديث والاطمئنان على والدتي حيث تحدثت بنفسي مع طبيبها وللحق كلماته هدأت دواخلي قليلًا فهي بحالٍ ليست سيئة والجراحة سوف تحل المشكلة لديها.

عدت لغرفتها لأجدها تعطي صغيري قطع الفاكهة بينما يحكي لها عن مغامراته بالروضة وعزفه للبيانو وعن غيمة وهي كانت تستمع له بلهفةٍ واضحة وابتسامتها هي وأبي تملأ وجهيهما.

ولكني وبكل آسف مضطر لقطع تلك الجلسة العائلية اللطيفة فهناك مكان ما يتوجب علي زيارته برفقة سام، أبي أمي هل

لي بالمغادرة الآن برفقة سام فهناك ما ينبغي علي فعله كما أنني وعدت والدا روزا بالمرور إليهم اليوم وتناول الغداء معًا.

- حسنًا بني كما تريد رغم أنني لا أرغب بتركك ترحل فلم يذهب الشوق بعد ولكن كما تحب.

عانقتها بقوة ووعدتها بالعودة مساءً إذا سمح الطبيب، أمسكت بيد ملاكي وغادرنا المشفى متجهين إلى حيث ترقد فقيدتي.....

- بابا إلى أين سنذهب؟

ألا ترغب برؤية والدتك ملاكي؟

- ماما!!

سام كان يتساءل فهو مجرد طفل صغير لا يدرك معنى كلامي ومقصدي، أخذت نفسًا عميقًا وزفرته ببطء انحنيت أمامه انظر له بينما أتمسك بكفيه الصغيرة

حبيبي نحن ذاهبان لحيث ترقد ماما بجسدها فقط ولكن روحها تحرسك من السماء كما أخبرتك.

- هل يعني هذا أنني سأتمكن من رؤيتها ومعانقتها كما أعانق ميمي؟؟

سؤاله ذاك ضرب وترًا حساسًا بداخلي فلم أعرف بما أجيبه، كيف أخبره أن من يمت لا نتمكن من معانقته إلى الأبد؟

آسف ملاكي لن نتمكن من معانقتها ولكن يمكننا التحدث إليها وهي سوف تستمع لنا وتراقبنا من السماء كما اعتادت فهي ملاكنا الحارس، أخفض وجهه مع عبوس واضح فهو تحمس لملاقاة والدته ولكني أضعت حلمه الكبير فليس بيدي شيء

- حسنًا بابا لنذهب فأنا أملك الكثير أود إخبارها به

ما رأيك بشراء بعض الزهور لنهديها لماما؟

- موافق لتكن الخزامى كالتي بمنزلنا لتساعد ماما على الاسترخاء كما تخبرني ميمي

حسنًا بني هيا بنا..

اشترينا الخزامى كما إقترح سام وذهبنا، في طريقنا للمقبرة وكل ما جال ببالي والسؤال الوحيد الذي راودني كيف سيكون رد فعل سام؟

أتمنى ألا يصيبه الخوف من هذا المكان، مهما كان صغير فالمقابر والموت لهما رهبة ولكنه ذاهب لرؤية والدته والتحدث إليها.

وصلنا إلى المقابر وإلى المكان حيث يختبئ جسد حبيبتي ورفيقة دربي وأم ملاكي "روزا"

بمجرد وقوفي أمام قبرها استطعت الشعور بريحها وعبيرها، كلماتها وابتسامتها داعبت مسامعي، آه يا روزا اشتقت لكِ حد الهلاك، سام كان يراقب نظراتي بصمت فأنا شردت في قبر حبيبتي ولكني انتبهت لتحركاته الخجولة والمضطربة بجانبي حيث كان يقف وبيده الخزامي

سام صغيري هنا حيث يقيم جسد والدتك الآن تقدم واهدها الزهور، تحدث معها كما ترغب إخبرها بكل ما ترغب به وحينما تنتهي سنغادر ونذهب لجدتك .

تحرك سام ببطء ووضع الزهور على شاهد القبر بينما يلوح لصورة والدته التي تزينه وبدأ الحديث يحكي لها عن كل ما يتذكره وكل ما يجول بخاطره بينما أنا شارد في ذكرياتي معها وكل ما حدث بيننا، أول لقاء لنا أول إعتراف بالحب أول قبلة، زفافنا وسهرتنا ليلًا برفقة الموسيقى والكتب، أيام حملها بملاكي وتجهيز منزلنا ، جميعها مرت بداخلي عقلي وكأنها حدثت بالأمس، كنت أشعر بالثقل في قلبي أرغب بالبكاء

والنحيب حتى ينقطع صوتي ولكني متماسك حتى النهاية كي لا يفزع طفلي الصغير الذي يحادث والدته ببهجةٍ كبيرة.

ساعة ونصف انقضت بنا في هذا المكان الموحش الذي يسكنه أحباء وأبناء لأناسٍ فقدوهم، غادرنا متجهين نحو منزل جدي سام اللذان ينتظرانه بلهفة.

وصلنا لمنزلهم المليء بعبق روزا وصورها فهو معقل ذكرياتها منذ وُلدت، عناق والدتها لي كان دافئًا حنونًا كعناق أمي، انشغل سام مع جده بينما يقص عليه ذكريات خاصة بوالدته بينما يشاهد صورها منذ الطفولة.

- بني هل بإمكاني التحدث معك قليلًا

بالطبع أمي

- حسنًا لنجلس بغرفة روزا حتى يحين موعد الغداء

ذهبت معها كما طلبت برغم صعوبة الأمر علي بتواجدي بداخل غرفة زوجتي الراحلة ولكني لم أستطع رفض طلبها.

- ليل عزيزي كيف حالك؟ هل أنت بخير؟

سألتني بينما كفي الأيمن كان بين يديها تربت عليه بحب، أنا بخير أمي لا تقلقي وهناك ما أود إخبارك به أيضًا قولت جملتي بتردد كبير

- ما بك صغيري إخبرني لا تتردد

أنا آسف أمي آسف لهروبي وترككم بهذه الأنانية، آسف لحرمانكم من سام بهذا التهور آسف، لم أتمالك نفسي فبكيت بكيت بشدة فالأمر بجملته أكبر من طاقتي وقوتي، بكيت وعانقتني هي بشدة تربت على ظهري وتمسح على كفي.

- لا تعتذر صغيري أعلم جيدًا ما مررت به من حزن وخوف، لن أنكر أن بعد سام عني آلم قلبي ولكنه كان بخير ونمى بخير هذا كل ما يهمني، لا تبكي صغيري وتحمل قلبك أكثر مما يستطيع.

كفكفت دموعي بيدها وابتسامة حنونة تعلو وجهها رغم تلك الدموع المنسابة على وجنتيها، مرَّ القليل من الوقت حتى تماسكت مرة أخرى فأنا أشعر بأنها تود الحديث وأنا كلي آذانٌ صاغية لها.

- هل صغيري سام كان سعيدًا هناك في تلك البلاد البعيدة؟

نعم فهو يملك بعض الأصدقاء كما تعلمين، أيضًا يقضي الكثير من الوقت في الحديقة القريبة والرسم والتلوين.

- نعم بني أنا أعلم فهو يقص علي مغامراته دائمًا.

تحمحمت يبدو أن هناك ما تود إخباري به ولكنها مترددة كثيرًا، ما بكِ أمي تحدثي كما تريدين أنا أستمع.

- كيف حال غيمة؟ هل هي جيدة مع سام كما يخبرنا؟

أجل لا تقلقي هي تعامله جيدًا فهي أصبحت صديقتنا المقربة منذ تعرفنا عليها وللحق هي تحب سام كثيرًا وتقوم بتدليله دائمًا.

- أتعلم هي تشبهه كثيرًا غيمة تشبه سام للغاية وكأنها والدته.

جملتها تلك أحيت ذكرى المرة الأولى لي لرؤية غيمة فهي حقًا تشبه سام كنت أصفها دائمًا بذلك، أجل هي تشبهه وتعامله بحب فهي لا تملك أحدًا كما تعلمين.

كلماتها التالية وقعت على مسامعي كالصاعقة فهي فاجأتني لم أتوقع أبدًا أن تقول تلك الكلمات.....

- هل تحبها يا ليل؟

م..ماذا؟

- أتحبها؟ بني اطمئن أنا لا أقوم باستجوابك أو لومك على شيء على العكس أنا أدعم ذلك فهي فتاة لطيفة تعامل حفيدي بلطف وتحبه كما لو أنها والدته، هو صغير يحتاج إلى أم وأنت ما زلت شابًا في مقتبل العمر تحتاج إلى زوجة، ينبغي عليك تأسيس أسرة والعيش في استقرار، كما أنني أرغب في المزيد من الأحفاد.

أمي كلماتي قطعت من قبل سام المتحمس

- جدتي أنا جائع

- آوه صغيري جائع يا إلهي تعال برفقتي لنحضر الغداء فقد أعددت لك الكثير من الأصناف اللذيذة.

أخذت سام بيدها وغادرت الغرفة تاركةً إياي تائهًا بين إجابة سؤالها وبين أطلال ذكريات زوجتي في غرفتها.

تناولنا الطعام وقضينا الكثير من الوقت بمنزل روزا حتى أظلمت السماء وأصاب سام النعاس، قررت تركه الليلة لينام بين أحضان جديه، وأثناء مغادرتي ووداعي لوالدة روزا قررت الإجابة على سؤالها، فأنا بحاجة سماع تلك الإجابة أيضًا..

أمي الإجابة هي أجل..... أنا أحب غيمة.

(٣)

ليل

لا أعلم هل ما فعلته كان الصواب بإجابتي تلك أم لا؟! فأنا لم أعترف بذلك لغيمة نفسها ولكني بوحت به لوالدة روزا!!

عدت لمنزل والداي ووجدته بانتظاري تحدثنا قليلًا واستأذنته حتى أنام كما أنني أرغب في محادثة غيمة قليلًا أود أن أقص عليها ما حدث.....

غيمة اشتقت لكِ

- أنا أيضًا اشتقت لكم، لمَ لم يحادثني سام اليوم؟

أعتذر هو في منزل جدته بالتأكيد سيتحدث إليكِ صباحًا، ثم ما هذا أعتقد أنك تحبين سام أكثر مني

ـ ماذا تقول بالطبع أحب ملاكي أكثر منك.

قالتها بضحكتها المميزة

ـ ألم تنم بعد؟ الوقت متأخر عندك

غيمة هل عنيتي ما ختمتي به حديثك البارحة؟ قاطعت حديثها بسؤالي، ترددت في البداية ولكنها لم تنكر بل أماءت لي بخجل، بالأساس نحن نعلم عن مشاعرنا ولكننا لم نعترف لبعضنا البعض بشكل علني بعد.

غيمة أنا أيضًا ... أنا أيضًا أحبك كنت أتمنى أن يكون إعترافي لكِ وجهًا لوجه ولكن أعدك سأعوضك ذلك.

لم تُجب بل ابتسمت في هدوء، قصيت عليها ما حدث بيومي لم أخبرها بالحديث الذي دار بيني وبين والدة روزا برغم أن اتصالي بها من الأساس كان لهذا الغرض ولكني تراجعت، انهيت الاتصال ونمت أخيرًا بعد يومٍ طويلٍ للغاية أثقل كاهلي.

غيمة

لا أعرف لمَ أخبرت ليل بهاته الكلمات الآن لمَ صرحت بحبي له؟! ربما أردت التخفيف عنه وطمأنته! لا أعلم فالكلمات خرجت من فمي دون تفكير.

مرّ يومان فقط على رحيلهما ولكنهما مرَّ ثقالٍ للغاية فقد اشتقت لهما، اشتقت للمسات سام وتحركاته حولي، اشتقت للجلوس بجوار ليل بينما نتحدث ونحتسي قهوتنا، هما كان الإضافة الرائعة التي أرسلها الرب لتلون حياتي والآن هما بعيدان للغاية ولكن الشكر للتكنولوجيا فهي تسمح لي برؤيتهم ومحادثتهم.

مدرسة الموسيقى أوشكت على الانتهاء فلم يتبقى من تجهيزها سوى القليل، لا أعلم متى سأفتتحها بعد كنت أود افتتاحها وهما بجواري لكني لا أطيق الانتظار أكثر خاصةً وموعد عودتهم غير معلوم بعد.

في اليوم التالي وصلني اتصال من رقم غير معلوم بالنسبة لي ولكنه رقم يحمل ذات الرقم الخاص بدولة ليل لذا أجبت ولكن ما وصلني كان صوت سيدةٍ لم اسمعه من قبل.....

- مرحبًا آنسة غيمة.

مرحبًا .. مع من أتحدث؟

- أنا جدة سام والدة روزا.

بمجرد سماعي لتلك الكلمات نبض قلبي بعنف وكدت أختنق بهوائي، قدماي لم تعد تستطيع حملي لذا ارتميت بثقلي على الأريكة جواري لا أعلم ماذا ينبغي علي قوله أو فعله!!

- آسفة ربما اتصلت في وقتٍ خاطئ.

لا لا أبدًا أهلاً بك، أعتذر أنا فقط تفاجأت.

- لا عليكِ، سام كان بمنزلنا منذ البارحة ومنذ استيقظ صباحًا وهو يرغب بمحادثتك لذا قررت الاتصال بكِ حتى يخبرك بكل ما يريد فهو على ما يبدو اشتاق لكِ كثيرًا.

صغيري اشتقت له أيضًا، شكرًا لكِ على تركه يحادثني.

- أبدًا يا ابنتي أنا من علي شكرك على معاملتك اللطيفة لحفيدي ولـليل أيضًا، أتمنى مقابلتك قريبًا وشكرك بشكل شخصي.

العفو سيدتي أنا لم أفعل شيء

- على العكس صغيرتي فقد اعتنيتي بحفيدي وعوضتيه حنان والدته، ليل أخبرني بكل شيء وبحسن معاملتك لهما، لا يوجد كلمات شكر تكفيك حقك عزيزتي، أتمنى أن تكوني ابنتي عمًا قريب والآن سأعطي الهاتف لسام فهو يأن حتى يحادثك وداع مؤقت صغيرتي كوني بخير.

كلماتها تلك جعلت الدماء تدفق بعروقي بغزارة فأنا لم أفهم معنى ما قالته أو ربما أنا سمعت بشكلٍ خاطئ، أنا لم أستطع الرد عليها من الأساس فقد شردت بعيدًا بسبب كلماتها تلك ولم يخرجني من شرودي سوى صراخ سام باسمي

- ميمييييييي هناك الكثير يجب أن أخبرك به..

سام

غادرنا منزلنا سريعًا فجدتي مريضة كما أخبرني بابا، ميمي كانت تعانقني بقوة أعلم هي سوف تشتاق لي، أنا أيضًا سوف أشتاق لعناقها وقبلاتها ولكعكة التوت الأزرق، كما سأشتاق لرالف وأصدقائي بالروضة، ولكن بابا أخبرني أن بقائنا بعيدًا لن يطول.

الطائرة كانت مخيفة ولكن حماسي الشديد لمقابلة أجدادي أذهب خوفي بعيدًا، في وقتٍ ما غفوت لفترة واستيقظت ولم نصل بعد، بابا كان يبدو متوترًا للغاية ربما هو اشتاق لغيمة كما اشتقت لها أنا.

وصلنا أخيرًا وجدي كان في انتظارنا، هذه المرة الأولى لي برؤيته فقد غادرنا منذ كنت طفلاً صغيرًا، حسنًا أنا ما زلت طفل ولكني كنت صغير للغاية، عناق جدي لنا كان مريح ودافئ للغاية فقد حصلت على الكثير من القبلات اللطيفة.

جدي لا يشبه بابا أبدًا بابا يشبه جدتي أكثر ولكن جدي جميل أيضًا، لا أعلم لما سرحت في وجهي أنا فأنا لا أشبههم أنا أشبه ماما روزا وأشبه ميمي أيضًا ولكن هذا سر لا تخبروا أحدًا.

وصلنا منزل جدي هو لطيف للغاية كما كنت أراه من خلال الهاتف، بابا كان مجهدًا بشكل واضح ولكني كنت نشيط للغاية فقد نمت كثيرًا بالطائرة، جدتي ليست بالمنزل هي بالمشفى

فهي مريضة كما أخبرنا جدي، تناولنا الطعام وبعدها وصلا جدي وجدتي والدا ماما، جدتي عانقتني كثيرًا وجدي قبلني كثيرًا حتى خدش شارباه وجنتاي ولكني لا أمانع فهو يحبني كثيرًا، كان هناك الكثير من الدموع ولكن ميمي أخبرتني ذات يوم أن الدموع غالبًا تكون بسبب الحب والاشتياق يبدو أنهم جميعًا اشتاقوا لي ولبابا أيضًا.

في تلك الليلة لم أتحدث مع غيمة كثيرًا كما نمت بجوار جدي للمرة الأولى، نمت بسلام فهو كان يغمرني بعناقٍ دافئ، في الصباح ذهبنا لجدتي والتي قابلتني بنفس الطريقة العناق والقبلات ولكن بابا كان يبكي أعتقد هو اشتاق لوالدته كثيرًا.

كنت سعيدًا للغاية بوجودي بينهم ولكن بابا أخبرني أننا ذاهبان لمكانٍ ما، ملامحه كانت حزينة لا أعلم السبب

كنت فضولي تجاه المكان المتجهان إليه والذي علمت بعد ذلك أننا ذاهبان لماما أو أين يرقد جسدها كما قال لي بابا، قمنا بشراء زهور الخزامى الجميلة وذهبنا لهذا المكان.

كنت خائفًا قليلًا ولكن بابا طلب مني وضع الزهور أمام صورة ماما والتحدث معها كما أريد، كنت مضطربًا في البداية ولكن بعد وقتٍ قليل بدأت الحديث.....

" مرحبًا ماما.. كيف حالك في الجنة؟ اشتقت لكِ فأنا كل يوم أقبل صورتك حيث أخبرني بابا أنكِ تراقبينني من السماء وتصلك قبلاتي فأنتِ ملاكي الحارس

أتعلمين بعد عدة أسابيع سأكمل عامي الخامس لقد كبرت كثيرًا

كما أنني أذهب للروضة منذ عدة أشهر أنا وصديقي رالف أنتِ رأيتيه معي بالتأكيد أليس كذلك؟

أتعلمين ميمي يا ماما؟ هي لطيفة أنا أحبها كثيرًا فهي تعاملني بلطفٍ وحنانٍ بالغ دائمًا ما تعانقني وتعطيني الطعام والهدايا هي حتى تتشاجر مع بابا لأجلي، ميمي تذكرني بكِ هي تحبني مثل حبك، أنا لا أعلم معنى كلمة ماما أو كيف تكون هي الأم لكن أعتقد أن هاته الكلمات تصف غيمة الجميلة التي تحب سام كثيرًا.

هي تحب بابا أيضًا وتعامله بذات اللطف، أتعلمين بابا كان يبكي في كثير من الأيام ولكن منذ معرفتنا بغيمة وهو لم يعد يبكي كالسابق، أنا أشتاق لها وأرغب في البقاء معها إلى الأبد.

البارحة رأيت جدي وجدتي لقد عانقوني كثيرًا، ماما كيف تحملتِ شارب والدك إنه يدغدغ، ضحكت بشدة عندما تذكرت شارب جدي.

ماما أرجوكِ لا تغضبي مني لأنني أحب ميمي أرجو أن تقبلي أن أعيش معها للأبد، جدتي مريضة وستجري جراحة أتمنى أن تشفى حتى لا يحزن بابا."

كنت أتحدث بصوتٍ خفيض حتى لا يسمع بابا أسراري، وبعد وقت طلب مني بابا الرحيل الآن فنحن ذاهبان لمنزل جدتي.

وصلنا لمنزل جدتي هو كبير للغاية وهناك الكثير من الصور

لماما منذ كانت صغيرة، بابا ذهب مع جدتي وأنا بقيت مع جدي أشاهد صور ماما، هي كانت جميلة للغاية ابتسامتها تشبه ابتسامة ميمي، لا أعلم هل تشبهها فعلاً أم لأنني اشتاق لميمي أراها في صور أمي؟!

مرَّ الوقت سريعًا وشعرت بالجوع تناولت الكثير من الطعام اللذيذ، جدتي طلبت من بابا أن أبقى معها الليلة وهو وافق، ودعني وغادر وأنا قضيت باقي اليوم برفقة جداي اللذان كانا يحكيان لي عن أمي.

اشتقت لكعكة التوت الأزرق وطلبتها من جدتي، ساعدتها في صنعها لقد أحدثنا الكثير من الفوضى والضجيج وجدي قام بتوبيخنا ولكننا ضحكنا أكثر عندما تعثر بقشور البيض على الأرض ووقع.

الكعكة كانت لذيذة ولكنها ليست ذاتها التي تعدها لي ميمي، آه ميمي لقد اشتقت لها لم أحادثها اليوم أتمنى ألا تبكي هي أيضًا بسبب ذلك.

بعد الكثير من اللعب جاء وقت النوم حيث غفوت بين أحضان جداي، اليوم والبارحة أيقنت مقصد رالف عندما كان يخبرني بأن جدتهم أفضل جدة في العالم فالشعور بجوار أجدادي لا يضاهيه أي شعورًا آخر.

في الصباح استيقظت على قبلات جدتي اللطيفة التي كانت تحادثني بصوتٍ هامس ورقيق

- سام صغيري هيا إنه الصباح حان وقت الاستيقاظ

جدتي أرغب في النوم

- ألم تكتفي من النوم بعد صغيري؟

لا تفوهت بها بينما أرتمي بين أحضان جدتي الدافئة، عانقتني جدتي لفترة طويلة حتى ذهب نعاسي واستيقظت، غسلت وجهي وأسناني وبينما نتناول الإفطار ازداد عبوسي فقد اشتقت لغيمة.

جدتي ألا يمكنني مكالمة ميمي فقد اشتقت لها؟

- بالطبع يمكنك صغيري ولكني لا أعرف رقمها

أنا أعرفه جدتي، هتفت بجملتي في سعادة فأنا وأخيرًا سأحادث ميمي، جدتي تحدثت معها في البداية ثم أعطتني الهاتف لأحادثها بسعادةٍ تامة

(٤)

غيمة

سام كان يتحدث لي بلهفةٍ واضحةٍ وشغفٍ كبير، كنت أنصت له باهتمامٍ بالغ، حكى لي عن زيارته لقبر والدته وعن حديثه لها عني وقتها لم أتدارك دموعي فكلام ملاكي عني كبير للغاية فهو أخبر والدته كم يحبني وطلب منها ألا تستاء، كان يقص علي كل ما حدث ببراءةٍ كبيرة وعفوية الأطفال لا يعلم أن ما يقوله يُرهق قلبي المُتعب.

تحدثنا كثيرًا أخبرني عن أجداده وعن الكعكة التي صنعوها بالأمس، كان يروي لي كل ما حدث بأدق التفاصيل بينما أنا شاردة في وجهه وتعبيراته الجميلة وطريقة حديثه عبوسه وابتسامته، آه فقد اشتاقت لملاكي كثيرًا.

وصل ليل لأخذ سام واضطررنا أن ننهي المكالمة والتي ختمتها جدة سام بوداعي بابتسامةٍ واسعة، للحق لقد شعرت بالخوف والقلق عندما حادثتني ولكن كلماتها كانت لطيفة ومطمئنة كما أن ابتسامتها ودودة للغاية.

****

أيامي بلا ليل وسام كانت مملة للغاية، حاولت إشغال نفسي بتعديلات المدرسة والخروج أحيانًا برفقة السيدة مادلين وأبناءها خاصةً رالف فهو يحبني كثيرًا، كنا نجتمع في الحديقة في بعض الأحيان.

تم تحديد موعد جراحة والدة ليل بعد أسبوعان من وصولهما للوطن، أتمنى أن تمر الجراحة بسلام وتشفى سريعًا، أنا أيضًا قررت تأجيل افتتاح مدرسة الموسيقى لفترة حتى تجري السيدة بيترا والدة ليل جراحتها ونطمئن عليها، كنت بداخلي أتمنى أن يعودا سريعًا عقب الجراحة حتى يكونا برفقتي أثناء يومي الهام، ربما يراها البعض أنانيةً مني ولكن لا أحد مرَّ بما مررت به لا أحد يعرف شعور الفقد بعد الامتلاء.

****

كنا نتحدث على الهاتف بشكل شبه يومي بالطبع في بعض الأيام كانت المكالمة تصل لأقل من دقيقة بسبب إنشغالهم ولكن يكفيني أنني اطمئن عليهم.

كنت جالسة أمام نافذتي أحتسي فنجانًا من الشاي واقرأ كتابٌ ما، كنا وقت الظهيرة ولا نية لدي في الخروج حينها سمعت صوت جرس المنزل!!

من يدق علي بابي فلا أحد يزورني سواهم وهما ليسا هنا؟؟

فتحت الباب وكانت السيدة مادلين وبرفقتها رالف

- آنسة غيمة أعتذر عن القدوم بدون موعد ولكنها حالةً طارئة.

لا عليكِ سيدتي ما الخطب لما ترتجفين ووجهك شاحبٌ هكذا؟ فهي كانت في حالة مبعثرة أصابتني بالقلق

- إنهما بيتر وليا لقد حادثتني مدرستهما فهما أُصيبا بتسممٍ غذائي، آنسة غيمة هل بإمكاني ترك رالف معكِ لعدة ساعات فلابد لي من الذهاب للمشفى ولا أرغب بجعله يركض برفقتي هنا وهناك

بالطبع سيدة مادلين ليبقى معي اليوم، سأهاتفك لأطمئن على حالة الأطفال أرجو لهما الشفاء، هي فقط ركضت مسرعة كان الله في عونها فأطفالها مصابين، تمسك رالف بكفي ودلف معي للداخل هو طفل هادئ للغاية.

رالف عزيزي هل أنت بخير؟

- نعم ميمي بخير ولكني قلق على إخوتي

لا تقلق عزيزي هما قويان سيكونان بخير قريبًا، ما أن أنهيت جملتي حتى ارتمى في أحضاني بعناق ضيق وعبوس لطيف على وجهه هو بالطبع خائف، ربت على ظهره محاولةً مني في طمأنته.

حبيبي الصغير لا تقلق ولا تحزن بعد قليل سنهاتف ماما لنطمأن عليهما والآن ما رأيك بشرب القليل من عصير البرتقال ولنفعل ما ترغب في فعله، اماء لي بحماس فكما أخبرتكم هو هادئ للغاية بعكس سام وذلك ما يثير دهشتي رغم تضاد شخصياتهم إلا إنهما أعز أصدقاء.

قضينا الوقت نعد طعام الغداء و كعك الرمان الذي طلبه مني رالف على استحياء فقد صنعتها له هو وسام من قبل وأعجبته كثيرًا، مرَّ أكثر من ساعتين لذا قررت الاتصال بالسيدة مادلين للإطمئنان على الأطفال.

سيدة مادلين ما الأخبار هل الأطفال بخير الآن؟

- نعم حمدًا لله الأطفال بالمدرسة حصلوا على طعام غير صالح تسبب في تسمم جماعي ولكنهم بخير الآن هما تحت الرعاية الطبية يحصلون على مغذيات وبعض الأمصال.

حمدا لله على سلامتهم، رالف يود محادثتك، تحدث رالف مع والدته فهو خائف على اخوته وأنهى المكالمة بهدوء.

والآن سيد رالف هل نأكل لابد وأنك جائع، تناولنا الطعام وتركته يلون بعض الرسوم في كتاب تلوين تركه سام في منزلي وبعد القليل من الوقت نام بجواري على الأريكة فحملته للداخل وأكملت قراءة كتابي.

بعد ساعة ربما استيقظ رالف وآتى لجانبي أخذته لحضني فهو ربما نصف نائم كما أن الحزن واضح على وجهه

ما بك صغيري؟

- رأيت حلمًا سيء

قالها بعبوس كبير ودمعة تمردت على وجنته جعلتني أشدد من عناقه، لا تقلق عزيزي هو مجرد كابوس أنت بخير وإخوتك أيضًا لم أنهِ جملتي حتى دق جرس الباب فقد وصلت السيدة مادلين لأخذ رالف وملامح الإرهاق بادية على وجهها وبشدة.....

سيدة مادلين تفضلي كيف حال الأولاد الآن؟

- بخير لقد أخذتهم للمنزل منذ قليل وجئت الآن لأخذ رالف، أعتذر عن إزعاجك اليوم آنسة غيمة.

لا يوجد أي إزعاج رالف فتًا هادئ وكان رفيق رائع لليوم

- ماما هل يمكنني البقاء مع ميمي الليلة؟

- لا صغيري لقد أزعجناها بما يكفي لليوم، أيضًا ألا ترغب في رؤية إخوتك؟

- ماماااااا!

قالها وارتمى علي يتمسك بي بقبضتيه الصغيرة ما جعلني أضحك بخفة، لا تقلقي على إزعاجي سيدة مادلين أنت تبدين مرهقة بما يكفي للاعتناء بالصغار يمكنك ترك رالف لي الليلة كما أنه يبدو نعس وسوف ينام سريعًا.

- ماما وافقي أرجوكِ

تنهدت السيدة مادلين بيأس

- حسنًا صغيري موافقة ولكن لا تزعج ميمي اتفقنا؟

- بالطبع ماما

رالف عانق والدته وقبل وجنتيها وودعناها بينما هو متعلق برقبتي بحبٍ بالغ، غادرت السيدة مادلين وقضيت أنا ورالف ليلتنا باللعب ومشاهدة الرسوم المتحركة حتى غفى رالف، كان نائمًا بهدوء بحجمه الضئيل يذكرني كثيرًا بسام، عانقته بقوة ونمت جواره.

تلك الليلة كانت أول ليلة أغفو بها هانئة منذ غادر سام وليل.....

في الصياح أخذت رالف للمنزل حتى اطمأن على إخوته وبعدها غادرت لاستكمال ترتيبات المدرسة، وليلاً تحادثت أنا وليل والذي كان متوتر للغاية فجراحة والدته بالغد .. أمل أن تمر بخيرٍ وسلام.

ليل

مرَّ أسبوعان على وجودي في الوطن، غدًا جراحة والدتي وأنا متوتر للغاية رغم حديث الطبيب الواثق من نجاح الجراحة بنسبة كبيرة ولكنني قلق ومتوتر، سام سيبقى الليلة في منزل جديه والدا روزا فأنا سأكون مشغول بالغد ولا أريد إرهاقه بالجلوس في المشفى هو صغير على ذلك.

في المساء هاتفت غيمة فهي تستطيع مساعدتي في تهدأت توتري وخوفي، تحدثت معها كثيرًا حتى غفوت دون أن أشعر وفي الصباح استيقظت على مكالمة غيمة لتوقظني حتى أذهب للمشفى، والدي كان بالمشفى منذ البارحة لم يرغب بترك أمي بمفردها، ذهبت لهما على عجل وكانت والدتي تستعد لدخول جراحتها عانقتها وتركتها تحادث سام وغيمة ثم ذهبت لغرفة الجراحة.

أبي كان مذعورًا وبشدة فهي رفيقة العمر بالنسبة له وليس زوجته فقط، طالت جراحة أمي لعدة ساعات وصلني فيها العديد من المكالمات والرسائل من غيمة وسام وجديه أيضًا، الجميع قلق وأنا خوفي بلغ أعلى مستوى، خائف من ألم الفقد مرةً أخرى لا أريد أن يغادرني أحد من حولي ثانيةً لا أريد.

خوفي البالغ رسخ فكرة البقاء بعقلي أكثر، لا أرغب بمغادرة

أهلي والبعد عنهم مرة أخرى ولكني لا أستطيع الابتعاد عن غيمة أيضًا.

أخيرًا خرجت أمي من الغرفة خاصة الجراحة بعد ساعاتٍ طويلة من الانتظار المرهق، طمأنا الطبيب بنجاح الجراحة ولكنها ستبقى في المشفى لفترة حتى تسترد عافيتها ونتأكد من أن كل شيء بخير.

لم أتمالك دموع السعادة لما سمعت من الطبيب، عانقني أبي عناقًا ضيقًا وقوي وكأنه يرمي به جميع الطاقة السلبية التي كان يحملها بقلبه خوفًا على أمي، انقضت الليلة علينا ببطءٍ شديد ونحن في انتظار أمي أن تستعيد وعيها، وفي الصباح أفاقت أمي أخيرًا بعدما زال تأثير المخدر عنها، بالطبع لم يسمح لنا الطبيب برؤيتها أو الجلوس معها ولكننا رأيناها من خلف زجاج غرفة الرعاية الفائقة.

بعد أربعة أيام سمح لنا الطبيب برؤيتها لمدة خمس دقائق، المدة كانت قليلة ولكن أفضل من لا شيء فهي ستظل بالمشفى لمدة قد تصل إلى الأربعة أسابيع ربما أو أكثر، في الفترة المنصرمة أهملت سام وغيمة كثيرًا فجل تركيزي كان على والدتي ووالدي فهما بحاجتي وبشدة.

****

مرَّ أسبوع منذ أجرت أمي جراحتها وقررت أخذ سام للمنزل لقضاء القليل من الوقت معًا فقد أهملته كثيرًا وأول ما فعلناه كان مكالمة طويلة للغاية مع غيمة، فقد اشتقنا لها كثيرًا ولكني لا أعلم ما بها تبدو منطفأة للغاية وجهها شاحب حتى نبرتها كانت حزينة بعض الشيء، يبدو أن غيابنا وإهمالي لمحادثتها أثر بها بشكلٍ كبير، ولكن أخر حديثها فاجئني كثيرًا وأسعدني للغاية رغم المرارة التي قالتها بها إلا أنني سعيدٌ للغاية..

- ليل سأفتتح مدرسة الموسيقى بالأسبوع القادم.

(٥)

غيمة

بعدما تأكدت من خروج والدة ليل بخير من جراحتها قررت افتتاح مدرسة الموسيقى فيبدو أن ليل وسام لن يعودا في القريب وقد ضاق قلبي من التأجيل أرغب بشيء يشغلني عن وحدتي ويملأ فراغ قلبي فكدت أنفجر ضجرًا بمفردي هنا.

خلال الأسبوع المنصرم منذ خروج السيدة بيترا من الجراحة لم أتحدث مع ليل سوى لبضع ثوان، اشتقت لهما كثيرًا سام كان يحادثني في بعض الأوقات ولكنها ليست بالكثير أيضًا فجدته السيدة روزالين كانت تأخذه خارج المنزل للعب والتنزه أغلب الأوقات وعندما يعود يكون نعس للغاية يحادثني قليلاً ويغفو بينما نتحدث.

بالأمس حادثني ليل لفترة وصلت للنصف ساعة لأول مرة منذ فترة تطول مكالمتنا هكذا، تحدثنا كثيرًا في مواضيع أغلبها عادية للغاية وفي نهاية حديثنا أخبرته أني سأفتتح المدرسة بالأسبوع القادم، لا أعلم لمَ فعلت ذلك فهو موعد مرتجل تمامًا

لم أحدده من قبل أو حتى فكرت به وكل ما حصلت عليه منه هو همهمة موافقة وكلمتين "مبارك لكِ"

إجابته الباردة جعلتني أرغب في صفع وجهه بهاتفي ولكني هدأت من نفسي فهو يمر بظرفٍ قاس ومرهق لذا التزمت الصمت، صمت رغم رغبتي بقول ما يدور بعقلي، ودت لو أخبرته أنني بحاجته جواري، كم تمنيت وجودهم معي في يومي الهام لتشجيعي والشد من أذري ولكن كل ما أتمناه صعبًا للغاية فهما في النصف الأخر من الكرة الأرضية بل وإلى جانب عائلته التي بحاجته أكثر مني.

أنهيت المكالمة ولا أعرف ماذا حدث لي! فقد أصابني النفور من العلم أجمع وكأن الهواء من حولي أصبح أشواكًا تنخر عظامي، فلو لم أمنع نفسي لكنت حطمت منزلي بالكامل، طاقة من الغضب والخوف تجتاح قلبي الضعيف ولا حيلة لي أو قدرة بالسيطرة عليها.

مرَّ اليوم ولم أنم للحظةٍ واحدة أو حتى أتناول طعامي، وكأنني أعاقب نفسي على ارتكاب ذنبٍ لا أعلمه، في صباح اليوم التالي راسلت ليل وغادرت المنزل وقد قررت تجاهل ليل وسام لليوم لا أعلم لمَ اتخذت قرارًا مثل هذا القرار التعسفي برأي ولكن هناك شيءٌ ما بداخلي يخبرني أن غيابهم عني سيطول وأغدو وحيدةً مرة أخرى، لذا يمكنك القول أن قراري هذا كان هجوم مضاد ضد نفسي ربما.....

****

مرَّ الأسبوع سريعًا وغدًا افتتاح مدرستي مدرسة "الملاك الحارس" للبيانو والموسيقى، حماسي بلغ ذروته فقلبي يكاد يغادر جسدي من شدة حماسته، سام وعدني هو سوف يهاتفني أثناء الإفتتاح حتى يكن بجانبي رغم فارق التوقيت ولكنه جهز ملابسه حتى يشاركني بكامل حلته.

ارتديت ثوبي الأرجواني وتعطرت بالياسمين ألتقط لنفسي صورةً ذاتية شاركتها مع سام وليل وغادرت المنزل ذاهبة لمدرستي وملاذي وملاكي الحارس، وصلت وبعد القليل من الوقت وصلت السيدة مادلين وزوجها وصغارها الثلاث السيدة كيارا وحفيديها ، السيد كلاريس والسيدة آرييننا واللذان وبالمناسبة صنعا لي جميع مأكولات الافتتاح من المخبوزات

الشهية، إلى جانب العديد من الأسر الذين تعرفت عليهم من روضة سام، الجميع هنا ما عدا صغيري ومحبوبي عدم وجودهم كان كالغصة بحلقي ولكني حاولت تجاهل ذلك حتى يمر اليوم على خير.

الأجواء لطيفة الصغار سعيدين بالمكان فهو مناسب لهم يطل على الحديقة الرئيسية للحي، كما يملك حديقة صغيرة وضعت بها بعض الألعاب التي يمكنهم التمتع بها بعد الدروس، والنوافذ ضخمة تسمح للشمس والهواء النقي بالمرور كما وضعت العديد من الزرعات والأزهار المتنوعة والتي جعلت للمكان رائحةً جميلة ومنظرًا بهي.

رالف كان ملتصقًا بي بينما كان سام يحادثني بسعادةٍ بالغة، ليل أيضًا هنأني ولكن بكلماتٍ شحيحة لا أعلم ما به ولكن لا يهم هو بين عائلته وذويه بينما أنا هنا وحيدة بمفردي لا أملك سوى رالف الصغير الذي أهداني العشرات من القبل بمناسبة افتتاح المدرسة.

******

اليوم مر بسلام وعدت للمنزل منهكة فقد وقفت كثيرًا اليوم وركضت هنا وهناك برفقة الأولاد، فقد أتاني الكثير من الطلبة وهذا لم أكن أتوقعه في الحقيقة، فقد التحق سبعةً وخمسون طالبًا بمدرستي لتعليم البيانو، هم كانوا أغلبهم من رفقاء سام

بالروضة والذين غالبًا ما شاركوني العزف في أيام الخميس بالروضة بجانب بعضًا من أقاربهم وأخوانهم وبالطبع رالف واخوته بالإضافة لأقربائهم القريبين منهم في العمر.

الرقم كان كبيرًا للغاية لذا قررت تقسيمهم لمجموعات كل مجموعة من سبعة تلاميذ ، الحصة ساعتان مرتان بالأسبوع أعتقد هذا هو أفضل تقسيم، بدلت ثيابي وقررت النوم والراحة فجسدي يأن ألمًا، غفوت سريعًا ولم يوقظني سوى رنين هاتفي بمكالمة من ليل.

اعتدلت بمكاني وتحمحمت في محاولة لطرد النعاس عني وأجبته.....

- كنتِ نائمة أعتذر عن إيقاظك فالوقت باكر ظننتك لم تنامي بعد.

لا عليك أنا فقط كنت مرهقة من أحداث اليوم لذا قررت النوم باكرًا.

- كيف حالك؟

بخير وأنت؟

- اشتقت لكِ

سمعت تلك الكلمة لأتنهد بقوة، ليردف هو ...

- تمنيت لو كنت بجانبك اليوم، ليتني أتيت ولو ليومٍ واحد وعدت مجددًا.

لو أخبرتك لا عليك سأكون كاذبة ليل أنا بالفعل كنت بحاجتك أنت وسام تمنيت وجودكما بجواري ولكن القدر لم يشاء ذلك.

ـ آسف

لا تعتذر الأمر ليس بيدنا، أخبرته ولا أعلم لمَ بكيت؟!! بل وليل ذاته كان يبكي، قضينا ما يقارب من العشرون دقيقة نبكي بهدوء بين الإعتذارات والكلمات الغير مرتبة، أعتقد الوضع بالكامل يفوق طاقة كلينا هو هناك بين عائلته ولكنه قريب من المكان الذي كرهه وبغضه كثيرًا، وأنا هنا وحيدة بمفردي أتجرع ألم الفراق للمرة الثانية ولكنهما وعداني بالعودة أنا أثق في وعدهما.

****

مرت الأيام سريعًا ومر شهرًا كاملًا منذ افتتحت مدرستي، أيامي كانت تمر بشكل روتيني بحت، في الصباح أتناول إفطاري بمقهى السيد كلاريس، في الظهيرة تبدأ دروس الموسيقى، لن أنكر إستمتاعي مع الصغار طوال اليوم بالعزف وتعليمهم ما هم بحاجته من خطوات أولى ليستطيعوا العزف على تلك الآلة الراقية، وأقضي أمسيتي برفقة كتاب أو فلمًا كلاسيكيًا ربما.

كنت أتحدث مع سام وليل بشكل شبه يومي ولكن المكالمات قلت بشكلٍ ملحوظ فليل مشغول مع عائلته طيلة الوقت، لن أنكر أن ذلك آلم قلبي قليلاً لكن لا يمكنني لومه على أية حال لذا فقط يبقى الوضع على ما هو عليه.

ليل

مر شهران ونصف منذ قدومي للوطن ابتعدت كثيرًا عن غيمة فقد طالت فترة بقائي هنا ولكن عائلتي بحاجتي كما أن سام سعيدًا للغاية برفقتهم، والدتي تحسنت كثيرًا وعادت للمنزل، كنت أقضي الكثير من الوقت برفقتها تعويَضا عن شوقي لها في الأعوام السابقة.

يومي فارغًا للغاية فأنا بلا عمل بالطبع لذا أقضيه مع عائلتي وأصدقائي، غيمة إفتتحت مدرستها ويبدو أن عملها ناجحًا للغاية، لقد أهملناها كثيرًا أنا وسام منذ مجيئنا إلى هنا بالطبع لا يمكنني الفخر بذلك ولكن الحياة تجري هنا بشكلٍ مختلف، كل ليلة كنت أفكر بها فبينما أنا هنا بين أحبائي هي هناك وحيدة ولكنها قوية ستعتاد الأمر حتى نعود.

كل هذا الوقت ولم أذهب لمنزلي أنا وروزا ولو لمرةٍ واحدة، كنت خائفًا من زيارته خائف من كل ما به من ذكريات سعيدة وحزينة، من كل ما حدث به فهو يشهد على أيام حبنا وخوفنا وعلى حزني وهلعي وهروبي من ملاكي الصغير لذا كنت أتهرب من زيارته بشتى الطرق فهو مقفل منذ غادرت أنا وسام ولم يدخله أحد هم جميعًا تجنبوا زيارته مثلي تمامًا.

ذات ليلة خالجني شعورًا قويًا بالحنين لمنزلي ولروزا زوجتي الغالية كان الشعور قوي بما يكفي لمنعي من النوم فظللت مستيقظًا طيلة الليل فقط أنظر نحو ملاكي النائم اتأمل ملامحه الجميلة وبمجرد بزوغ الفجر شرعت في ايقاظه فقد إتخذت قراري بالذهاب لمنزلي مهما كلفني الأمر.

استيقظ سام بعد عناء فهو لم يأخذ كفايته من النوم، حملته وغادرت ذاهبًا لمعقل ذكرياتي وحياتي السابقة، كنت أقف أمام الباب ويدي ترتجف بينما ينظر لي سام باستفهام فهو لا يفهم ما يدور هنا، أخذت نفسًا قويًا ثم زفرته بعنف لأفتح الباب وأدلف للداخل.

كل شيء كما هو كما تركته قبل أربعة أعوام، الأثاث مغطى ببعض الملائات والصور تغطيها طبقة رقيقة من الأتربة، بمجرد دخولي لهذا المكان ضربتني عاصفة قوية من المشاعر، كنت أقف بالمنتصف وشريط من الذكريات يمر عبر عقلي وقلبي بينما سام يحدق حوله بهدوء

وقعت عيناي على صورة عائلية لنا في يوم زفافنا أنا وروزا وحولنا أصدقائنا وعائلتينا تلك الصورة أكدت قراري الذي اتخذته في قرارة نفسي قراري بعدم المغادرة مرة ثانية مطلقًا....

(٦)

ليل

نفضت رأسي بعنف بينما أجذب شعري بأطراف أصابعي فأنا أهذي بشكلٍ واضح، وعدتها بالعودة لا يمكنني الإنكاث بوعدي لا يمكنني ترك غيمتي وحيدة لا يمكنني أن أكون بذلك الخبث وأهرب منها، أه يا إلهي ماذا أفعل؟؟

حينما اشتد علي التفكير وازادت المشاعر فتكًا بي قررت إشغال نفسي بالتنظيف، نظرت لسام لأجده متجمدًا بمكانه يحدق بتلك الصورة العائلية هو الأخر وكأنه يرى والدته لأول مرة برغم عشرات الصور التي تملأ شقتنا ولكنه ينظر لها بلهفةٍ وجمود في الوقت ذاته.

لم أصدر أي صوت أو حركة فقط ظللت أراقبه بثبات لعدة دقائق حتى تمسك ببنطالي بلوعة يشد بكفوفه الصغيرة عليه

- بابا أرغب في العودة إلى بيتنا، العودة إلى غيمة أود محادثة ميمي الآن.

كان يقول جملته بتخبطٍ واضح جسده يرتجف لا أعلم ما به!!

سام صغيري ما بك؟ لما ترتجف هكذا؟؟

- لا أعلم بابا فقط إعطني الهاتف لأحادث ميمي أود سماع صوتها.

حسنًا صغيري فقط اهدأ سنحادث ميمي لا تقلق.

سام

ايقظني بابا في وقتٍ يبدو باكرًا للغاية، كان يبدو حزينًا فهو عابس بشدة، ذهبنا إلى منزلٍ أخر لم أره من قبل، بابا لم يبدو كالمعتاد هناك شيئًا به لا أعلم ما هو ولكنه يبدو شيئًا خاص بالكبار ربما هو قلق كما تقول ميمي هل هذا هو القلق الذي تحدثني عنه؟؟

دلفنا للمنزل والذي يبدو مهجورًا فهو مغطى بالكثير من الملائات كما يوجد الكثير من الأتربة، نظري كان معلق على بابا وفقط بابا لا شيء أخر فهو تائه ينظر للفراغ، في ذلك الوقت زارتني الكثير من الأفكار المخيفة هل بابا مريض؟ أم هو فقط حزين؟

ولكن جدتي بخير لمَ الحزن؟؟؟ عندما لم أجد إجابة داخل عقلي قررت النظر حولي، وجدت الكثير من الصور لماما وصور تجمع بابا وماما معًا برفقة بعض الأشخاص الذين لم أرهم من قبل وأخيرًا أدركت ما كان ينظر له بابا.

كانت صورة تجمعه هو وماما وأجدادي والكثير من الأشخاص ماما ترتدي ثوبًا أبيض كالأميرات، جميعهم بدوا سعداء للغاية.....

الصورة جذبت اهتمامي وظللت أنظر لها لمدة كبيرة لدرجة أنني شعرت بهمس ماما حولي لذا فزعت لقد شعرت بالرعب

والهلع لذا تمسكت ببنطال أبي بشدة وكل ما أرغب به الآن هو حضن ميمي وتربيتاتها أرغب بسماع التهويدة التي تغنيها لي دومًا بينما أعانقها حتى أنام أريد ميمي، ميمي وحسب.

أخذت الهاتف وانتظرت سماع صوتها

- صباح الخير ليل

ميمييي انتحبت بشدة فسماع صوتها جعل القشعريرة تسري بجسدي

- ملاكي، ما بك لمَ صوتك يرتجف هكذا؟

ميمي أنا خائف، لم أستطع تمالك دموعي الذي سقطت بشدة مما جعل بابا يهلع ويتمسك بي بشدة.

- ملاكي ماذا حدث؟ هل أنت بمفردك؟

بابا معي ولكني أود سماع صوتك لا تصمتي أبدًا ميمي

- حبيبي لا تؤلم قلبي بنبرتك تلك، هل أحزنك أحدهم هل أغضبك بابا؟

نفيت برأسي رغم أنها لا تراني، حينها اشتد بكائي وعانقني أبي بقوة وجزع واضح، أخذ الهاتف من بين يداي ليحادثها

- غيمة لا أعلم ما به سام هو يبكي بشدة لا أعلم كيف أتصرف؟

- ليل أين أنتم؟ هل رأى كابوسًا ما؟

- نحن بمنزلي القديم وهو مستيقظ بالفعل منذ فترة

- فقط هاتفني بالفيديو واعطه الهاتف

هذا الحديث كان يدور من حولي وأنا فقط أبكي حتى سمعت صوتها، صوت ميمي

- ملاكي انظر لي

ابتعدت عن بابا ونظرت للهاتف وجدتها تنظر نحوي بينما تحاول ألا تبكي هي الأخرى

- سام صغيري هل رأيت حلمًا مخيفًا ماذا حدث لك لتبكي هكذا؟ ها صغيري إخبر ميمي بما تشعر به لا تقلق نحن بجوارك.

لا أعلم ميمي أنا فقط شعرت بالخوف لوهلة ولا أستطيع التوقف عن البكاء غنِ لي أرجوكِ

- الوقت باكر لمَ لا تنام بينما أغني لك التهويدة التي تحبها؟

سألتني وكأنها كانت تقرأ أفكاري، أنا أعلم لا أحد يحبني كحب ميمي فأنا جوهرتها الثمينة كما تخبرني دائمًا، بابا تحرك نحو غرفةٍ ما وعاد بعد دقائق تمسك بيدي وأخذني نحو فراش لم أره من قبل وضعني به ودثرني بالأغطية كل هذا وأنا أنظر نحو ميمي التي تحادثني بلطف وبمجرد أن استلقيت بدأت في غناء تلك التهويدة والتي تغنيها بلغتها هي ولكنها كانت كالنسيم يغلفني بحب كلما سمعتها، غفوت بهدوء وكل ما يشغل عقلي هو ميمي فأنا لا أستطيع العيش بعيدًا عنها.

غيمة

مكالمة سام أربكتني، لا أعلم ماذا أصاب صغيري المبتهج على الدوام هل ربما رؤيته لمنزل والديه السابق؟

ولكن هو يراه لأول مرة لمَ كان بتلك الحالة؟؟ حتى صور والدته فهي تملأ منزلهم هنا، آه يا ملاكي كيف لي الاطمئنان عليك وأنا أبعد عنك آلاف الأميال.

تلك المكالمة حطمت معنوياتي لا أعلم حتى كيف أكملت حصص الموسيقى للأطفال فأنا كنت شاردة متجهمة أغلب الوقت، اعتذرت عن باقي الحصص لليوم وهاتفت أباء التلاميذ أخبرهم بذلك، راسلت ليل كثيرًا كي أطمئن على سام ولكنه ما زال نائمًا مما أثار ريبتي أكثر فهو نائم منذ مدةً طويلة.

الشمس أوشكت على الغروب بينما أجلس في الحديقة الصغيرة الملحقة بمبنى مدرستي ورالف يجلس بحضني بينما ذراعيه تطوق عنقي كعادةٍ اكتسبها منذ مغادرة سام، هذا الصغير يشعر بي وبالفراغ الذي سببه غياب سام عني ويحاول بشتى الطرق تعويضي.

كان أخويه بيتر وليا يلعبان أمامنا وأنا فقط شاردة في ما حدث صباحًا وفي خوف سام الذي أخبرني به، أخرجني من

- ميمي هل يمكنني الذهاب معكِ اليوم لتصنعي لي كعكة التوت فأنا مشتاق لسام كثيرًا هي تذكرني به.

صغيري يشتهي الكعك إذن، أماء لي بابتسامة خجولة لذا قبلته وعانقته بشدة فهو لطيف ورقيق القلب للغاية.

حسنًا لنهاتف ماما ونطلب موافقتها ونأخذك وأخويك للمنزل نصنع الكعك معًا ونقضي بقية اليوم بمنزلي، هتف رالف بحماس لأهاتف السيدة مادلين سريعًا وهي مشكورة وافقت فأنا في أمس الحاجة لوجود جلبةً حولي حتى لا يتمكن مني الخوف والقلق.

وصلنا للمنزل بينما الأطفال الثلاثة يغنون معًا أغنية أحد الأفلام الكرتونية، تركتهم وهاتفت ليل ليخبرني أن سام استيقظ أخيرًا لذا طلبت منه أن يتركه وحده لأحادثه، تركت الأطفال أمام التلفاز يلعبون ودلفت إلى حجرتي أغلقت بابي لأحادث ملاكي.

صغيري كيف حالك الآن؟

- بخير ميمي أنا بخير الآن

هلَّ أخبرتني ما حدث لمَ كنت خائف؟!

- لا أعلم فقد ايقظني بابا فجأة ثم وجدت نفسي بمكانٍ غريب لم أره من قبل وهناك الكثير من الصور تجمع ماما وبابا والكثير من الأشخاص لم أرهم من قبل، بابا أيضًا كان يبدو غريبًا فهو لم يتحدث ولو بكلمةٍ واحدة وحينها أنا ... أنا شعرت بهمس

أخفض صوته للغاية حينما أخبرني بجملته الأخيرة، همس ماذا صغيري؟ همم اخبرني

- صوت ماما لقد سمعت صوت ماما وهى تخبرني أهلاً بك ملاكي، وقد إرتجف بدني بأكمله وشعرت بالرعب فهي في السماء كيف حادثتني؟؟

لا أعلم كيف أجيبه كيف أطمئنه وقد هلعت بدوري، لذا لازمني الصمت لوهلة حتى جمعت أفكاري ورتبتها قليلًا.....

ملاكي ألا تعلم أن ماما تراك من السماء، همهم لي لأكمل هي تراقبك وتلك المرة الأولى لك بالذهاب لمنزلها مذ كنت صغير ، ربما هي فقط كانت ترحب بك فروحها حولك ترعاك، أعلم الأمر مخيف ولكنك فقط شعرت بذلك بسبب المفاجأة لا أكثر.

- حقًا؟؟؟

نعم صغيري لا تخف ماما ترعاك من السماء وبابا بجوارك كما هناك أنا بجانبك على الدوام.

- ألا يمكنك القدوم إلى هنا فأنا اشتقت لكِ أرغب في عناق.

ليتني أستطيع صغيري ولكن كيف أترك المدرسة وطلابي

- حسنًا ميمي أتمنى أن نعود نحن قريبًا

ختم حديثه لي بقبلة كالمعتاد وأعاد الهاتف لأبيه كما طلبت منه

- هل أخبركِ سام ما به

لا تقلق ليل أنت ايقظته من نومه وخرجت به لمكان لا يألفه دون توضيح منك لذا هو خاف قليلًا أنت تعرف مخيلة الأطفال، سيكون بخير فقط تحدث معه واخبره عن المنزل اتركه يتجول به ويرى المكان من حوله وإن لم يرتح عد به لمنزل والديك.

- أهذا رأيك؟

بالطبع فقط افعل كما أخبرك والآن هيا اذهب لابنك اللطيف ودعني فأنا أملك رفقة لليوم، ودعته وأنهيت المكالمة وتفكيري يدور فيما سمعه سام هل هو من نسج خياله فعلاً أم ماذا؟!!

خرجت للصغار فقد تركتهم بمفردهم لفترة، انقضى الوقت بينما نعد طعام العشاء لنأكل معًا لن أنكر أن وجودهم حولي وأحاديثهم المستمرة شغلت تفكيري قليلًا عما أخبرني به سام.

أنهينا طعامنا لأعد لهم الكعك كما طلب رالف وفي تلك الأثناء وصلت السيدة مادلين، احتسينا الشاي معًا بينما نتحدث عن الأطفال والمدرسة بينما الأطفال كانوا ينهون واجباتهم المدرسية ورالف الذي نام بجواري على الأريكة فقد أصابه النعاس بعدما تناول الطعام والحلوى لذا نام متشبثًا بي.

تلك الليلة طلبت من والدته تركه ينام بمنزلي وهي وافقت وأنا حقًا ممتنة لموافقتها تلك فقد كنت بحاجة شخص جواري بعد يومي العصيب، لذا بعد مغادرة والدته وإخوته عانقته لقلبي وغفوت .. نمت بعمق رغم عقلي الثائر.

(٧)

ليل

ما أصاب سام من خوفٍ وبكاء أتلف أعصابي أكثر مما كانت تالفة بالفعل، فوجودي بهذا المنزل المليء بفقيدتي الغالية مرهق لقلبي وعيناي وروحي أيضًا، سام نائم مذ غنت له زهرة تلك التهويدة كان نائمًا بينما بقايا الدموع جفت على وجنتيه ورموشه، منكمشًا على ذاته وعبوس واضح يملأ وجهه.

أنا لن أنسى أبدًا الحالة التي كان يرتجف بها بين يداي، لمَ كل شيء حولي يرهقني بتلك القوة المفرطة!! أنا لم أعد أحتمل لقد فاض كيلي حقًا، في الماضي هربت من ابني ثم هربت من أهلي أين أهرب هذه المرة وكيف فقد مللت الهرب الدائم ولكني لا أقوَ على المواجهة.

تركته نائمًا والقلق يحرق أعصابي وقررت تنظيف المنزل الذي لم تطأه قدم منذ سنوات ربما مظهر المنزل بحالته تلك ما أثر على صغيري وأرعبه لهذا الحد؟

ظل سام نائم لعدة ساعات بينما غيمة تسأل عن حاله كل عدة دقائق فهي قلقة عليه هي الأخرى.

أخذ مني تنظيف المنزل فترة لا بأس بها وبمجرد انتهائي من التنظيف استيقظ سام أخيرًا بوجهٍ متجهم فهو لم يألف المكان من حوله، حادثته غيمة وبتلك المحادثة تبدل حاله فقد عاد إلى طبيعته نوعًا ما، حقًا تملك غيمة عليه مفعول السحر، حاولت ترتيب أفكاري وأخذت بيده لنتجول في المنزل.

كان يتلمس ما حوله بحذرٍ شديد وعينيه تجول المكان في فضولٍ واضح، يقف أمام صور والدته لعدة ثوانٍ يتأملها ويذهب للصورة التالية، حتى غرفته التي أثثتها روزا له كان يتفحصها بهدوء وكأنه يستشعر وجودها بها فكل ما بداخلها لمسته هي ووضعته بنفسها قبل رحيلها.

سام عزيزي هل أعجبك المنزل؟

اماء لي بهدوء ولم ينبث بحرفٍ واحد

هل ترغب بالبقاء هنا ريثما نعود لغيمة مرة أخرى؟

ـ لا، أريد العودة لجدتي لا أحب وجودي هنا

نبث بها سريعًا، يبدو أن صغيري غير مرتاح بوجوده هنا مثلي تمامًا

حسنًا ملاكي سنعود ولكن هل يمكننا البقاء هنا الليلة؟

نظر لي مطولًا دون إجابة ولكنه وافق على مضض،تناولنا الطعام والذي طلبناه من الخارج وحادثت والداي وغيمة، سام جلس أمام التلفاز وأنا ظللت أتفحص المنزل بجميع أركانه وزواياه ففي كل واحدٍ منها ذكرى تخص حبيبتي روزا، أشعر بها حولي في كل مكان وضحكاتها ترن داخل قلبي لا أذني.

شردت في ذكرياتي لفترة لا أعلم كم طالت ولكن عندما عاد لي عقلي لأرض الواقع وجدت سام نائمًا على الأريكة، وضعته بالفراش وجلست أنا بمنتصف منزلي وذكرياتي وحياتي السابقة أسترجع جميع ما حدث لي منذ قابلت روزا وحتى الآن.

بعد عدة ساعات من التفكير والعيش بداخل قوقعة الذكريات شعرت وكأن جدران هذا المنزل تضيق بي وتضغط على قلبي وجسدي، أريد الهرب بعيدًا عن هنا، الهرب من الماضي والذكريات ومني، من كل شيء قد يؤلم قلبي ويزعجني.

لا أعلم كيف انتظرت استيقاظ سام من نفسه في الصباح فأنا لا أريده أن يصاب بنوبة بكاء كما الأمس، عدنا لمنزل والدي والذي ما أن خطوت بداخله خطوة واحدة شعرت بالارتياح النفسي، ارتميت في أحضان والدتي مرهق الذهن منهك الجسد وهي كعادتها أخذتني في عناقٍ حاني .. رائع هو عناق الأمهات فهو قادر على امتصاص حزنك بالكامل وطمأنت قلبك ونفسك، مسكين صغيري حُرم من هذا العناق.....

سام

يبدو أن وجودي هنا سيطول لقد سجلني بابا بروضةٍ قريبة من منزل جدتي ويومي الأول بها كان بالأمس، حسنًا هي ليست سيئة ولكني مشتاق لروضتي ورفاقي، أود رؤية رالف واللعب معه ومشاجرة ليا وبيتر أحب عندما يمسك بيدي ونذهب للأرجوحة، اشتقت لهم واشتقت إلى ميمي كثيرًا وللبيانو أيضًا.

لا أعلم إلى متى سنظل هنا ولكننا هنا بالفعل منذ فترة، حاولت الاعتياد على المكان هنا، بابا أيضًا كان كثير الخروج فهو يقابل أصدقاءه القدامى، كانت الحياة تسير باعتيادية، ولكن الغير عادي أننا لم نعد كما اتفقنا جدتي بخير الآن لمَ لا نعود لمنزلنا؟!

حتى ميمي لم نعد نتحدث معها بشكل يومي، أنا حزين لذلك ولكني أذهب للروضة ولدروس البيانو ولمنزل جدتي روزالين وحينما أعود أغفو سريعًا، كما أن فرق التوقيت لا يساعدني أبدًا على التحدث معها، أعلم هي ربما حزينة وغاضبة ولكني لا أعرف كيفية التصرف الصحيح أنا فقط انغمست بالعيش هنا بشكلٍ ما.....

تعرفت على بعض الأصدقاء من أبناء أصدقاء بابا ومن الروضة أيضًا، ولكن ظل سؤال واحد بعقلي ألن نعود لمنزلنا مرةً أخرى؟؟

غيمة

مرت الأيام والأسابيع ولم يعد سام وليل لا أعلم هل استقر ليل هناك بالفعل ولن يعود مرةً أخرى؟

أيامي الروتينية أضحت مملة وخانقة في السابق كنت أشغل نفسي بالأطفال والبيانو، الجلوس في الحديقة أو حتى مقهى السيد كلاريس ولكن الآن كل ما أفعله يشعرني بالضيق والسقم.

وعداني بالعودة وعداني ألا يتأخرا عني هكذا لمَ لم ينفذا وعدهم حتى الآن؟ حتى الهاتف لم أعد أسمع منهم لم يحادثاني كل يوم كما السابق، كنت أقضي الكثير من الأيام مستيقظة لوقتٍ متأخر بينما هاتفي بيدي في انتظار مكالمتهم ولكن لا أحد يتصل.....

لا أعلم كم صباح استيقظت فيه مع الفجر حتى أحادثهم أراهم وأسمع صوتهم ولكن لا رد، حتى الرسائل ليل كان يراسلني على مضض وكأني أصبحت ثقل عليه أو مجرد هامش في حياته، ربما المرء بوجود أهله وأقربائه لا يهتم بوجود أحبابه البتة!

ربما هو اختار البقاء هناك ولم يجد طريقة يخبرني بها فيخبرني بذلك التجاهل؟ لا أعلم فكل ما أعلمه أنني مرهقة وأرغب بالنوم لفترة طويلة حتى ينسى قلبي الانتظار....

مرَّ أسبوع منذ أخر مرة هاتفني بها ليل، لا أعلم عنه شيء منذ أسبوعٍ كامل....

مرت ثلاثة أيام بدون مكالمة واحدة من سام، فقد اشتقت لصغيري حد البكاء ولكن الدموع لم تعد تجدي، لم تعد تريح قلبي ولو بذرة واحدة، لا أعلم ما أصابهم ولمَ هذا البعد!!

أشعر بالقهر الشديد فهما نسياني بالفعل وكأني لم أكن، نسياني وكأن كل أيامنا معًا كانت مجرد وقت لا أكثر، يبدو أن تلك الغيمة غدت وحيدة كما السابق بدون عائلة ومحبين فلم أعد لا ظليلة ولا ممطرة فقط غيمة معلقة في سراب الوقت وسرداب الذاكرة.

يبدو أنه لم يعد هناك رجعة أو عودة ستظلين بمفردك يا فتاة فاعتادي حتى ولو قتلك البؤس، فمن أنتِ بانتظاره نسى وجودك ولن يعود مرة أخرى.

(٨)

بعد مرور خمسة أشهر...

ـ آنسة غيمة لقد وصلك هذا الطرد

حسنًا كيفين شكرًا لك، ابتسمت له وعاد هو لمكانه، كيفين هو مساعدي بالمدرسة هو يتعلم العزف أيضًا ويساعدني ببعض الأمور هنا، هو حقًا فتًا جيد وشغوف بالبيانو يبلغ السابعة عشر ولكنه طفولي كـرالف وبالمناسبة هو ابن السيد كلاريس صاحب المقهى.

مسكت الطرد بيدي والذي كان بعض البذور لزهرة التوليب الأزرق والياسمين، فقد ودت زراعتها بحديقة المدرسة فأنا مغرمة بها تلك الأيام.

ـ صباح الخير

صباح الخير بيتر أنت مبكر اليوم

- نعم أردت اللعب قليلاً ريثما تصل ماما والبقية

هل تناولت إفطارك عزيزي

- أجل فعلت ولكن لا ضير من قطعة كعك

ابتسم بحماس فهم جميعًا مغرمون بالكعك والمخبوزات التي أقدمها لهم قبل الدرس

- آوه بيتر الصغير سيصبح سمينًا بسبب كعكات الآنسة غيمة

قالها كيفين مغيظًا ولكن بيتر لم يهتم بل مد له لسانه بطفولية عابثة وركض للداخل حيث مكان الكعك

قررت ترك البذور لزراعتها بعد انتهائي من دروس اليوم والتي كانت حصتان فقط إلهي لا تعلم كم أنا شاكرة لذلك فأنا مرهقة ومشوشة ولن أستطيع التعامل مع نشاط الأطفال وحماسهم المبالغ به، اثناء وقوفي بالحديقة في انتظار باقي الأطفال وأيضا كنت أختار البقعة المناسبة لزراعة أزهاري سمعت ذلك الصوت المحبب لقلبي بينما يصرخ باسمي..

- ميمييييي

صرخ بها بينما ذراعاه الصغير أحاطت خصري من الخلف في عناق كالمعتاد، ابتسمت بشدة والتفت له أعانقه أقرب لي

صباح الخير رالف المتحمس، قولتها بينما حصل أنفه اللطيف على قبلة مني كالمعتاد منذ فترة فقد أصبحنا أنا ورالف أعز

أصدقاء.

- صباح الخير ميمي، تفوح منكِ رائحة الكعك

قهقهت بشدة، أظن أن أولئك الصغار يحبونني بسبب الكعك لا غير، نعم صغيري فقد صنعت لك كعك الرمان اذهب وخذ قطعة، كان هذا يدور أمام السيدة مادلين التي تبدو شاحبة كالأشباح بينما تمسك بليا التي تبدو مريضة في يدها.

سيدة مادلين ما بكِ؟ لما تبدين بتلك الحالة؟

- آه يا غيمة لو تعلمين، افسحي لي الطريق حتى أجلس قليلًا أنا منهكة ونصف نائمة

افسحت لها الطريق بينما اخذت ليا منها والتي تبدو متعبة مثل والدتها

ماذا حدث لكل هذا لقد أصابني القلق؟

- ليا كانت مصابة بالحمى أمس، ارتفعت درجة حرارتها فجأة وبقيت طوال الليل اعتني بها حتى انخفضت الحرارة

آوه ليا عزيزتي أنتِ مريضة؟ تفحصتها فوجدت حرارتها طبيعية ضممتها إلي بينما أربت على ظهرها وأنظر لوالدتها باستغراب واضح

- عزيزتي غيمة لا زلتِ صغيرة لا تعلمين أن الطفل ربما يمرض ليلاً لدرجة شعورك أنه يفقد حياته وبالصباح يكون بخير كأن شيئًا لم يكن، هم فقط كذلك

قالتها بينما تترنح مما جعل ضحكاتي تصدر مني بلا إرادة، عودي للمنزل وأنا سأصلهم بمجرد ما ننتهي فقط حاولي الحصول على قسطٍ كاف من الراحة.

- شكرًا لكِ أنتِ حقًا ملاك

عانقتني بشكر وغادرت وصعدت أنا لمكان الدرس فقد وصل باقي الأطفال، انتهت حصة اليوم ووصل أباء الأطفال لأخذهم وقررت أنا أن أزرع زهوري بينما يلعب أبناء السيدة مادلين قليلاً في الحديقة.

- آنسة غيمة ماذا ستزرعين هذه المرة؟

أزهار التوليب الزرقاء وبعض الياسمين

- اختياراتك رائعة كما العادة

شكرًا لك كيفين

- ولكن هل يصلح زراعة الزهور الآن؟

أجل كيفين فالتوليب لا يتحمل الحرارة أنسب وقت لزراعته الخريف كما الآن.

همهم لي وغادر يلعب مع الأطفال ويشاكسهم كالعادة.

بينما أنا منغمسة في تحضير تربة الحديقة لاستقبال التوليب والياسمين رن هاتفي ويا للمفاجئة لقد كان السيد ليل يبدو أنه تذكر غيمة أخيرًا التي لم يجيبها منذ ثمانية أيام كاملة، نفضت يدي وأمسكت بالهاتف وضعته ضد أذني ولم أتفوه بحرف.....

- غيمة

لعله خير سيد ليل هل هناك شيءٌ ما؟

- لا شيء فقط اطمئن عليكِ

لم أقاوم ابتسامة السخرية التي خرجت مني فهو مصمم أن يخرجني عن طوري حقًا

أنا بخير، أهناك شيءٌ أخر؟ كان متردد بالرد ولكنه أجاب أخيرًا

- لا

إذن مضطرة أن أغلق فأنا مشغولة الآن، وفقط أغلقت الهاتف ووضعته بجيبي مرةً ثانية وأكملت زراعة زهوري وكأن شيئًا لم يكن.....

بعد ساعة ربما أو أكثر قليلاً قررت العودة للمنزل فقد انتهيت من زراعة الأزهار كما أن الأولاد لعبوا بما يكفي، كانوا يتمسكون بيدي بينما يحادثوني أحاديث عشوائية كما العادة ولكني شاردة، كنت شاردة في ملاكي الذي لم أسمع صوته منذ عدة أيام ويبدو أن هو الأخر قد نسى غيمة وأيامه معها.

وصلت رالف واخوته للمنزل وتوجهت لمنزلي وأنا لا زلت شاردة، كنت أشعر بالفراغ أكثر منه الضيق، أعددت وجبة غداء سريعة وتناولت طعامي في صمت وهدوء قاتم، فأنا منذ خمسة أشهر طويلة أتناول وجباتي في ذات الهدوء.

أنهيت طعامي وقررت الجلوس في الشرفة لقراءة كتاب ما وشرب بعض الشاي الدافئ فالطقس به نسمات باردة تُرجف الأبدان، انغمست في كتابي بينما وشاحي الأحمر يلتف حول جسدي ولا أعلم لمَ كان تفكيري مشغول بوحدتي المثيرة للشفقة وحياتي التي أصبحت روتينية بحتة، تركت كتابي وشرد تفكيري في عدة سنوات مضت حيث البيانو العزف والمسارح، تذكرت حفلاتي التي أقمتها على أفخم مسارح العالم وأشهر دور الأوبرا، تذكرت تألقي وتشجيع الجمهور لي والتصفيق الحاد الذي كنت أحصل عليه كلما انتهيت من عزف مقطوعة ما.....

راودتني تلك الفكرة التي استنكرتها كثيرًا .. لمَ لا تعودي للعزف يا غيمة؟ هذا السؤال الذي طرحته على نفسي بلا إجابة، فأنا لا أعلم إجابته

هل حزني على ما حدث لوالداي هو ما يمنعني؟ لا أعتقد أبي وأمي سعيدان بوضعي الآن، حسنًا لقد تيبست أصابعي بعض الشيء بسبب فترة اعتزالي ولكن بإمكاني العودة، هل سيتذكرني الناس بعدما ابتعدت تلك الفترة الكبيرة؟

اسألة كثيرة راودتني بينما أحاول ضحد الفكرة ذاتها حتى أخرجني من دوامة التفكير رنين هاتفي...

ليل!! أيهاتفني مرتين باليوم ذاته؟ يبدو أن علةً ما أصابت عقله، أجبت على مضض فأنا منهكة عقليًا ومشاعري جميعها مضطربة وفي حالة استنفار شنيعة لا تسمح لي بالتحكم بها بل هي من تقودني وأخشى أن تقودني للهاوية..

أجل ليل

ـ مرحبًا غيمة، هل أنتِ متفرغة الآن؟ أرغب في الحديث معكِ في أمرٍ هام.....

رائع يبدو أنه أخيرًا قرر إخباري بنسيانه أمري بل وبعدم عودته إلى هنا مرة أخرى.....

(٩)

ليل

مرت خمسة أشهر منذ قدومي إلى هنا، حينما وصلت كنت قلق مضطرب وحزين، كنت خائفًا من فقدان أمي كما فقدت حبيبتي روزا، ترك غيمة بمفردها في تلك البلاد البعيدة بعدما أصبحنا أنا وسام أسرتها وحياتها هناك كان أمرًا أخر فقد كنت قلق عليها من الشعور بالوحدة أو أن تعود حالتها كما السابق ذلك الشرود والانطفاء المؤلم لذا عندما غادرت وعدتها بالعودة وكنت في قرارة نفسي أخذًا قراري بالعودة بمجرد أن أطمئن على أمي، وعدتها بالعودة قريبًا وبالاتصال بها دائمًا ولكني نكثت بكل وعودي الواهنة .....

بمجرد عودتي لبيتي الدافئ المليء بأمي وأبي والشعور بدفء الوطن تفكيري تشتت وأصبح مغايرًا لما كنت عليه بالسابق، سابقًا هربت من هنا مبتعدًا عن عائلتي وذكرياتي وعن وطني وكل ما يخصني بتلك المدينة، التجأت إلى أبعد مكان هاربًا من كل شيء حتى عثرت أخيرًا على دفء من نوعٍ أخر دفء غيمة دفء برائحة التوت كما يسميه سام.

غيمة كانت الملاذ الأمن لي ولابني الصغير، هي كانت القطعة المزهرة منا في تلك الغربة، منذ قدومي إلى هنا وعقلي يصنع الكثير من المقارنات بين دفء أمي ودفء الوطن وبين دفء التوت دفء غيمة التي تركتها وحيدة في الليالي الطويلة بمفردها بالنصف الأخر من الكوكب وجئت أنا إلى هنا إلى دفء أمي ووطني.

مع الوقت ومع تحسن صحة أمي وجدت نفسي بدأت التأقلم على الحياة هنا مرة أخرى لا أعلم كيف فعلت ذلك ولكني بدأت الاعتياد على الحياة هنا، حتى سام كف عن التذمر وإخباري عن رغبته بالعودة، كنت حائرًا بين بقائي هنا والعودة لحبيبتي ورفيقة غربتي غيمة فأنا مشتاق إليها كثيرًا لكن لا أعلم ماذا أصابني؟!!

برغم حبي واشتياقي الدائم لها أهملتها لا أعلم كيف فعلت هذا أو لمَ؟! ولكني أهملتها شيئًا فشيء، مع الوقت قلت اتصالاتي ورسائلي لها رغم لهفتي لسماع صوتها ورؤيتها لا أعلم ما أصابني انغمست بالحياة هنا وانسللت منها مبتعدًا بلا أسباب وكأني قررت الابتعاد بالفعل وعدم العودة وهو القرار الذي ظل يراودني طيلة الوقت.

جميع من حولي لاحظ أفعالي وتجنبي لها بلا أسباب، كنت أقضي الليالي ساهرًا ممسكًا بهاتفي أتفحص صورنا معًا ولكني لا اجروء على الاتصال، حاولت عشرات المرات ولكن هناك شيئًا ما يمنعني عن ذلك، ربما بسبب ابتعادي عنها لفترة؟ ربما بسبب ضميري الذي يؤنبني على تركها وحيدة؟

لا أعلم لا يوجد سبب مقنع يجعلني هنا أتنعم بحياتي بين أهلي وأصدقائي بينما هي وحيدة هناك لا أعلم حالها أو ماذا تفعل، في تلك الليلة كنت استمع لبعض الموسيقى ليلاً بينما أفكر في غيمة وأفكر في حالي وما آلت إليه الأمور لأجد والدي يقترب مني ببسمته المعتادة مقاطعًا تفكيري العقيم برفيقتي البعيدة.....

أبي ألا زلت مستيقظًا؟

- نعم بني لم أنم بعد، لمَ تجلس بمفردك في ذلك الوقت المتأخر؟ أهنالك ما يجول ببالك؟

سألني وكأنه يقرأ ما بداخلي وكأن تفكيري واضطرابي مكتوبان على جبيني بخطٍ عرض، أنا فقط أفكر قليلاً أجبته بهدوء عكس الضجيج المزعج داخل عقلي

- بمَ تفكر ؟ في غيمة؟

كيف علمت؟ سألته متعجبًا

- لأنك ابني الوحيد وأستطيع قراءتك كما قراءة راحة يدي، ما الذي يشغل بالك بني ليجعلك شاردًا بهذا الشكل أغلب الوقت

لا أعلم أبي فأنا مشتت، لا أعلم ماذا أصابني منذ قدومي إلى هنا!!

- صارحني بني أتحب غيمة أم فقط هي بالنسبة لك رفيقة الغربة التي هونت عليك أيام حزنك ووحدتك؟

غيمة أكثر من مجرد رفيقة للغربة والوحدة بل وأكثر من حبيبة يا أبي، في الوقت الذي كنت أحيا به أنا وابني بمفردنا كعصفورين سُرق عشهما من قبل نسرٍ جارح كانت هي الغيمة الظليلة والاحتماء، البيت الذي لملم جراحنا وبؤسنا ووحدتنا، برغم حياتها الصعبة والظرف القاسي الذي مرت به إلا أنها لم تتخلى عنا ولو للحظةٍ واحدة بمجرد ما التقينا، لم تبخل علي سام بالحب والحنان الأمومي الذي يحتاج له برغم أنها لم تكن أمًا من قبل، فهو بالنسبة لها جوهرتها الثمينة هي حتى لم تبخل علي بالمشاعر الطيبة والحنونة التي أجبرتني أن أنظر للحياة

مرة أخرى بألوانٍ زاهية بعد ما كان كل ما أراه هو السواد فقط.

لا يوجد كلمات تصف غيمة أو مشاعري نحوها، ولا توجد كلمات شكر تفيها حقها وما فعلته لصغيري بعدما اهدته كل ما يحتاج إليه طفل بعمره بل وأكثر.

- بداخلك كل تلك المشاعر إذن بما تفكري بني ما الذي يؤرق راحتك هكذا؟ بل والسؤال الأهم لمَ تهمل الفتاة اللطيفة التي تحكي عنها بمثل هذا الشغف والحب لمَ تقضي أيامٍ طوال دون محادثتها ومصارحتها بما داخلك؟

لا أعلم أبي لا أعلم، ربما شعوري بالذنب تجاهها! فقد غادرتها وبقيت هنا متنعمًا بدفء عائلتي ووطني بينما هي في الغربة وحيدة لا أحد حولها لا يوجد من يطمئن عليها أو حتى تشكو له همها أو ما حدث لها في يومها.

- أمتأكد أن هذا هو السبب فقط بني؟

سألني لأنظر له بدهشة، رمشت قليلاً أخشى مصارحته بمَ بداخلي جميعه ولكنه أبي لذا قررت التحدث معه بكل ما يدور بعقلي لعله يرشدني لطريق الصواب.....

لا أبي يوجد سببًا أخر ولكني خجول من تفكيري حوله ما بالك لو أفضيت به..

- تحدث بني لا تقلق أنا لست هنا لأحكم عليك بل لأساعدك

زفرت بشدة لأسيطر على ثورة الكلام المندفعة على طرف لساني لأخبر أبي بما يشغلني جميعه.....

عندما غادرت وعدت إلى هنا كان تفكيري أنها مجرد إجازة لعدة أسابيع وسأعود لها مرة أخرى، لكن منذ خطيت هنا وأنا أفكر في البقاء هناك ما يسحبني ويقيدني ببطء بالمكان هنا رغم نفوري منه بالسابق، ربما تجاوزت صدمتي ومحنتي وآن الآوان للعودة لا أعلم، ولكن مجرد تفكيري بالبقاء هنا يشعرني بالخيانة، أنا أتألم أبي أرغب بالبقاء هنا بينكم وأود العودة لها وبشدة ، جزء كبير مني يرغمني على البقاء لدرجة جعلتني أهمل اتصالي بها والتحدث إليها أخشى مصارحتها بتلك الفكرة التي تراودني، أشعر أنني سجينًا لأفكاري أبي أنا متعب للغاية.

لا تعلم كم اشتاق لها واشتاق للحديث معها ولكني أمنع نفسي حتى لا أتصرف بغباء غير محسوب، لا أعلم كيف حالها وبمَ تشعر الآن تجاهي بسبب هذا الإهمال المتعمد، أود الاعتذار إليها وبشدة ولكني أخشى معاتبتها لي أو غضبها مني والذي لها كل الحق به مهما حدث.

دبرني أبي ماذا أفعل؟ لم أعد أتحمل التفكير والاشتياق يقتلني، أفضيت بما داخلي جميعه لأبي ولا أنكر أنني شعرت بالراحة ولو قليلًا بسبب هذا

- كل هذا بداخلك وتتحمله وحدك

قالها أبي بينما استقام وعانقني إلى صدره بشدة، شعرت حينها بكل حزني وتشتتي يتبدد ويذهب بعيدًا، عاد أبي لمكانه الذي يجلس به أمامي

- الحل بسيط بني أنت فقط ترهق ذاتك، تزوجها بني تزوجها وابقوا معًا هنا أو هناك لا يهم الطيران مفتوح دائمًا ووسائل النقل متاحة طوال الوقت والمال متوفر أيضًا يمكننا أن نرى بعنا البعض دائمًا، لا تفرط في تلك الألماسة التي بعثها لك الله تعويضًا عمَّا حدث لك ولابنك الصغير، هي أيضًا بحاجتك فهي لا تملك عائلة ولا أحد سواك أنت وسام.

- أولًا يجب عليك مراضاتها والتحدث معها لا تكسر قلبها بإهمالك المبالغ به مهما كان شعورك فقط تحدث معها اخبرها بما يدور بعقلك، لا تنس فقد وعدتها والرجال لا تخلف وعدها

- يمكنك البقاء هنا ريثما تصل إلى حل مناسب ويمكنك العودة لها غدًا لو أردت فقط لا تتركها، لا أحد منا سيسامحك لو أحزنتها خاصةً سام فهي بالنسبة له والدته التي لم يراها.

أنهى أبي كلماته والتي وجدتها كالتنبيه لعقلي بما تسببت به لنفسي ولغيمة فقد أحزنتها بغبائي وخوفي فقط، تركني أبي وذهب للنوم بينما ظللت أنا على حالي في مكاني، توجهت للشرفة حتى أتمتع بنسمات الليل العليلة في هذا الخريف الدافئ حتى تنقضي الساعات وأهاتف غيمتي فقد قررت إصلاح ما

أفسده تسرعي سوف أتحدث معها وأخبرها بكل ما يدور بعقلي، سأتحدث معها يوميًا كما وعدتها حتى نصل معًا لقرارٍ فأنا لن أقرر حياتي بمفردي بعد الآن.

مرت ساعات الليل واقترب الفجر من البزوغ الساعة هناك الآن تجاوزت الرابعة ربما تكون انتهت غيمة من دروس البيانو بحلول الآن لذا تحمحمت واستجمعت شجاعتي حتى أتحدث معها فأنا لم اتصل بها منذ أكثر من أسبوع ربما.

ضغطت زر الاتصال وانتظرت الرد بفارغ الصبر بعد ثوانٍ مرت علي كأبد الدهر أجابت ولكن لم يصلني سوى صوت تنفسها الهادئ، همست باسمها في لهفة ولكن وصلني ردها باردًا للغاية ولا يمكنني لومها عن ذلك مهما حدث فلها كل الحق حتى لو لم تجب علي أبدًا.

لم تستمر مكالمتنا سوى عدة ثوان وأقفلت الخط على حين غرة لم تسمح لي بالإعتذار أو الشرح والتوضيح، ربما التوقيت فقط خاطئ لذا قررت النوم والمحاولة مرة أخرى بعد عدة ساعات، ذهبت لفراشي حيث ينام ملاكي بهدوء احتضنته إلى قلبي وغفوت لأستيقظ بعد ساعات قليلة بسبب صوت سام الذي كان يحاول ايقاظي لسبب أجهله .....

استيقظت وأدركت أنه موعد الحافلة الخاصة بروضة سام والتي التحق بها مؤخرًا، قمت بإيصاله وعدت للفراش لا أرغب في الخروج أو الحديث لأحد سواها سوى غيمة، لذا تدثرت بغطائي وتمسكت بهاتفي بينما أشد بكفي الحرة على الغطاء لعلي أستمد منه بعض القوة حتى أتحدث بكل ما بقلبي

وعقلي بلا أخطاء أو كلمات تترك أثرًا عكسيًا عليها.....

رنين الهاتف استمر لفترة حتى قطعه صوتها الهادئ

- أجل ليل

مرحبًا غيمة، هل أنتِ متفرغة الآن؟ أرغب في الحديث معكِ في أمرٍ هام.....

صمت تام خيم علينا فهي لم تجيب لعدة ثوان أصابني فيها الخوف لدرجة قررت فيها التراجع عن الحديث بما في عقلي ولكنها أجابت أخيرًا

- متفرغة أهناك أمرًا ما؟

نعم هناك ما أود إخبارك به

- تفضل

أنا لا أرغب بالعودة أود البقاء هنا.....

(١٠)

ليل

أنا لا أرغب بالعودة أود البقاء هنا.. كان هذا أول ما تفوهت به لا أعلم كيف قررت البدء بتلك الجملة فأنا أشعر بانهيار غيمة من مكاني وأكاد أقسم أن لو لقلبها صوت لسمعت صوت كسره لنصفين بسبب تلك الجملة الغبية، خلال لحظات وصلني صوتها المختنق

ـ ماذا تقصد ليل؟

غيمة اهدئي واسمعي كلماتي للنهاية، سمعتها تزفر بحنق ولم تجب بأي كلمة لاستأنف حديثي....

في البداية اشتقت لكِ حد السماء، أعتذر عن عدم اتصالي بك وإهمالي لكِ طوال الفترة المنصرمة، أعلم لا حق لي في الاعتذار ولكن أرجوكِ اغفري لحبيبك الأحمق، لم ترد بكلمة

أيضًا لذا قررت الاسترسال في الحديث حتى لا أشعرها بالضغط يكفي ما تمر به بالفعل.

كلما حاولت مهاتفتك الفترة الفائتة تراجعت خشيت من لساني ومن عقلي خشيت التفوه بتلك الجملة التي سمعتيها بالبداية، لا أنكر إنني فكرت كثيرًا بالبقاء هنا ولكني كنت أتراجع ليس بسببك حتى لا تلومي نفسك أو حتى بسبب وعدي لكِ بل بسبب نفسي فأنا أناني لتلك الدرجة، أنا لا أستطيع تخيل حياتي بدونك، تلك الأشهر التي قضيتها بدونك ورغم وجودي بين جميع من أحبهم إلا إنه كان هناك شيئًا ناقصًا وكأني تركت قطعة من قلبي وروحي حينما قررت العودة لهنا ومغادرتك.

كنت أمنع نفسي من الاتصال بك حتى لا ألح عليكِ بالمجيء إلى هنا وترك حياتك التي أقمتيها هناك، أنا مشتت للغاية يا غيمتي متعب ومرهق إلى حدٍ بعيد، اشتقت لكِ ولحياتنا معًا وفي الوقت ذاته هناك ما يجذبني بشدة للبقاء هنا لا أعلم كيف أتصرف؟

بعد تفكير وحسابات كثيرة وجدت أن قربك هو أماني الوحيد، لا أعلم إذا كنت قد عبرت عمَّا يجول بخاطري بشكلٍ صحيح أو حتى ما إذا فهمتِ وجهة نظري، لكن كل ما أرغب في إخبارك به هو أنني آسف .. آسف وبشدة على إهمالي لكِ وآسف لأنني لم أخبرك عن مدى حبي لكِ من قبل

غيمة لا حياة لي أو لابني في مكانٍ أنتِ لستِ به، مكاننا الصحيح هو بجوارك أينما كنتِ، أعتذر عن تركي لك وحيدة طوال أشهرٍ وعن تركي لكِ في أهم أيامك، أرجو أن تقبلي اعتذاري وحبي الفائض الذي لم يعد يسعه قلبي

أتمنى أن يقبل قلبك الكبير بقائي هنا لعدة أسابيع أخرى حتى أرتوي من حنان أمي بما يكفي، أرجوكِ يا غيمة سامحيني، نهيت كلماتي وانتظرت ردها ولكنها ظلت هادئة على حالها لذا قررت الصمت أنا أيضًا والاستماع فقط لصوت تنفسها الهادئ، ظل الوضع هكذا لفترة حتى صدر صوتها أخيرًا ولكن بجملةٍ ألجمتني فهي لا تمت بما كنت أتحدث عنه بصلة، لا أعلم هل قررت فقط تغير مجرى الحديث أم أنها لا تود التحدث في هذا الموضوع، مهما كان أنا أتفهم مشاعرها جيدًا لذا قررت مسايرتها فيما قالته والذي أصابني بنشوة من السعادة لمجرد سماعه....

- ليل أنا قررت العودة لعزف البيانو سأعود كعازفة وليس فقط معلمة للأطفال.

غيمة

مكالمة ليل كانت غريبة كل كلمة نبث بها لم أفهم معناها أو مقصده منها، أو ربما تخوفت من فهم المغزى خلفها، كنت أستمع له بإنصاتٍ تام واهتمام بالغ، كلماته جعلتني أشعر بالمسئولية وكأنني الشخص المسئول عن ابتعاده عن أهله ووطنه.

حاولت عدم التفكير بهذا المنطق ولكنها كانت الفكرة الوحيدة التي تخترق خلايا عقلي، هو يرغب بالبقاء ولا يريد العودة سوى بسببي وكأني تلك العثرة التي تقف حائلًا بينه وبين دفء وطنه وعائلته، جميع كلمات الحب والاشتياق عبرت عبر أذني ولم تصل لعقلي سوى كلماته عن الأهل و الوطن، لو طلب مني الذهاب إليه لذهبت فأنا أيضًا بحاجة لأهلٍ ووطن ولكنه غبيًا بما يكفي ليفكر في ذلك.....

كلماته كانت كالخنجر الذي ضرب قلبي وكياني بقسوة حتى بعدما انتهى لم أجد ما أقوله له، هل أطلب منه أن يعيد ما قال ربما لم أسمع جيدًا؟؟

أم فقط أصمت؟ وأنا قررت الصمت والذي يبدو أنه فضله هو الأخر، وبعد فترة من الصمت نطقت بأول جملة خطرت على عقلي.. ليل أنا قررت العودة لعزف البيانو سأعود كعازفة وليس فقط معلمة للأطفال.....

لا أعلم لما نطقت تلك الكلمات فأنا حتى لم أفكر بها ولم أقرر بعد ولكني وجدت في تغير مجرى الحديث ملجأً لي

ـ حقًا يا غيمة؟ أهذا حقيقي؟ يا إلهي مبارك لك ستعودي للتألق ثانيةً أنتِ حقًا لا يليق بكِ سوى أفخم المسارح، مبارك لكِ يا حبيبتي هذا القرار حقًا رائع سام سيسر به كثيرًا

وصلني صوته السعيد والمبتهج ولم أجب سوى بكلمتين .. شكرًا لك

فأنا مشتتة بما يكفي لأصنع جملة مفيدة، استمرت المكالمة لفترة طويلة للغاية فهو بقى يثرثر حول كل شيء وأي شيء يبدو أنه حقًا نادم على إهماله لي، تأخر الوقت والجو أصبح أبرد لذا ذهبت إلى فراشي وتدثرت جيدًا بينما لا زال ليل على حاله يصف لي جميع أيامه في الوطن ولا أعلم متى وكيف غفوت بينما أتحدث معه.

****

استيقظت صباحًا بنشاطٍ بالغ وحماسٍ كبير للبيانو رغم حالتي البائسة يوم أمس، احتسيت قهوتي رفقة قطعة من الكعك كعادة لي مؤخرًا أصبحت أعشق الطعم المر للقهوة رفقة الطعم السكري للكعك، أنهيت فنجان قهوتي وجلست أمام البيانو الذي

جلبه ليل لي كهدية.

نظرت للبيانو جيدًا بينما أحرك رقبتي وأصابعي لأدوس المفتاح الأول للبيانو وحينها تذكرت كلمات أبي " ابنتي الغالية تملك أصابع صُنعت من عقيق الأندراديت النادر "

ابتسمت تلقائيًا عند تذكري لتلك الكلمة، رحمك الله يا أبي أنت وأمي لقد اشتقت لكما كثيرًا، بمجرد عبور ذكراهم على خاطري أصابتني قشعريرة قوية لذا قررت العودة بالفعل، سأعود لأجعل أكبر مسارح العالم ترتج بسبب أناملي وعزفي.....

عدلت جلستي ووضعت بسمتي بينما أرى طيف أبي وأمي أمامي وبدأت في عزف إحدى مقطوعات " شوبان"

إنغمست في العزف لدرجة لم أعد أشعر بالعالم من حولي بل كل ما كنت أراه هو أبي وأمي وتشجيع الجمهور لي كما السابق ولم يخرجني من تلك الحالة سوى رنين الهاتف....

سام ملاكي اشتقت لك

- ميمي الجميلة حبيبة قلب سام

ما هذا صغيري من علمك هذا الغزل هاه، سألته بينما ابتسم وهو إحمر خجلًا

- إنه جدي، هو أخبرني بذلك لأنه يسميكِ غيمة الجميلة،

قالها وبعدها رأيت جده وجدته يلوحان لي

لوحت لهما بابتسامة بينما سام أخذ الهاتف وركض بعيدًا

- هل أنتِ متفرغة الآن ميمي؟

سألني بهمس لذا أجبت بالهمس ذاته، أجل صغيري

- أتعلمين لقد تعرفت على صديقة جديدة بالروضة اسمها بيانكا

كان يتحدث بخجلٍ واضح لا أعلم لمَ، حسنًا صغيري هذا جيد

- أجل هي أيضًا أهدتني كتاب تلوين ولكنه لأميرات ديزني ولكني قبلته رغم ذلك، أتعلمين يا ميمي بيانكا جميلة فهي تملك أعين زرقاء كأعين جدتي روزالين.

حقًا صغيري تبدو جميلة تلك البيانكا حقًا، أماء لي بقوة

هل أنت سعيد في تلك الروضة صغيري ؟

- امممم أجل لكن لو كان رالف معي لكنت أكثر سعادة، رغم ذلك أرغب في العودة لرؤيتك لا أحب وجودي هنا من دونك

كلماته أثلجت قلبي فأنا ما زلت غالية لديه كما السابق

- أتعلمين ميمي أول شيء سأفلعه عند عودتي، سأبقى معكِ لمدة أسبوع سأبقى ملتصقًا بك أعانقك وأقبلك وأغفو بجوارك فقط لا غير

كلماته اللطيفة جعلت بعض العبرات الصغيرة تغادر محجري بدون إرادةً مني

- ميمي لمَ تبكين؟

هذه دموع الاشتياق فقط صغيري، أتمنى أن أراك قريبًا

- لا تقلقي فنحن سنعود قريبًا هذا ما قاله أبي لجدي صباحًا

آوه حقًا.. بالمناسبة أين والدك؟

- لقد خرج منذ قليل

همهمت له وظل يروي لي عن بيانكا وباقي أصدقاؤه حتى أتى موعد ذهابي لطلابي الصغار ودعته وارتديت ملابسي وفي طريقي للمدرسة هاتفني ليل

- مرحبًا جميلتي

ما بهما الصبي وأباه منذ الصباح الباكر!! قررت مجاراته فاليوم جميل والطقس منعش ولا أريد لأي شيء أن يعكر صفوي في هذا اليوم اللطيف

مرحبًا وسيمي

- آوه أتغازليني آنسة غيمة؟

ربما .. قليلًا فقط، ولكن ألا يحق لي؟

- بالطبع هو حقك بالكامل، أين أنتِ بالمناسبة هناك ضوضاء من حولك؟

في طريقي نحو المدرسة أملك حصة بعد عشرون دقيقةٍ ربما أو أقل.

- حسنًا عزيزتي أتمنى لكِ يومًا ممتعًا، لا ترهقي نفسك كثيرًا وتناولي الكثير من الطعام اللذيذ فالطقس أصبح باردًا.

طلبات أخرى سيد ليل؟

- فقط كوني بخير وداعًا لنتحدث لاحقًا

وداعًا..

وصلت لمدرستي ورأيت كيفين هناك يروي أزهار الحديقة بنشاطٍ بالغ بينما يهمهم بألحان أغنية ما وبمجرد ما رأني ركض نحوي وأخذني في عناقٍ ضيق بينما يحرك جسدي في رقصة تبدو من اختراعه فخطواتها مبعثرة كعقلي في الوقت الحالي.

كيفين ما بك؟ هل فقدت عقلك أخيرًا؟

ترك عناقي بينما يبتسم بوسع وعاد لمعانقتي مرةً ثانية، إلهي ما به هذا الفتى!

- آنستي الجميلة اللطيفة الحنونة أنا شاكر لكِ كثيرًا

تركني أخيرًا لأربت على وجنته، لمَ أنت شاكر عزيزي هل هناك ما حدث؟

- أجل لقد حصلت على علامة كاملة في اختباراتي بفضل نصائحك لي، ليس هذا فقط بل وتم اختياري لمسابقة الموسيقى، أنا سعيد جدًا آنسة غيمة فشعور النجاح ليس له مثيل.

مبارك لك أنت تستحق ذلك لقد عملت بجهد.

- شكرًا لكِ

يبدو أن اليوم فعلاً سيكون الأفضل حيث تتوالي الأحداث السعيدة بالحدوث واحدة تلو الأخرى، بدأت دروس البيانو واحدة تليها الأخرى وأنا مستمتعة مع الأطفال الصغار اللذين أظهروا تقدمًا واضحًا، أوشكت الشمس على الغروب وحان موعد عودتي للمنزل.

مررت على مقهى السيد كلاريس برفقة ولده كيفين لشراء بعض المخبوزات فشهيتي مفتوحة لليوم وأرغب في تناول كل ما هو لذيذ، في طريق عودتي تمنيت لو كان بإمكاني محادثة ليل ولكن الوقت متأخر هناك الآن لذا راسلته فقط .. " جلبت المخبوزات المفضلة لديك لتناولها بعد العشاء، يومي كان لطيفًا وتمنيت وجودك به"

ضغطت زر الإرسال ولم يمر دقيقة حتى وصلني رنين هاتفي.....

- غيمتي، هناك من يقول أن يومك كان لطيفًا هل لي أن أعلم ما جعل يومك لطيفًا هكذا فأنا أشعر بالغيرة.

قهقهت على كلماته بينما أتوجه لمقعدي المفضل بالحديقة وأكمل مكالمتي، استمر حديثنا لعدة دقائق وبعدها عدت إلى منزلي تناولت عشائي ومخبوزاتي، تدربت قليلًا وغفوت بهدوء وسعادة فيبدو أن الأيام القادمة تخبئ لي المزيد من السعادة.

(١١)

بعد مرور شهرين

مرت سبعة أشهرٍ طويلة منذ غادر سام وليل المدينة، مرت علي الأيام بها أطول من المعتاد، عايشنا بها الكثير من المواقف بين شدٍ وجذب وإهمال، ولكن بعد فترة وضحت الأمور أكثر لعقلي وقلبي معًا.....

منذ شهران وعلاقتنا عادت لمجراها الطبيعي أو بمعنى أصح للوضع الذي يجب أن تكون عليه، نتحدث يوميًا، كلٌ منا يشرح تفاصيل يومه للآخر ، الشتاء قارس البرودة هذا الشهر أتمنى أن يعود سام وليل سريعًا لنتشارك كوبًا من الشكولا الساخنة بينما نتابع أحد أفلام سام المفضلة ولنركض في الحديقة ليلًا أثناء تساقط الثلج.

تدريباتي تسير جيدًا فقد عدت إلى سابق عهدي وأحضر نفسي لتقديم حفلًا في القريب العاجل في العاصمة، منذ عدة أيام ذهبت مع السيدة مادلين والأطفال الثلاث للتسوق وقمت بشراء الكثير من الملابس الرائعة لسام أرجو أن تناسبه فهو بالتأكيد نمى كثيرًا خلال تلك الأشهر، كما اشتريت ثوبًا لي باللون الفضي ربما أرتديه أثناء حفلي الأول، عندما ارتديته للتجربة أنبهر به الصغار ووالدتهم التي شبهتني بالماسة اللامعة.

في ذلك اليوم قضيت الأمسية بالكامل في التحدث لسام وليل ليشاهدوا ماذا جلبت لهم والذي أصاب ليل بأزمةٍ قلبية فهو يراني أدللهم أكثر من اللازم.

اليوم الطقس بارد والثلوج لم تتوقف عن التساقط منذ السادسة صباحًا، كان هناك غصةً بقلبي فليل لم يحادثني منذ البارحة ولا يجيب على مكالماتي أو رسائلي، حتى والديه لا يجيبان أيضًا مما أثار القلق في قلبي أتمنى أن جميعهم بخير.

اعتذر جمع الصغار عن القدوم اليوم بسبب الثلج ولا أملك دروسًا لليوم ولكني أتيت للمدرسة فالبقاء بالمنزل يضيق قلبي أكثر، كنت واقفة أمام النافذة الكبيرة التي تطل على الحديقة والطريق العام بينما أحتسي كوبًا من الشاي الساخن عله يدفئ دواخلي في ذلك الطقس البارد، بينما أحكم الوشاح الأحمر حول جسدي وأراقب المارة القليلين كعادتي القديمة، حينها لمحت ما جعل الدم يتجمد داخل أوصالي وجعل عقلي يتوقف عن العمل لا أعلم هل هذه هي أحلام اليقظة أم مجرد هلاوس

بصرية من فرط الاشتياق!!

هل .. هل هما سام وليل حقًا؟؟!!!

لا أعلم كيف ركضت على درجات السلم كانت قداماي في سباقٍ مستعر أيهما أسرع بالوصول إليهما، ركضت وكأني على حافة الموت وهما ترياق النجاة لا أعرف كيف وصلت لأجدهما أمامي بابتساماتهم الواسعة هما حقيقيان وليس من وحي خيالي البائس

كنت و لازلت معتقدة أنني أحلم رغم هذا العناق الضيق الذي حصلت عليه رغم لمسات الأيادي وقبلات سام إلا أنني لا أستطيع التصديق، إلهي لقد أتوا لقد عادوا إلي كما وعداني، حرارة اللقاء ودموع السعادة ووجودهم أمام عيناي جميعها كانت كفيلة بجعل حياتي تشرق من جديد.

ليل

مر شهران منذ تلك المكالمة التي حدثت بيني أنا وغيمة والتي جعلت الأمور تعود في نصابها الصحيح، خلال تلك الأسابيع كنت أرتب أفكاري وقراراتي الهامة والمصيرية والتي ستعلمون عنها لاحقًا، حاولت الوجود أغلب الوقت بجانب أحبائي جميعًا حتى لا أشتاق لهم نعم فأول قرار من قراراتي كان العودة لغيمتي الظليلة في أقرب وقت يكفي بعدنا عنها طيلة هذا الوقت، حضرت كل ما أحتاج له للعودة برفقة هدية صغيرة جلبتها منذ فترة وسوف اهديها إياها في الوقت المناسب.....

قررت جعل خبر عودتنا مفاجأةً لها، ودعنا الجميع ونحن بالمطار بينما هي لم تتوقف عن الاتصال بي منذ عدة ساعات ولكني لا أجيب، سام لم يكن متحمسًا فقط بل لو يستطيع الطيران أو الانتقال الآني لفعلها حتى يصل إلى ميمي خاصته.

طوال رحلتنا على متن الطائرة لم يكف عن سرد خططه وما يريد فعله مع غيمة، طفلي متحمس للغاية للعودة إلى أحضان غاليته، الرحلة الطويلة والإرهاق لم يوقفوا حماسه بل زادوا من طاقته واشتياقه أضعافًا.

وصلنا أخيرًا إلى مدينتنا الحبيبة والتي كانت مغطاة بالكامل باللون الأبيض فالثلوج تغطي الشوارع بشكلٍ جميل، في مثل هذا الوقت غيمتي تكون بالمدرسة لذا قررنا أن نفاجئها سريعًا أثناء دروسها، طوال الطريق وأنا متشوق لرؤيتها ولمعرفة ردة فعلها على مفاجئتنا هاته.

وصلنا للمدرسة ووقفنا أمام البوابة الكبيرة لأجدها، كانت تقف أمام النافذة بوشاحها الأحمر بينما اللون الأحمر القاني يكسو وجنتيها وأنفها بسبب البرد وبيدها كوبًا من الشاي، لم تتغير غيمة ولم تتغير عاداتها فأنا واثق من وقوفها لتراقب الطريق والمارة كعادتها، سام كان يتلوى حماسًا في يدي بينما عيناها تلاقت بعيناي أخيرًا.

لا توجد كلمات تستطيع وصف دهشتها وتوسع عيناها كانت تنظر بدهشة كبيرة ثم اختفت من أمام ناظري ريثما دلفنا من البوابة وجدناها أمامنا في لمح البصر، وكأنها كانت تطير نحونا وكل ما حدث هو عناقًا ضيقًا جمع ثلاثتنا والكثير من دموعها السعيدة.....

- إلهي أنا أحلم أليس كذلك؟

- سام قبلني أرجوك حتى أتأكد من وجودك أمامي وأنك لست بثراب

اندفع سام نحوها مغرقًا إياها بالقبلات والعناقات المشتاقة والمحبة، ذلك المشهد الذي جعل من مشاعري فوضى عارمة.

- ميمي ما رأيك بالمفاجأة لقد اتفقنا أنا وبابا عليها

- إنها أجمل مفاجأة في العالم ملاكي، لا تعلم كم اشتقت لكما

غيمتي يبدو أن سام سيأخذ كل الترحيب والحب بينما أنا لن أنال شيئًا، قولتها لتستقيم مقابلي بينما تتمسك بكفوفي الباردة بشدة وتلك الابتسامة والنظرة اللامعة لم تفارق محياها منذ أتينا، عانقتني بشدة بدون أي كلمة، بادلتها العناق اللطيف والمليء بالمشاعر لفترة لا أعلم كم طالت، حتى فصلت هي العناق وجذبتني أنا وابني للخارج.

- اليوم ستقضونه معي لا يوجد مهرب، منزلكما بحاجة للترتيب حسنًا هو نظيف فأنا حرصت على ذلك ولكن اليوم أنتما لي، لنصنع طعامًا لذيذًا نتناوله معًا ونشبع الشوق بيننا، لا أعذار.

حسنًا حبيبتي لكِ ذلك، توجهنا للمنزل ببهجةٍ كبيرة متعانقي الأيدي، بمجرد وصولنا للمنزل غفى سام على الأريكة رفقة ديناصوره الحبيب

- ليل عزيزي خذ سام للغرفة وحاول النوم جواره ريثما ينتهي الغداء

لمَ ألا تريدين المساعدة؟ سألتها بينما أتمسك بأناملها

- لا حاجة لذلك، أنت بحاجة للراحة هيا نم قليلًا ريثما أنتهي

حسنًا، طبعت قبلة على ظاهر كفها وحملت ملاكي الصغير وذهبنا للغرفة والتي كانت لطيفة ومريحة كمالكتها وأيضًا مليئة برائحتها رائحة غيمة التي تشبه الجنة.....

غيمة

غفى ليل في لحظات بالطبع هو متعب من رحلتهم الطويلة، شرعت أنا في إعداد الطعام المفضل لكليهما بينما قلبي يرقص فرحًا فملاكي وحبيبي نائمان بالداخل، لقد عادا أخيرًا بعد سبعة أشهرٍ مرت علي كأبد الدهر.

تركتهما يرتاحان لساعتين وقمت بترتيب كل شيء وحان وقت ايقاظهما، حمدًا لله كنت أملك مكونات الطعام بالمنزل كما أملك بعضًا من ملابس سام وليل ليبدلان ثيابهما لأخرى مريحة.

سام ملاكي هيا الطعام جاهز، ليل عزيزي هيا لقد جهز الطعام، حاولت ايقاظهما ولم يصلني سوى همهمات غير مفهومة منهما حقًا من شابه أباه... الموقف بأكمله جعلني أسرح بخيالي بعيدًا ماذا لو أصبحنا أسرة حقيقية وأصبح هذا روتين حياتنا؟ الفكرة ذاتها أشرقت السعادة في دواخل قلبي.....

استيقظ الكسولان خاصتي أخيرًا، تناولنا الطعام بينما نثرثر حول كل شيء وأي شيء فقد اشتقت لهذا التجمع الذي افتقدته لأشهرٍ طوال، انتهى الطعام لنقوم بالشيء المعتاد لنا والذي أصبح ذات معنى لا يدركه سوى ثلاثتنا، فقد أعددنا كعكة التوت الأزرق وبينما هي في الفرن بانتظارها حتى تنضج رن جرس المنزل فقد وصلت هديتي.

رالف واخوته اللذين ملأوا المنزل ضجيجًا وصراخًا محببًا لقلبي احتفالًا بعودة سام، لا أدرك كيف ومتى تم جذبي من قبلهم لندخل في عناقٍ جماعي أنال جراءه عشرات القبل من أربعة ملائكة صغار ملأوا حياتي بهجة.

لنختم يومنا بسعادة كبيرة كأسرةٍ صغيرة ودافئة في تلك الليلة الشتوية الباردة.

(١٢)

عادت حياتنا لمجراها الطبيعي كما السابق، سام ورالف بالروضة حيث أمامهم بضعة أشهر ويلتحقوا بالمدرسة مثل بيتر وليا، ليل في عمله وأنا في المدرسة أتابع تلاميذي وتدريباتي، كما أن حفلتي الأولى ستقام بالعاصمة بعد ثلاثة أسابيع من الآن، لقد استعديت لها جيدًا كما أنني بانتظارها بفارغ الصبر.

نجتمع كل ليلة على طعام الغداء أو العشاء كعادتنا سابقًا، حياتنا مستقرة ولطيفة والأيام تمر بوتيرةٍ هادئة، كنت أحضر لحفلي بشغفٍ واضح للجميع، قمت باختيار مسرحٍ مميز بمنتصف العاصمة ودعوة العديد من العازفين والموسيقين إلى جانب جميع معارفي هنا.

هو ليس بحفلٍ كبير ولنفترض أنه مجرد حفل تجريبي لي، وصل يوم الحفل سريعًا كنت متوترةً للغاية بينما أجهز نفسي فعودتي للعزف ليست بهينة على قلبي المضطرب والخائف، أعصابي تالفة وهناك رعب يفتك بي أعتقد أن ما يحدث لي شيئًا مشابه لرهاب المسرح كما قرأت فقد ابتعدت عن العزف أكثر من أربعة أعوام، ولكن وجود سام وليل حولي كان يشدد من أزري وعزيمتي فهما يشجعاني في جميع خطواتي وقراراتي الخاطئ منها والصائب.

ارتديت ثوبي فضي اللون الذي قمت بشراؤه لهذه المناسبة الحماسية، صففت شعري ووضعت أحمر شفاهي وعطر الياسمين بينما كان سام وليل بانتظاري في السيارة لنذهب معًا.

كل خطوة كنت أخطيها خارج شقتي تزيد من حدة ضربات قلبي، كفاي يرتجفان بينما صوت كعب حذائي الرفيع يرن بآذاني كسمفونية عذاب.....

وصلت أخيرًا للسيارة لأجد رجلاي الوسيمان في أبهى حلة، هما كانا بانتظاري خارج السيارة بينما ليل يرتدي بذلة سوداء وقميصًا باللون ذاته وملاكي يرتدي حلة بلون السماء وربطة عنق على شكل فراشة باللون الأبيض، كانا وسيمين بطريقةٍ مرهقة لقلبي.

- جميلتي أنتِ تتلألأين كماسةٍ نادرة من نوعها

كلمات ليل جعلتني ابتسم بوسع، فقد حصلت على قبلة على وجنتي من ملاكي الصغير وأخرى على أناملي من محبوبي، تلك القبلة التي أصبحت من عاداته مؤخرًا، الطريق كان هادئًا للغاية أنا فضلت الصمت لأحضر ذاتي نفسيًا وعقليًا للآتي ويبدو أنهما فهما ذلك واحترماه جيدًا.

مكان الحفل كان أنيقًا بمساحة متوسطة، بينما أنا في الكواليس كنت أستمع لصوت الحضور ومن ضمنها صوت رالف وسام المتحمسان حيث كانا يشجعانني وكأنها مباراة لكرة القدم وليست حفلًا موسيقيًا.

رُفع الستار وتقدمت أنا بخطواتٍ بطيئة نحو البيانو الأسود اللامع في منتصف المسرح، قلبي يطرق بعنف وعادت لي ذكرى أيام مجدي السابقة حيث المسارح وآلاف الجماهير لتجتاحني ثقة عميقة لا أعلم كيف وصلتني!

انحنيت للحضور بخفة وجلست بمكاني أمام البيانو على ذلك المقعد المخملي، الضوء بدأ يخفت بهدوء لتصدح أصوات الموسيقى بمجرد لمس أناملي لتلك المفاتيح وسط الصمت من حولي عزفت إحدى أشهر العزوفات الموسيقية وانتقلت لعالمي الخاص، لم أعد لذلك العالم إلا بعد انتهاء المعزوفة وسماعي لصوت التصفيق الحاد.

عادت الأضواء لتنير ما حولي وكان الجميع يصفق بإعجاب وحماس شديد بينما ركض سام ورالف نحوي وحصلت منهما على الكثير من القبلات اللطيفة، وهناك أمام المسرح كان يقف الرجل الذي أحب .. أول رجل يدق قلبي بمجرد رؤيته وتبرد أطرافي، الوحيد الذي بسببه تشق البسمة وجهي بمجرد سماع صوته، كان يتوجه لي بخطوات هادئة بينما توتري زاد أضعاف عندما رأيت في الحضور والديه ووالدا روزا الراحلة، لم أكن أعلم بحضورهم

ليل يتقدم نحوي بينما سام يقف بجانبي ورالف لا أعلم أين اختفى، الأصوات هدأت من حولي لا يوجد صوت سوى قرع خطواته ودقات قلبي، وصل لي أخيرًا بعد ثوانٍ أخذت من عمري الكثير ولم يكن منه سوى الركوع على ركبةٍ واحدة بينما هناك علبة مخملية باللون الأحمر بيده مفتوحة يطل منها خاتم ألماسي أدرك ماهيته جيدًا.....

جسدي يرتجف لا أتنفس جيدًا، أشعر بقلبي يمزق قفصي الصدري ويحلق بعيدًا في عنان السماء، هل ما أعتقده سيحدث حقًا؟

- غيمتي وحبي وحياتي أتقبلين بهذا الرجل أمامك زوجًا وأبًا لكِ في أيامك السيئة قبل الجيدة؟

- أتقبلين أن تكوني غيمتي الظليلة وسمفونيتي ومعزوفتي الثمينة يا صاحبة أنامل عقيق الأندراديت، لنكمل حياتنا معًا بينما يغزو الشعر الأبيض رأسينا ونصنع كعكة التوت الأزرق لأحفادنا

- لتكوني رفيقتي وصديقة وحدتي وسكينة قلبي، أتقبلين الزواج بي يا غيمة؟ الرفض غير مسموح يا حبيبة قلبي

بعد كل هذا الوقت أدركت إنني لم أهديكِ ولو زهرةً واحدة ولكني قطعت القارات لأجلك وحدك وأنا على استعداد تام لتحدي العالم وعبور الأكوان وليس مجموعة دول لأجلك غيمتي

لم أشعر بنفسي سوى عندما ارتميت بين ذراعيه وعيناي تأبى التوقف عن ذرف الدموع، دموع السعادة .. تلك السعادة التي لم تطرق بابي منذ فقدت والداي الغاليان

لا أعلم كم طال ذلك العناق أو كم ذرفت من الدموع، أبعدني ليل عن أحضانه لينظر لي بحب....

- لم أحصل على إجابة حتى الآن يا غيمتي الدافئة

هززت رأسي بقوة بينما أصرخ أجل موافقة لنكن معًا إلى أبد الأبدين، قطع لحظتنا الثمينة صوت انتحاب رالف العالي

- أمي لقد تركتني ميمي وستتزوج العم ليل بمن سأتزوج الآن؟

عمَّ المكان صوت الضحكات بسبب جملة رالف الصغير، ابتعدت عن ليل سريعًا بمجرد تذكري لوجود والدا روزا لا أود جرح مشاعرهما بمشهدٍ كهذا بينما هم فقدا ابنتهما، كانا يتوجهان نحونا هما ووالدا ليل

ما فاجئني كانت الابتسامة المرسومة على ثغر أربعتهم وتقدم السيدة روزالين نحوي حيث أخذتني في عناقٍ دافئ رغم أنها المرة الأولى لنا التي نلتقي بها

- مبارك يا ابنتي، أتمنى لكِ حياة سعيدة، يبدو أن الله قرر تعويضي بابنة أخيرًا، لن أوصيكي على سام أنا أعلم جيدًا مقدار حبك له ولكن أتمنى أن أحصل على مقدار ولو قليل من ذلك الحب لتعتبريني أمًا لكِ تقف جوارك في أيامك القادمة.

كانت تبكي بينما تخبرني بذلك وأنا أيضًا لم أتمالك دموعي لذا ضممتها لي بشدة، ذلك العناق الذي اشتقت له بشدة عناق الأمهات الدافئ، يبدو أن الأيام ابتسمت لي لتقوم بتعويضي جيدًا بعائلة محبة كتلك العائلة.

حصلت كذلك على عناق ضيق آخر من السيدة بيترا والدة ليل ومن والده كذلك، ولكن سام أين سام؟

بحثت عنه بعيناي سريعًا لأجده خلفي يبعد عنا بضع خطوات بينما دموعه تملأ وجنتيه، أصابني الخوف هرعت نحوه لأرى ما به

ما بك ملاكي لمَ تبكي؟ تشبث بعنقي وغمر وجهه في كتفي بينما ازداد صوت بكاءه حدة

- هل الآن يمكنني مناداتك ماما غيمة؟ لطالما أردت قول كلمة ماما

ضممته أقرب إلي بينما أبكي فكل ما يحدث كثير على قلبي المرهق، بالطبع صغيري نادني كما شئت فأنت طفلي وملاكي الثمين.

تلك الأمسية برغم الدموع بها إلا إنها كانت من أسعد أيام حياتي، فقد حصلت على زوجٌ رائع وملاك صغير وعائلة كبيرة، خرجنا من مكان الحفل وتوجهنا إلى مطعمٍ جميل كان محجوزًا بالكامل لنا مع عائلتنا الكبيرة جميع معارِفنا في تلك المدينة البعيدة موجودين بجوارنا ليشاركونا أمسيتنا السعيدة، بينما سام ورالف ملتصقان بي صدح صوت البيانو يملأ المكان ولم يكن سوى كيفين يقدم لنا معزوفة رائعة لـ" جيوفاني مارادي" معزوفة أنتِ فقط .

ليتقدم ليل نحوي بذات الابتسامة الساحرة وكفه تمتد لي.....

- أتسمحين بمراقصتي آنستي

امئت له بسعادة تحت تذمرات الطفلين بجواري واللذان جوارانا في رقصتنا الأولى على هذه المعزوفة الموسيقية الرائعة، لم يكن نحن فقط من نرقص بل أشعر بالعالم جميعه يرقص من حولي، أهذه السعادة الحقيقية التي لطالما سمعت عنها وقرأت عنها في الروايات؟

انتهى العشاء المميز والأمسية السعيدة ليتجه كلٌ منا إلى منزله بينما أنا تائهة أعيد أحداث اليوم في عقلي مرارًا وتكرارًا بينما أنظر لذلك الخاتم الألماسي في بنصري الأيمن، أتمنى أن تدوم أيام سعادتنا مطولًا.

ليل

يوم حفل غيمة هو اليوم المختار لتقديم هديتي والتي جلبتها معي منذ عدة أشهر سابقة، ذلك الخاتم الرقيق برقة غيمتي ورقة روحها وقلبها، نعم فأنا قررت الزواج بها ولن أسمح لها بأن ترفض.

تقاطعت طرقنا قبل قرابة العامين لنصل ليومنا هذا ونتأكد أن تلك المصادفة لم تكن سوى ترتيبًا كونيًا لنكن معًا في تلك البلاد البعيدة، شخصان مختلفان كل الإختلاف من أوطانٍ مختلفة ولغاتٍ مغايرة يجتمعان أسفل سماء تلك المدينة الصغيرة والبعيدة ليكونا الصحبة والونس لبعضهما البعض، حقًا ترتيبات الرب دائمًا رائعة.

أمي روزالين هي من شجعتني على هذه الخطوة، فهي رأت في غيمة ابنتها الراحلة، كما رأت كيف تحب سام وترعاه، جميعهم وصلوا إلى هنا قبل حفل غيمة بيوم لتكن مفاجأة لها، ذلك الحفل الذي يعيدها إلى عالمها الخاص وإلى سابق عهدها، كما سيجمعها بي ...

كانت تتألق على المسرح كنجمةٍ ساطعة بذلك الثوب اللامع وأنا في مكاني أمامها منتظر انتهائها بلهفة فقد حان الوقت.

عرض زواجي لم يكن مرتبًا أنا فقط أخرجت الكلمات الموجودة بقلبي ولذلك هو وصل لها سريعًا، لن أنسى العناق

الباكي الذي حصلت عليه منها أو تلك البسمات السعيدة التي حصلت عليها من الجميع.

عند وفاة روزا ومغادرتها لعالمي توقعت أن أظل في انهياري حتى ألحق بها، لم أتخيل أنني في يوم من الأيام سأبتسم وأشعر بالسعادة بل والحب أيضًا، ذلك الحب الذي زرعته غيمة بقلبي بسبب تصرفاتها الحنونة ومشاعرها الدافئة والرقيقة.

الوقوع في الحب مرةً أخرى لم يكن ضمن حساباتي أو في قائمة اهتماماتي على الإطلاق، سعادة ابني الواضحة وسعادة عائلتي أكملت أمسيتنا الباهية حتى تذمرات رالف وتشبثه بغيمة أضافت جمالًا لليلتنا.

في تلك الليلة نمنا جميعًا بقلوبٍ سعيدة وطمأنينة تغلفنا لتشرق شمس صباحًا جديد في سماءنا وتبدأ حياتنا السعيدة في منحنى أخر.

غيمة

مرَّ أسبوع منذ حفلي الرائع وخطبتي لمحبوبي الوسيم السيد ليل، خلال هذا الأسبوع كان خبر عودتي للعزف قد انتشر على نطاقٍ واسع ووردتني عشرات المكالمات للتأكد من هذا الخبر، من ضمن هذه المكالمات وصلتني مكالمة من موطني من واحدة من أكبر دور الأوبرا في العالم والتي أديت بها أكثر من مرة، يطلبون مني إقامة حفل عودتي بها ليكون حفلًا يليق باسمي كواحدة من أشهر العازفين بالعالم.

بالطبع ترددت كثيرًا وطلبت منهم مهلة للتفكير فعودتي إلى الوطن ليست بالشيء الهين بالنسبة لي، ليل كان بجانبي وشجعني على العودة، ربما أوافق وأعود بالفعل ولكن ليس لإقامة حفل أو حتى بسبب الحنين إلى الوطن بل رغبةً مني في زيارة والداي، أود أن يلتقي ليل بهما أود زيارة منزلي الذي هجرته منذ مدة طويلة.

وبعد الكثير والكثير من التفكير والمشاورات وافقت على إقامة الحفل بعد شهر من الآن، كنت أتدرب يوميًا بعد انتهاء دروس الأطفال حيث أصبحت تلك المدرسة هي بيتي الثاني أو الثالث لو احتسبنا منزل ليل، الأيام مرت سريعًا وحل الربيع وطقسه الرائع وحان وقت عودتي إلى موطني الحبيب بعد أكثر من عامين من الغربة الموحشة.

لن أنكر خوفي من الذهاب وتوتري طيلة رحلتنا ولكن وجود سام وليل بجانبي طمأن قلبي، وصلنا بعد الكثير من الساعات على متن الطائرة، لم أستطع الذهاب لمنزلي في هذا الليلة، تحججت بالليل والظلام ولكن الخوف هو من منعني وأعتقد أن ليل يدرك ذلك جيدًا.

وصلنا قبل الحفل بأربعة أيام حتى أستعد جيدًا نفسيًا قبل جسديًا، في صباح ليلة وصولنا ذهبت للمنزل، لمنزلي أنا ورفيقا روحي وأحبتي من غادراني أبي وأمي، لا توجد كلمات تصف شعوري بوجودي هناك بدونهما بعد كل هذا الوقت، كنت أتحسس الجدران والأثاث وكل ركن بهذا المنزل يصرخ بذكرياتنا معًا، صورنا المعلقة هنا وهناك، ملابس أمي وعطر أبي، لم أبكي كما توقعت ولكن كان هناك غصة عالقة بقلبي.

سأبقى هنا في مدينتي لمدة أسبوع قررت أن أقضيها في منزلي بين ذكريات طفولتي وأطلال أبي وأمي، ليل كان يساعدني في تنظيف المنزل بينما سام يشاهد ألبومات صوري منذ يوم ولادتي وحتى يوم الحادث المشئوم، فأنا أملك مئات الصور حيث كانت أمي تحب توثيق كل حركة وفعل لي بشكل يومي.

انتهينا من التنظيف وطلبنا الغداء من الخارج، كنت أشعر بروح أبي وأمي حولي وكأن صوتهما يناديني حينها تذكرت مكالمة سام حينما شعر بوجود والدته وخاف من هذا الشعور،

ابتسمت تلقائيًا على تفكيري الطفولي الذي خيل لي وجودها بجواري تربت على يدي.

تلك الليلة قررت صنع كعكتنا المفضلة كعكة أمي كعكة التوت الأزرق حتى يمتلئ هذا المنزل برائحتها ودفئها لنحي ذكراها معًا، كنت نائمة بغرفتي بينما ليل وسام بالغرفة المجاورة لي ما سمح لي بحرية التحرك، في منتصف المنزل كانت صورة كبيرة لثلاثتنا معًا خرجت لأقف أمامها ولم أمنع دموعي حينها من السقوط، طال وقوفي هناك ولم أتفوه بحرفٍ واحد بل تركت العنان لعبراتي تعبر عما بداخلي من مشاعر كثير غير مترابطة.

لا أعلم كيف ومتى غفوت على الأريكة أسفل تلك الصورة ولم أعي على نفسي سوى بشعوري بقبلات كثيرة تغرق وجهي ولم يكن سوى ملاكي الذي لم يغير من عادته اللطيفة تلك مهما حدث

- صباح الخير ميمي، لمَ نمتِ بالخارج هكذا؟

صباح الخير صغيري، لقد غفوت دون أن أشعر

- صباح الخير، لقد جهزت الفطور

صباح الخير لك أيضًا عزيزي، جيد فنحن علينا الذهاب لمكانٍ ما بعد قليل فهو موعد هام

- حسنًا..

تناولنا الطعام وارتدينا ملابسنا فنحن لدينا موعد هام بل ويومٍ هام أيضًا، قدت السيارة والتي لم أرها منذ مدة كبيرة فقد اشتقت لها كثيرًا فهي كانت هديتي عندما أتممت عامي العشرون.

بعد القيادة لمدة في شوارع تلك المدينة الكبيرة والتي كان سام منبهرًا بكل ما فيها وصلنا لوجهتنا حيث يرقد أبي وأمي، تلك كانت زيارتي الأولى لهما وضعت لهما باقة الياسمين التي جلبتها خصيصًا لهما وحاولت الوقوف بثبات، زفرت أنفاسي وبدأت كلماتي....

أبي .. أمي مرحبًا اشتقت لكما كثيرًا، آسفة على مغادرتي وابتعادي بهذا الشكل أعتذر منكما وأرجو أن تسامحاني، هذان سام وليل حدثتكم عنهما كثيرًا واليوم هم معي هنا

انهيت جملتي ونظرت نحو ليل الذي تقدم والقى عليهما التحية في هدوء بينما سام رد فعله كان مختلفًا وغير متوقع بالمرة

- مرحبًا جدي وجدتي، أنتما برفقة ماما روزا بالجنة أليس كذلك؟

- سام يحبكما كثيرًا لأنكما السبب في تعرفي على أمي غيمة الجميلة، شكرًا لكما وأعدكما أن أحب ماما غيمة إلى الأبد ولن أسمح لها ان تحزن من أي شيء.

وأنهى جملته بوضع قبلة على صورة كل منهما الموضوعة على شاهد القبر، وركض نحوي يعانقني بقوة بينما يهمس بجملة رائعة

- أحبك ماما

ماما تحبك أيضًا يا ملاكي

زيارتنا للمقابر مرت سريعة فلم نبقى كثيرًا وغادرنا من هناك إلى وجهتنا التالية وهي تلك المدينة الساحرة فقد وعدت سام بالتجول بها حتى نتعب وهذا ما حدث.....

يوم الحفل وصل سريعًا، ذلك اليوم كنت أملك الثقة الكاملة لتقديم حفلًا رائعًا وهذا ما حدث على ذلك المسرح العريق بين جموع الصحافة وقنوات البث المباشر والكثير من الجمهور المحب للموسيقى.

ليل

شاكرًا أنا للغاية لموافقة غيمة على ذلك الحفل في مدينتها الأم، فهي كانت بحاجة لتلك الزيارة وبشدة خاصةً زيارتنا لقبر والديها كنت خائفًا عليها من تلك الزيارة ولكنها قوية بما يكفي بل قوية أكثر مما توقعت ومرت تلك الزيارة بسلام فهي كانت زيارة تعارف بيننا كما قالت غيمة، وقتنا هناك كان مليء بالخروج والتنزه ولكن أجمل ما فيه كان حفل غيمة

كانت فائقة الجمال بثوبها الأسود الأنيق، كل ما بها يصرخ جمالًا ثوبها ملامحها خصلاتها الداكنة وحتى تحركات أناملها التي ترقص بانسيابية تامة على مفاتيح تلك الآلة، المكان كان أكثر فخامة مما تخيلت، الكاميرات تملأ الأرجاء والكثير من القنوات تبث الحفل حتى السيدة مادلين وأبي وأمي يتابعانه على التلفاز رغم وجود كل منهم في قارة مختلفة، كل هذا نتاج شهرة حبيبتي وعملها الجيد طوال السنين، نتاج حب والدها واهتمامه.

لم يطول بقاءنا في تلك المدينة الكبيرة والتي أعجبني طقسها وبشدة حيث الربيع الدافئ المزهر بعكس مدينتنا الباردة على الدوام، عدنا لحياتنا وعادت غيمة لدروسها وانهالت عليها عروض الحفلات ولكنها كانت تقبل القليل منها حتى لا تبتعد عنا كثيرًا أنا وسام، ولكننا حتى الآن لم نحدد موعدًا للزواج

لذا علي التحدث معها عن ذلك قريبًا.....

كان يومًا معتدلًا ورائع الطقس قضيناه في الحديقة لذا قررت فتح هذا الموضوع الهام بينما يلعب سام برفقة رالف واخوته

غيمة نحن حتى الآن لم نحدد موعدًا للزواج أو حتى نتحدث حول زواجنا، نظرت لي مطولا وأجابت ببساطة شديدة....

- ما رأيك لو أقمناه في الصيف شهر يوليو أو ربما أغسطس؟

بهاته السرعة!

- آوه ظننتك متعجل حسنًا لنقيمه بعد عامان من الآن

قالتها بينما تضحك، بالطبع أنا متعجل ولكن الصيف قريب هل سيكفينا الوقت المتبقي للتحضيرات الخاصة بالزواج؟

- سيكفي بالطبع نحن لدينا منازلنا وكل ما نحتاج إليه كل ما سيحدث هو انتقالي إليكم أو انتقالكم لمنزلي أو لنسكن بالشقتين كما الآن، وحفل الزفاف سنجد مكان مناسب له سريعًا

ولكن ألن نشتري منزلاً أكبر؟!

- لا حاجة له الآن ربما في المستقبل، ثم أنا نفذ صبري أرغب بالزواج قريبًا لا أطيق ابتعاد سام عني

سام فقط؟ سألتها لتحمر خجلًا وتشيح بنظرها بعيدًا عني

ولكن هل سنقيم الزفاف هنا؟ سألت فنحن لم نقرر أين وكيف سنعيش ويبدو أننا سنستقر هنا

- أجل لنقيمه هنا، لقد جمعتنا تلك المدينة وشهدت على حبنا لذا يجب أن تكون هي الشاهد أيضًا على زواجنا وبقاءنا معًا إلى أخر العمر

حسنًا لنقيم الزفاف هنا رفقة من نحب وبوجود عائلتنا

السادس والعشرون من يوليو

{يوم الزفاف}

قررنا إقامة زفافنا في حديقة كبيرة مخصصة لحفلات الزفاف، جميع التجهيزات مرت سريعًا وبسهولة فنحن تلقينا الكثير من المساعدة ممن حولنا، السيدة كيارا وجدت لنا الحديقة التي أردناها، السيد كلاريس والسيدة آرييننا جهزوا جميع الأكلات الخاصة بالحفل ، السيدة مادلين وزوجها وشقيقتها مصممة الأعراس تكفلوا بتزيين الحديقة كما رغبنا، وهناك كيفين سيكون العازف الخاص بنا في تلك المناسبة الرائعة.

أمي روزالين كانت معي في كل خطواتي بدايةً من اختياري لفستان الزفاف وحتى زينة وجهي وتسريحة شعري، كل هذا تم ولم يرى ليل أيًا منه فهو فأل سيء كما تقولي أمي بيترا، أنا أيضًا لم أرى بذلة سام أو ليل فهما قاما بتخبأتهما وكأنهما سرًا حربي.

استعديت وارتديت ثوب زفافي الأبيض المتلألأ والمصنوع من الكثير من الطبقات كأثواب وفساتين الأميرات، تزينه تلك الفصوص الزجاجية اللامعة بزينة وجهي الرقيقة وطوق الورد يزين شعري الذي تم تصفيفه على شكل كعكة لطيفة .

صدحت الموسيقى تملأ الأنحاء سرورًا وحان وقت خروجي لرؤية رجلي الوسيم وملاكي الصغير، كنت أتقدم بهدوء بينما أتمسك بباقة ورد من التوليب الأزرق والياسمين الأبيض إضافةً للخزامى، حينها رأيتهم ليل بحلته الزرقاء المخملية الرائعة فهو يبدو كأميرٍ وسيم حقًا، سام ببذلته البيضاء يبدو كالملاك حقًا بينما يمسك بخاتمينا في يده.

تلك البسمات ودقات القلوب، شعورًا لا يضاهيه أي شعور أخر فأخيرًا حصلت على عائلتي الخاصة وسعادتي الخاصة، تلك النظرات التي حصلت عليها من ليل وتلك القبلة الحانية على جبيني كانت خير تأكيد على حسن اختياري، ذلك الحب الممنوح دون قيدٍ أو شرط جميعها إثباتات على أن أيامًا كثيرة سعيدة في انتظاري.....

****

لا أعلم كيف صمدت حتى وصل هذا اليوم، يوم زفافي أنا

وغيمتي الدافئة، كنت بانتظارها في مكاني بقلبٍ وجل وبجواري ابني المتلهف لرؤيتها تطل علينا بالأبيض كأكثر أشياؤه الثمينة بالعالم

وظهرت هي بثوبها الرائع والذي جعلها تبدو كالأميرة وتلك الوردات الزرقاء التي تصقل بياض ثوبها وتبرزه

وصلت لي أخيرًا بذلك الجمال والبسمة الساحرة التي تهت بها بمجرد التقاء ناظرينا، انتهت نذور زواجنا وختمتها أنا برجاء وطلب " غيمتي عديني أن نظل معًا أن تظلي بجواري، لنبقى معًا مهما كانت الظروف والأحوال، عديني ألا يفرقنا أي شيء مهما كان حتى لو الموت ذاته، لنحيا معًا ونموت معًا مهما كانت الظروف "

اماءت لي بينما تلمع عيناها بالدموع لأختم رجائي هذا بقبلةٍ رقيقة كرقة غيمتي، زفافنا كان أكثر من رائع بوجود جميع من نحب والموسيقى الرائعة حولنا وسعادة الجميع لنختم بذلك قصة عازفة البيانو الهاربة والزوج المكلوم اللذان هربا مبتعدان عن الحزن والضجيج ليجدا الدفء بقربهما من بعضهما البعض دفء برائحة التوت.

حكايا زهرة الكرز

"حتى نلتقي"

(١)

زهرة

هذا كان أجمل عرض زواج رأيته في حياتي، ربما كان هذا العرض الثاني الذي يعرضه علي مراد ولكن الأول لا يحتسب فهو لم يكن بين مراد وزهرة بشخصهم الحقيقي بل كان لزهرة المخادعة ومراد الغافل عن الحقيقة.

بينما هذا العرض كان لزهرة الحقيقية هذا العرض تم بثقة خالصة وعفوية نابعة عن حب حقيقي وليس مجرد خُدعة أو كمين للانتقام كما السابق.

من بعد هذا العرض اللطيف ظللنا لمدة تقارب الأسبوع لا نفعل شيء سوى التحديق ببعضنا البعض عبر النوافذ وإرسال الابتسامات السعيدة، كل ما حدث كان مفاجئ بالنسبة لي ولأصدقائي أيضًا، بعدما حملني مراد وركض بي خارج المطعم شعرت وكأن روحي التي غادرتني عند وفاة والداي عادت لي.

كنا نركض في الشوارع بسعادة وضحكاتنا صداها يملأ الأرجاء بينما نتعانق بين كل خطوة وأخرى، الشعور بداخلنا لا يمكن وصفه فعندما تعرفت بمراد كانت خطتي هي إيقاعه لي وهجره ولكني بادلته الحب وفرقتنا الظروف والمواقف ثلاثة أعوام كبيرة لنعود بعدها سويًا بين شد وجذب ونفور وتجنب كل منا للأخر طيلة الشهور ليكون الختام أن نقع بحب بعضنا البعض من جديد.

سعادة أصدقائنا بنا لم تقل عن سعادتنا، نحن بالطبع وافقنا على الزواج والارتباط ببعضنا البعض مدى الحياة لنصبح رفيقان في الصعاب قبل اللين، لنتشارك السعادة والحزن الصحة والمرض، وافقنا على تكوين أسرة متحابة نقودها نحن نحو ارتباطٍ أبدي حتى تفنى أجسادنا وتتعانق أرواحنا بالسماء.

رغم ذلك لم نقرر القادم بعد متى سنتزوج وأين أو حتى أين سنعيش ولكني قررت بالفعل وأعتقد قراري هذا سيسعد مراد كثيرًا .....

مراد

عندما ذهبت إلى تورينو لم أكن أتوقع حدوث كل ما حدث خلال الأشهر المنصرمة بل كل ما حدث بها فاجئني، حتى قراري بالزواج من زهرة فاجئني فهو لم يكن مُرتب من قبل فأنا لم أحضّر لكلماتي أو أقوم بترتيبها هي خرجت دون أي ترتيب مني ولكنها لامست قلبينا، قد يراني البعض مختلًا لعودتي لزهرة وحبي الجم لها رغم عداوة عائلتينا ولكن كل هذا لا يهم فالحياة قصيرة، أقصر من أن نضيعها في عداءٍ لا طائل منه أقصر من أن نستخدمها فقط لنمارس الكره والبغض تجاه بعضنا البعض.

لا توجد كلمات تصف سعادتي بموافقة زهرة ولمعة عيناها وضحكتها الواسعة، كنت على أتم استعداد لاختطافها حقًا والهرب بعيدًا حتى نحيا بسلامٍ وسعادة، فأنا لم يعد يهمني لا عمل ولا مال أو حتى وطن فوطني هو زهرة، ولكن يبدو أن لنجمة قلبي رأيًا آخر ....

زهرة انتهى مارس وشارف إبريل على الانتهاء ونحن لم نتزوج بعد.

- لما العجلة!

عن أي عجلةٍ تتحدثين لقد أضعنا الكثير من الوقت.

- العمر مازال أمامنا يا عزيزي.

لا أرغب في إهدار يومٍ واحدٍ دون وجودك بجانبي يا زهرة لذا لمَ التأجيل؟!

- مراد أين سنتزوج وكيف سنعيش حياتنا هل فكرت بذلك؟

سألتني لتزداد حيرتي، بالطبع أنا لم أخطط لشيء دون علمها لذا نحن الآن نتحدث.

لا أعلم لم أخطط لذلك بعد، ولكن يمكننا البقاء هنا في تورينو لتظلي برفقة أصدقاؤك ومعارفك.

- هل ترغب أنت بذلك؟

لا يهم يا زهرة رغباتي لا تهم، كل ما يهمني هو أنتِ وما ترغبين به.

- إذًا أيمكننا العودة للوطن؟

ما قالته زهرة صعقني وبشدة فأنا لم أتوقع منها ذلك أبدًا بل وللحق ظننتها تكره الوطن بكل ما به من ذكريات وأوجاع مرت بها.

لا أفهمك زهرة

- هل كلماتي غريبة حقًا؟

بالطبع.. فأنا لم أتخيل رغبتك في العودة لهناك مهما حدث.

أنهيت كلماتي لأراها تتقدم نحوي تنظر داخل عيناي بينما كفها الصغير يلامس وجنتي بحب، كانت تنظر داخل عيناي وكأنها تقرؤني، تقرأ اشتياقي لأبي وأصدقائي وبيتي والأهم هو اشتياقي لأمي وقبرها وحياتي السابقة.

- مراد ربما أنا لم أعد أملك هناك أي شيء يدفعني للعودة، ولكن أنت تملك الكثير، تورينو أصبحت وطني منذ قدومي إليها فهي كانت الدفء الذي فقدته وأهدتني عائلة بدلًا مما فقدت، لكن مازال هناك ذكرى أبي وأمي وقبرهما، هناك والدك وعملك وحياتك وكل ما تملك مراد.

- ربما ترى كلماتي غريبة بعض الشيء ولكن وطني هو أنت حيثما تذهب سأتبعك بكل حب وإخلاص، أنت هو منزلي وحياتي القادمة مراد لن أشعر بالسعادة طالما أنت حزين أو تشعر بالغربة.

فقدت كل كلماتي لذا فقط عانقتها عناق يحمل كل الكلمات والمشاعر التي لم أستطع نطقها، فصلت العناق لأهمس لها بشكري وامسح دمعة تمردت من أعيننا .....

قضينا اليوم نتحدث عن الكثير مما سوف نفعله، فقررنا العودة للوطن في أقرب وقت ولكن زهرة رفضت بيع شقتها بتورينو كما طلبت مني شراء شقتي ليظل لنا مكان خاص بنا في تورينو تلك المدينة التي جمعتنا مرة أخرى لنحتفظ بمنازلنا وذكرياتنا بها.

وعدتها بتنفيذ طلبها، كما وعدتها بعدم الانقطاع عن تورينو بل سنزورها من وقتٍ لآخر حتى نرى أصدقاءنا والأشخاص الذين نحب من وقفوا بجانبها واحتوا وحدتها فهم عائلتها الآن.

في خلال الأيام التالية كنا أخبرنا الأصدقاء بقرارنا ورغم حزنهم الشديد لمفارقة زهرة لكنهم سعداء لأننا وأخيرًا سنجتمع معًا، والآن حان وقت الرحيل رحيلي أنا بمعنى أدق فكان هناك الكثير يجب علي فعله قبل عودة زهرة إلى الوطن.

وداعها والسفر بدونها كان مؤلمًا للغاية فقد اعتدت رؤيتها بشكل يومي، لم أرغب أن يمر يومي بدون لقائها ورؤية ابتسامتها وملامحها البهية ولكني مجبر على السفر، وداعي لها بالمطار كان طويلاً فأنا سأغيب عنها لمدة لا أعلم كم ستطول.

غادرت وعدت للوطن بعد قرابة التسعة أشهرٍ، استقبلني مُنذر ووالدي في المطار استقبالاً حارًا للغاية، والآن بعد عودتي حان وقت العمل، العمل على بدء حياة جديدة ومريحة لنجمة قلبي.

زهرة

غادر مراد وعاد للوطن منذ قرابة الأسبوع، كانت الأيام تمر علي بصعوبةٍ بالغة فقد اعتدت وجوده حولي، رغم أننا نتحدث على الهاتف يوميًا ولكنه لا يكفي، مجرد سماع صوته لا يكفيني أرغب في رؤيته ولمسه وعناقه، أرغب بوجوده جواري واقعٍ ملموس.

هو عاد لترتيب حياتنا القادمة والتي لم يخبرني عنها أبدًا، لا علم لي بما يخطط له كل ما أعرفه أنه يخطط لعودتي للوطن.

مرَّ مايو ويونيو ويوليو وأنا وحيدة دون مراد، عادت حياتي لسابق عهدها في العمل ورفقة الأصدقاء، كنت بانتظار موعد زفافي أنا ومراد والذي لم نحدده بعد، ولكن في بداية أغسطس وصلتني المكالمة التي انتظرتها كثيرًا ..

مراد

بمجرد عودتي للوطن أخبرت أبي بقراري بالزواج من زهرة وللمفاجأة هو لم يعترض، بل هو طلب مني أن يعتذر لها ولم يكتفي بذلك بل ترك شركات والدها الراحل في عهدتي وأعطاني حرية التصرف بها كما أريد.

أعلم أبي يريد إصلاح ما أفسده سابقًا ولكني على ثقة من رفض زهرة مسامحته، أيامي دون زهرة كانت مملة وسقيمة رغم انشغالي بعشرات الأعمال فأنا أحضر لعودة زهرتي لموطنها.

كان علي تحضير الكثير والكثير بدءً من المنزل وحفل الزفاف والانتهاء من عملي المتراكم وأشياء أخرى كثيرة فقد أعددت عدة مفاجآت لزهرة أتمنى أن يسعدها ما قررت فعله.

أخيرًا انتهيت بعد عدة أشهرٍ نحن الآن في بداية أغسطس فصل الصيف المفضل لي والشهر الذي رأيت به زهرة مجددًا قبل عام، هاتفت زهرة لأخبرها أن كل شيءٍ جاهز ومستعد لعودتها، حتى تذاكر الطيران تم حجزها لها ولأصدقائها ليكونوا بجوارها أثناء تحضيرات الزفاف وفي خلال أسبوع وصلت نجمة قلبي إلى وطنها وموطنها ...

زهرة

كنت أستعد لعودتي للوطن بعد كل تلك الفترة بعيدة عنه بقلبٍ وجل، التوتر والحماس يغلفني حتى أخمص أصابعي، طوال الرحلة وفترة وجودي على متن الطائرة كان كل تفكيري متى سأصل مهما أنكرت اشتياقي لتلك المدينة البعيدة إلا أنها تحمل كل ذكرياتي وحياتي السابقة.

صوفيا ليزا وحتى فيتال ومايكل كانوا جميعًا معي حتى نستعد جميعًا لترتيبات الزفاف ونفعلها سويًا كعائلة كبيرة ومُحبة، وصلنا المطار أخيرًا

أخيرًا أرض الوطن تُرحب بي وأيضًا مراد ومُنذر كانوا في استقبالنا، ولأول مرة أعلم المعنى الحرفي بمشاعر المطار حيث العناق القوي الذي حصلت عليه من محبوب قلبي مراد.

أخيرًا اجتمعنا سويًا بعد عدة أشهر وفي خلال أسابيع قليلة سنعيش معًا في منزلٍ واحدٍ للأبد.

(٢)

قبل الزفاف بأسبوع

حدث الكثير والكثير خلال الأيام السابقة، حيث كان أول ما فعلناه هو زيارة قبري أبي وأمي ليتعرفا بمراد وزيارة قبر والدة مراد لتتعرف علي، كان هناك الكثير من المشاعر المختلطة بين الاشتياق والفقد والحنين جميعها اجتمعت معًا لتضخ في أعماق قلوبنا بسبب محبينا اللذين فقدناهم.

مراد فاجئني بالكثير حقًا فهو أعاد منزلي كما كان أجل منزل والدي الذي وُلدت وترعرعت به، عاد كما كان حتى اللوحات التي كانت تضعها أمي على الجدران ألوان الحوائط والأثاث جميعها كما كان والداي أحياء.

عندما رأيت المنزل لم أتمالك دموعي، لا أعلم كيف أشكره

على ذلك فلا توجد كلمات تصف شعوري وامتناني تجاهه، منزلي هذا هو موطني ومكاني.

لم يكتفي مراد بذلك بل عادت شركات أبي باسمي شركات الزهرة وعهد بإدارتها لي، لقد صُدمت عند معرفتي أن والده هو من طلب منه ذلك كما أنه يريد الاعتذار مني ولكني رفضت، لن أسمح بوجه قاتل أبي أن يضيع علي فرحتي برجوع منزلي وشركاتي والتي كانت هدية الزواج كما أخبرني مراد.

مهما شكرته أو وصفت ما فعله لأجلي لن تفيه الكلمات حقه، زواجنا تحدد باليوم السابع من شهر سبتمبر، جميعنا كنا منهمكين في ترتيبات الزفاف الذي قررنا إقامته على الشاطئ حيث الغروب ونسمات البحر وصوت الأمواج.

صوفيا وليزا ساعداني كثيرًا في اختيار فستان زفافي والذي كان بسيط وملائم لزفاف على الشاطئ ولكني رغم ذلك كنت أبدو كحورية بحر به كما وصفني فيتال أخي العزيز فيتال الذي لم يتركني في خطوة واحدة بمفردي ، لن أنسى تعليقه عندما رآني بثوب الزفاف وتلك الدمعات التي ملأت عيناه ليخبرني بفخر أن مراد سيفقد أنفاسه بمجرد رؤيتي .

وصلت عائلات أصدقائي قبل الزفاف بثلاثة أيام حتى يشاركونا فرحتنا وهذه كانت هدية أخرى من مراد آه مراد كيف أشكرك على جميع ما فعلته؟؟

وقبل الزفاف بيوم وصلتني مكالمة من مراد يرغب بالتحدث معي، لن أنكر أنني كنت بانتظار ذلك الحديث المتوقع ولكن لنرى ماذا سيقول .....

مراد

مرت الأيام قبيل الزفاف بسرعة كبيرة ولكن كل شيء تحت سيطرتنا والشكر للأصدقاء اللذين ساعدونا كثيرًا، ولكن ظل موضوعٍ ما يؤرق مضجعي لم أعرف كيف أفاتح زهرة به أو حتى أخبرها عنه..

قلق للغاية من ردة فعلها ولكن يجب علي التحدث معها فقد أجلت الحديث كثيرًا لدرجة أنه لم يعد هناك وقت حيث يفصلنا يوم واحد عن زواجنا، هاتفت زهرة واتفقنا على اللقاء، لن أنكر خوفي من ردة فعلها بسبب ما سأخبرها به ولكن ليحدث ما يحدث فأنا لن أفعل أي شيء لا توافق عليه هي.

وصلت أخيرًا بعدما كنت بانتظارها بقلبٍ مضطرب

- مرحبًا مراد .. هل تأخرت عليك؟

لا أبدًا

- حسنًا ما هو الموضوع الهام الذي ترغب في التحدث به قبل زفافنا بساعات؟

والدك أليس كذلك؟

سؤالها هذا وترني أكثر فقد شعرت للحظات أنها تعلم بما أخفي وبما أريد التحدث به، تحمحمت استجمع شجاعتي لأتحدث ....

زهرة ربما ما أخبرك به لن يعجبك ولكن والدي يرغب في حضور الزفاف وبشدة ولا أعلم ماذا أفعل لا أرغب بوجود شخص تكرهينه في يومٍ هام كهذا ولا يمكنني منع أبي، ماذا أفعل زهرة ؟؟

- مراد لا يمكنني حرمان والد من حضور زفاف ابنه الوحيد أنا لست بمتحجرة القلب مراد ولكن اعذرني أنا لن أحتك به فهو للآن لازال ملوث بدماء أبي بنظري لذا لن أتعامل معه بأي شكلٍ كان، ليأتي للزفاف هو يجب عليه الحضور، لن أمنعك من أبيك مراد مهما حدث عليك معرفة ذلك.

إذا وجوده لن يؤذي مشاعرك؟

- بالطبع سيؤذيني ولكن لا يمكننا منعه من الحضور فهو أب مهما كانت أفعاله، كما أنني وافقت على الزواج بك وأنا على معرفة بمن هو والدك وماذا فعل، لا تقلق عزيزي كل شيء سيكون بخير.

ربما كلماتها طمأنتني قليلاً ولكني أخشى عليها من رؤيته، زفرت أنفاسي فوضعنا مهما حاولنا إصلاحه صعب للغاية.

يوم الزفاف

مر اليوم قبل زفافنا بلمح البصر وها أنا ذا أقف بحلتي السوداء وتلك الأقحوانة البيضاء تزين عروتي، أقف بمكاني المحدد على الشاطئ بانتظار عروسي، التوتر يسري بجسدي وأطرافي ترتجف بشدة والابتسامة تكاد تمزق وجهي، مُنذر ومايكل كانا بجواري وأبي يجلس أمامي هو وعدني بألا يحتك بها حتى لا يُفسد يومنا السعيد.

وها هي أخيرًا تطل علينا بثوبها الأبيض الرائع وتلك الابتسامة الساحرة، خطواتها بطيئة مليئة بالتوتر بينما تتمسك بذراعي العم توني والعم إسحاق والدا صديقتاها المقربتان وفيتال بجوارهم وصوفيا وليزا خلفهم.

زهرتي محاطة بعائلتها المُحبة، كان مشهد مليء بالمشاعر فلم أتحكم بتلك لدموع التي تجمعت بداخل عيناي، بمجرد اقترابها مني والذي أخذ أبد الدهر، اقترب مني فيتال بينما يهمس بأذني

- حاول إحزانها للحظة واحدة حتى أمزقك إربًا

قالها بنبرة تهديد عنيفة ليبتعد مبتسمًا كما لو أنه لم يقل شيئًا ولكني ابتسمت باتساع على التهديد العنيف والذي لم يشغلني عن النظر لملاكي المشع بالأبيض.

انتهيت من التزين وأتى دور طرحة العروس والتي كانت من قماش التل تنسدل على شعري الأسود، قلبي يطرق بعنف وأصدقائي حولي يقدمون لي الدعم والحب الذي تحتاجه أي فتاة في يوم العمر، بينما بالخارج العم توني والعم إسحاق يتشاجرا أيهما سوف يقدمني للعريس، كنت سأختار فيتال ولكن لا يمكنني المخاطرة بإغضابهم ...

العم توني على يميني والعم إسحاق على يساري وبجوارنا فيتال والفتيات بالخلف تحملن الورود، أرى البقية منهم ينظرون لي بسعادة بينما مُنذر ومايكل يجاوران عزيزي ومحبوب قلبي الذي يشع سعادة بتلك الحلة السوداء.

بمجرد وصولي لمراد كنا نبكي سعادة بينما الابتسامات تملأ وجوهنا كان هناك بعض الدموع السعيدة تتسابق على وجناتنا محلقة معلنة انتهاء قصتنا بنهاية سعيدة وأخيرًا..

حفل الزفاف كان أكثر من رائع حيث موسيقانا المفضلة تصدح في الأرجاء بينما الجميع يرقص بفرح، أصدقائي وعائلتي الحبيبة حولي بينما محبوبي بين يداي يبتسم لي بحب، احتفالنا استمر لساعات طويلة كنت ألمح والد مراد بين حين وآخر ولكن كنت أشتت نظري عنه فلا يمكنني السماح للحزن بالتسلل إلى قلبي في يومٍ مثل هذا.

لن أنكر اشتياقي لأبي وأمي فقد تمنيت وجودهم معي في يومي الهام ولكني واثقة أن أرواحهم ترقص حولي الآن بسعادة.

تسلمت الشركة عقب زفافنا بعدة أسابيع، رغم أنني لا أفقه شيء بهذا العمل ولكن مراد أصر هو حتى عهد لبعض الموظفين بتعليمي، ذلك اليوم الذي دخلت به لذلك المكان الذي لطالما امتلكت به آلاف الذكريات كان واحد من أصعب أيامي فهنا أفنى أبي عمره وبسبب هنا انتهى به الأمر ميتًا، كنت أرى موظفين أبي بالمكان يرحبون بعودتي مما آثار بداخلي مشاعر الحنين بشكلٍ كبير لذا قررت العمل بجد حتى يسطع اسم شركات الزهرة من جديد لنخلد اسم أبي في عالم الأعمال مرة أخرى.

في خلال شهور بسيطة تعلمت كل شيء يخص العمل، حياتي مع مراد كانت رائعة وهادئة فنحن متفاهمان للغاية، وبعد ستة عشر شهرًا من زواجنا رُزقنا بطفلنا الأول ملاكنا الذي ملأ حياتنا بهجة.

بعد مرور خمسة أعوام

مرَّت خمسة أعوام جميلة على زواجي من زهرة رُزقنا فيها بثلاثة أطفال رائعين، لطالما أردنا إنشاء أسرة كبيرة ويبدو أننا سنحقق ذلك فقد ترعرعت وزهرة بمفردنا لذلك نعي شعور الوحدة جيدًا.

أطفالنا يكبرون بجوار أم وأب محبين وحياة أسرية هادئة، كنا نقضي بعض الأيام بمنزل أبي وهذا بطلب من زهرة ذاتها بالطبع هي لم تكن تأتي معنا ولكنها دائمًا تتحدث عن أهمية وجود الأجداد بحياة الأطفال وأطفالي لا يملكون سوى جدهم .

والدي كان شاكرًا للغاية بسبب ترك زهرة لأطفالنا بمنزله بل هو حاول التحدث معها كثيرًا ولكنها كانت دائمة الرفض برغم مرور عشرة أعوام أو أكثر على ما حدث إلا أنها لازالت تراه كقاتل والدها ولا يمكنني إجبارها على شيء.

كنا نرى الأصدقاء بصفة دائمة كل عدة أشهر، جميعهم تزوجوا بالفعل لنصبح أسرة كبيرة مليئة بالطاقة والحب.

زهرة بعد إنجابها لطفلنا الثالث قررت ترك العمل والاهتمام بالأطفال وأنا بالطبع لم ولن أمانع رغبتها رغم تحقيقها للكثير من النجاحات في العمل في فترةٍ قصيرة ولكنها تُفضل بناء أسرةً كبيرة متماسكة ومتحابة كما أخبرتني هي لا ترغب في تضيع لحظة واحدة من عمر أبنائنا لا تراها لأي سببٍ كان.

بعد مرور عشرة أعوام

اليوم هو عيد زواجنا العاشر والذي قررنا الاحتفال به في تورينو بجوار أصدقائنا وعائلاتهم، برغم امتلاكي لخمسة أطفال الآن ولكني كنت أسافر بين حينٍ وآخر لموطني الأحب الذى احتوى زهرة الحزينة وجعل منها الشخص الذي هي عليه الآن.

الاحتفال كان أكثر من رائع برغم تحوله لحفلٍ للأطفال فنحن نملك العديد من الأطفال سواء أبنائنا أو أبناء البقية ولكنه كان رائعًا، ولكن الأكثر حماسة هو وقوفي الآن بنافذة شقتي القديمة بينما مراد أمامي في النافذة المقابلة لي ننظر لبعضنا البعض بسعادةٍ غامرة نسترجع ذكريات حدثت منذ الكثير من الأعوام.

برغم كل شيء مر بنا ومررنا به إلا أننا الآن واليوم نحيا بسلام أسرة كبيرة سعيدة ومترابطة تملك من الحب والسعادة ما يكفي للعالم أجمع.

(٣)

غيمة

مر عام على زواجنا الرائع والذي حدث فجأة ودون توقع، حدث الكثير والكثير خلال ذلك العام أهمها هو استقرارنا في وطن ليل.....

نعم لقدر قررنا الذهاب والاستقرار هناك حيث العائلة فلا يوجد شيء أهم من العائلة، أيامنا حافلة فأنا أقمت العديد من الحفلات، ليل انتظم في عمله وسام التحق بالمدرسة فهو بالسابعة الآن.

كل شيء مثالي لدرجة الشك، حياة هادئة وهانئة لا يوجد مشاكل أو ضغوطات، نتفاهم جيدًا ونتناغم سويًا يبدو أن هذا

هو عوض الحياة لنا.

اليوم عطلة لذا استيقظت باكرًا لتحضير مائدة الإفطار فحركتي باتت بطيئة بعض الشيء مؤخرًا، سام وليل لا يزالا نائمان وقد إكتسب ملاكي عادةً جديدة حيث يأتي لغرفتنا بمنتصف الليل ويطرد أباه خارجًا لينام بجواري وبمجرد أن يغفو يعود ليل للفراش.

أعلم هي عادة سيئة لكن لا يمكنني إحزانه فهو ربما يشعر بالغيرة، حاولت ايقاظ الأب وابنه النائمان بعمق لكن لا رد لذا عدت أدراجي للمطبخ لأكمل ما أفعل، لم تمر دقيقتان ربما وشعرت بتلك الأذرع الحنونة تأخذني في عناقٍ خلفي محب كما العادة ، بجانب صوت تلك الخطوات الصغيرة تركض نحوي....

- صباح الخير غيمتي

صباح الخير زوجي الوسيم

بينما سام عانق معدتي التي أصبحت تشبه البالون على وشك الانفجار كعادته كل صباح

- صباح الخير ماما، صباح الخير إخوتي بالداخل كيف حالكما؟

قالها بينما يطبع قبلاته على بطني أو منزل إخوته الصغار كما يقول دائمًا

صباح الخير ملاكي هل نمت جيدًا؟ سألته بينما أبعثر شعره

- أجل ولكني غفوت في حضنك أنتِ لما استيقظت بينما بابا هو من يعانقني كنجم البحر!!

كان يتذمر بوضوح ما جعل والده يقلب عيناه فهو الآن يفكر أن سام يحبني أكثر منه وربما هو محق..

****

تناولنا طعامنا بين الكثير من الأحاديث بالطبع سام متحمس للغاية والده سيأخذه لمدينة الألعاب الذي يود الذهاب لها منذ مدةً كبيرة، بينما أنا سأقضي اليوم عند أمي روزالين، أوصلني ليل للمنزل بينما ذهبا لمدينة الألعاب.

- ابنتي الجميلة كيف حالك؟

أمي اشتقت لكِ، أنا منهكة أشعر أنا قدماي لا تتحمل وزني بينما لا أستطيع أنا جر قدماي، تذمرت لها بعبوس بينما تعانقني هي بحنانٍ بالغ تعاملني كابنتها الحقيقية وأنا شاكرة للغاية لهاته المعاملة والتي شجعتني أكثر على ترك كل ما بنيته والاستقرار هنا.

يومي كان جميلًا وهادئًا قضيته برفقة أسرتي الصغيرة المكونة من زوجي وملاكي وبين عائلتي الكبيرة والتي حصلت فيها على أمين وأبوين، جميعهم يلبون رغباتي وكأني ماستهم الثمينة.

ليل

زواجي بغيمة كان واحد من أفضل قراراتي على الإطلاق فهي زوجة رائعة وأمٍ حنون، علاقتها بسام رائعة، حتى والدا روزا يعملاها كابنتهم الحقيقة.

فقد عدنا لموطني بطلبٍ منها هي من أرادت البقاء في عائلةٍ كبيرة، حياتنا كانت سعيدة حتى وصلني خبر حملها.....

بالطبع هي نعمة قادمة على الطريق ولكن الفكرة نفسها أعادت لي مخاوفي وهواجسي، لا أرغب بفقدان غيمة كما فقدت روزا، حاولت بشتى الطرق ألا أظهر لغيمة هذا الخوف، كنت مهتمًا بها وبصحتها أكثر من أي وقتٍ مضى.

لا يهمني الجنين لو حدث له شيء ولكن المهم هي ووجودها بحياتي، أخشى أن أعيش تجربة الفقد مرةً أخرى حينها سأنهي حياتي.....

بعد عدة أشهر أدركنا حمل روزا بطفلين وليس طفلًا واحدًا، فهي تحمل فتًا وفتاة، لا يمكنني وصف سعادة الجميع من حولي خاصةً سام والذي كان متلهفًا ليصبح أخًا كبير كصديقه بيتر هو حتى هاتف رالف ليخبره.

ولكن بالنسبة لي تضاعف خوفي وقلقي، كنت حريصًا على صحتها وزيارتها للطبيب دائمًا، لا يمكن لأحد لومي على هذا الخوف فأنا فقط من مررت بذلك الهلع مسبقًا.

أيام الحمل مرت سريعًا وتكرر السيناريو ذاته، غيمة شعرت بالمخاض فجأة في منتصف الليل.....

أصابتني نوبة فزع كبيرة موجة عارمة من المشاعر ضربتني لا أعرف كيف أتصرف أو ماذا أفعل فهي تحمل طفلين أيضًا وليس واحدًا، بالطبع هي لاحظت هذا الشيء وحاولت إخراجي من شعوري المظلم هذا رغم الألم البادِ على وجهها

- ليل عزيزي فقط انظر لي، لن يحدث لي شيء أنا بخير، أطفانا سيصلون للنور لنربيهم معًا فقط أنظر لي وأترك الأفكار السيئة، هيا أنا أتألم حبيبي

- اتصل بوالدك وبالمشفى هيا حبيبي تحرك أرجوك

كلماتها أفاقتني قليلاً ولكني رغم ذلك لا زلت أراها روزا، روزا التي فقدت حياتها في موقفٍ مشابه، اتصلت بوالدي وبالمشفى كما طلبت مني وهرعت بها نحو السيارة لن أسمح بتكرار ما سبق مهما حدث، سأحافظ على حياة محبوبتي مهما كلفني الأمر.

وبالفعل أنجبت غيمة طفلاي ليام وإلينا بصحةٍ جيدة وهي أيضًا كانت حالتها جيدة، سعادتي كانت غامرة بخروج حبيبتي بخير ومعافاة، كما كبرت أسرتي الصغيرة التي ازدادت فردان جديدان.

طفلاي الرائعان لم أستطع تركهما ولو للحظة كنت متمسكًا بهما بشدة ربما أعوض ما فعلته عند ولادة ملاكي الصغير والذي ازداد تعلقه بغيمة أكثر وأكثر منذ ولادة إخوته، هو حريص عليهما ويحبهما حبًا جمًا لدرجة أنه أخذ صورهما ليغيظ أصدقاؤه بالمدرسة أنه يملك ملاكين فاتنين وهم لا، ولكن حبه لغيمة أصبح أكثر وأكثر فازداد التصاقًا بها وتدللًا عليها وهي لم تمانع أبدًا فأنا أكاد أقسم أنها تحبه أكثر من أطفالها اللذان أنجبتهما.

****

مرت ستة سنوات رائعة على زواجنا، حصلنا فيها على ثلاثة أطفال، شهرة غيمة كانت عالمية بالفعل بينما أنا افتتحت مكتبي الخاص.

انتقلنا لمنزلٍ أكبر يملك حديقة رائعة، يسكن أمامنا سيدة جميلة وزوجها هما بسن والداي أو أصغر قليلًا، كانوا عائلةٍ كبيرة تعرفنا عليها سريعًا وأصبحنا أصدقاء.

كنا في بعض الأحيان بالإجازات نذهب لزيارة منزلنا القديم بتلك المدينة البعيدة وبالطبع لزيارة أصدقائنا القدامى من شهدوا على بداية حبنا النقي، أنا أسعد رجل في العالم أملك أسرة كبيرة وزوجة محبة وأطفال رائعين لا يمكنني طلب شيء أكثر من ذلك، غيمتي كانت دائمة الزيارة لقبر روزا كانت تتحدث إليها كشقيقةٍ لها، وضعت لها العديد من الصور بالمنزل، رائعة هي تراعي مشاعر سام رغم أنها هي والدته بالنسبة له وليس روزا فهو لم يراها مطلقًا ولكنها كانت حريصة على تذكيره بها طيلة الوقت.

منزلي دافئ تملأه رائحة كعكة التوت الأزرق على الدوام بجانب الكثير من الضحكات و الصرخات السعيدة من أطفالي، عملي يسير جيدًا وعائلتي بجواري، نظرًا لذلك الرجل من عشرة أعوام فأنا بخير حال والشكر لله على هديته الغالية " غيمة".

(٤)

سارا

بالطبع لا أحد يعلم من أنا لذا دعوني أخبركم عني بعض التفاصيل أنا وعائلتي....

اسمى هو "سارا ليل" وأمي هي غيمة، أعتقد الآن عرفتم من أنا، أنا بالسابعة عشر من عمري أملك ثلاثة أخوة، أخي سام بالسابعة والعشرون وهو واحد من أشهر عازفي البيانو في وقتنا الحالي فهو انتهج نهج أمي في الموسيقى وأصبح خليفتها في أرقى وأشهر مسارح العالم.

اعتزلت أمي العزف بالمسارح منذ عشرة سنوات وحفل اعتزالها تم عرضه في جميع دول العالم أنا فخورة بها بشدة وفخورة بما وصل له أخي سام الذي يلف العالم برفقة زوجته بيانكا، أجل هي صديقته بيانكا من الروضة.

أما بالنسبة للتوأمين فكلٌ منهما اتبع نهجه الخاص، ليام يدرس الطب بينما إلينا تدرس الميكانيكا فهي عاشقة للآلات وهما بعمر العشرين حاليًا، عائلتي جميلة ومحبة نمتلك الكثير من الأصدقاء والمعارف ولكن أقرب أصدقاءنا لنا هم أحفاد جيراننا أحفاد جدتي زهرة والجد مراد.

هما يقتنان بالمنزل المقابل لنا، الجدة زهرة تقدم لنا ذات الحب الذي تقدمه لنا جدتي بيترا وجدتي روزالين إلى جانب عادتها اللطيفة في إلقاء الحكايا الجميلة على مسامعنا كل خميس.

ففي الخميس من كل أسبوع منذ الصغر تجمعنا جدتي زهرة أسفل شجرة الكرز الكبيرة في حديقة منزلها أنا وأخوتي إلى جانب أحفادها الأربعة عشر، نعم هي تملك من الأبناء خمسة ومن الأحفاد أربعة عشر حفيدًا.

جميعهم بأعمار مقاربة لنا ، نلتف حولها بينما تقص علينا الكثير من الحكايا منها المرعب والمخيف ومنها الرومانسي اللطيف كقصة حبها هي والجد مراد والتي جمعت بينهما مدينة تورينو الساحرة أو قصة حب أبي وأمي والتي تشبه الخيال والكثير والكثير من القصص والحكايات التي نتخذ منها عبرة أو درسًا مستفاد.

حكاية جدتي زهرة وأمي غيمة والتي روتها على مسامعنا على مدار السنين كانت الأقرب إلينا جميعًا هي حتى روت لنا حكاية أبي والعمة روزا الراحلة.

طقوس الخميس أسفل شجرة الكرز برفقة الحكايا وكعك التوت الأزرق استمرت لسنينٍ كثيرة لم ولن نمل منها مهما تكررت على مسامعنا.....

الحادي والثلاثون من ديسمبر

اجتمعنا جميعًا اليوم في منزل الجد مراد لنحتفي بقدوم العام الجديد، جميعنا متحمسون للغاية ولكن الأكثر حماسة هو قدوم الجد مايكل والجدة ليزا فهما يحضرون لنا الكثير من الهدايا في كل زيارة يأتون فيها إلى هنا برفقة أبنائهم الثلاث وأحفادهم الخمسة، أجل لقد تزوج الجد مايكل من صديقته ليزا وكانت قصة حبهما وزواجهما من القصص التي قصتها علينا الجدة زهرة أيضًا، ربما ترويها لكم في يومٍ ما ولكن ليس الآن.

الجميع هنا أصدقاء الجدة زهرة جميعهم برفقة أزواجهم وأبنائهم وأحفادهم، أمي وأبي وإخوتي جدي وجدتي، الجميع هنا المنزل مليء بالبشر والحب والدفء

يلتف الصغار منا حول المدفئة بينما يتسامر الكبار وتعد الأمهات الطعام، هناك شعور غريب يغمرك بمجرد رؤيتك لكل هذا شعور بالوطن، وجودنا جميعًا معًا باختلاف أعمارنا وجنسياتنا وقصصنا يمنحك الشعور بالدفء .. دفء الوطن

تمت

وهكذا تكون انتهت حَكايا زهرة الكرز أتمنى
أن تكون نالت إعجابكم